تاريخ البصرة المَنسِي

مقالات المرحوم حامد البازي

٩٥٦,٣٣١
ب ٢٥٩ البـــازي، حامـد
تاريخ البصرة المَنسـي.. مقالات المرحوم حامد البازي
حامد البـــازي؛ جمعَ حامد الظالمي، ط١، البصرة، ديوان محافظة البصرة، ٢٠٢٣م، ٢٨٨ص. ، ٢٤ سم
١. البصرة، تاريخ ، ٢. العراق، تاريخ، ٣. البازي، حامد (كاتب) أ. العنوان.
م.و.
٦٣٦ / ٢٠٢٣م

المكتبـة الوطنيـة / الفهرسـة أثنـاء النشـر

رقـم الايـداع فـي دار الكتـب والوثـائـق ببغداد (٦٣٦) لسنـة ٢٠٢٣م

طبـع فـي
جمهورية العراق ۞ محافظة البصرة
برعـايـة
ديوان محافظة البصرة

كل الحقوق محفوظة للناشر

◈ جميع الحقوق محفوظة باستثناء اقتباس فقرات قصيرة لغرض النقد أو المراجعة، فلايجوز إعادة إنتاج أي جزء من هذا الكتاب أو تخزينه في نظام الاسترجاع أو نقله بأي طريقة من دون الحصول على إذن مسبق من الناشر.

◇ All rights reserved. Except for the quotation of short passages for purposes of criticism or review, no part of this publication may be reproduced, stored in retrieval system, or transmitted, in any form or by any means, without written permission of the publisher.

الطبعة الأولى
2023

ديوان محافظة البصرة
BASRA GOVERNORATE
Republic Of Iraq - Basra Governorate
www.basra.gov.iq/ar

البصرة

تاريخ

تاريخ عريق وثقافة متجددة

سلسلة إصدارات تهتم بالشأن البصري تصدر عن ديوان محافظة البصرة

تاريخ البصرة المَنسِي

مقالات المرحوم حامد البازي

جمعها وعلَّق عليها ووَضَعَ الهوامش لها وقَدَّم لها
د. حامد ناصر الظالمي

ديوان محافظة البصرة
2023

لمحات من حياة وتراث المؤرخ البصري حامد البازي (ومُسمَّيات البصرة)

من الحوارات القليلة التي تَمَّت مع المرحوم حامد البازي المؤرخ الشعبي البصري كان لقاء الأستاذ محمد صالح عبد الرضا معه – وقد عنونَ هذا اللقاء بمؤرخ البصرة حامد البازي الذي نشره في صحيفة المرفأ البصرية في العدد التاسع والثلاثين ليوم السبت، في تشرين الأول سنه ١٩٧٧ وأعاد نشره في صحيفة النهضة الصادرة في البصرة، في عددها الثالث من السنة الأولى في السابع من تموز سنة ٢٠٠٣، وأضاف الأستاذ محمد صالح عبد الرضا إلى حواره السابق قوله: منذ رحيل المؤرخ البصري حامد البازي في ٢٥/ ٧ سنة ١٩٩٥ وإلى اليوم، الناس لم تقرأ سوى كلماتٍ قلائل تستذكره، وحين نكتب استذكاراً متأخراً لرجلٍ كان يحتفظ بنقاوته البصرية وصفائه الجنوبي دَخَلَ معمعان حوادث البصرة وخاصة في عصورها المتأخرة وحاول إزالة الغبار عن موروثها الشعبي، إنما نستذكر رجلاً كان لا تمل من قراءة التأريخ والغوص في أعماقه ورغبته مشتعلة في الازدياد من ينابيع التأريخ العراقي[1].

قد يكون هذا هو الحوار الأول–بحسب علمي–وكما قُلنا أنه كان في عقد السبعينيات، أما الحوار الثاني فكان في الثمانينيات أجراه الأستاذ القاص محمد خضير وعنوانه لقاء مع مؤرخ البصرة حامد البازي. ونشرته مجلة القلم الصادرة من نقابة المعلمين فرع البصرة في عددها ٣–٤ سنة ١٩٨٣.

وبعد أكثر من عشرين سنة كتب الدكتور إبراهيم خليل العلاّف دراسة حول حامد البازي وكانت بعنوان حامد علي البازي ١٩٢٠– ١٩٩٥ ودوره في توثيق

(١) مؤرخ البصرة حامد البازي، محمد صالح عبد الرضا، صحيفة النهضة الصادرة في البصرة، العدد٣، السنة الأولى ٧ تموز، سنة ٢٠٠٣.

تأريخ البصرة الحديث نشرها في مجلة دراسات تأريخية الصادرة في جامعة البصرة كلية الدراسات التأريخية[1].

وهناك مقالات مختصرة جداً نُشرت على مواقع التواصل في الأنترنيت. فهذا كل ما نُشر عن الرجل الذي كتب لأكثر من خمسين سنة بشأن البصرة. ومن هذا يَتبيَّن أن المنشور بشأنه هو حوار معه في السبعينيات، وآخر في الثمانينيات من القرن العشرين، ودراسة في العقد الأول من القرن الحادي والعشرين.

حياته:

قال حامد البازي: ولِدتُ في البصرة سنة ١٩٢٠ في محلة الخليلية ودخلتُ مدرسةَ السيف الابتدائية متأخراً سنة ١٩٢٩، وكان مديرنا عبد الحليم وهو مُعلِّم التأريخ في المدرسة أيضاً يبث فينا الروح القومية وحب التأريخ. وشَجَّعني على ولعي بالأخبار شاعرٌ شعبي كان جاراً لنا يُدعى عبد علي الدلّال وآخر اسمه محمد داود النجار. وكان يجلس جوار دارنا بائعُ الحلويات محدودب الظهر عمره سنة ١٩٣٦ مئة وخمسة أعوام، أجالسه فيحدثني عن أحداث واكبها أو حَدّثه عنها والده الذي يشتغل فلاحاً لدى الباليوز أي القنصل البريطاني في البصرة، وقد سَجَّلتُ من كلام هذا الرجل المُعمِّر أحداثاً حدثت قبل مئة وسبعين سنة، وهكذا فإنّ أحاديث المجالس وذكريات المُعمِّرين كانت أهم مصادري لأنَّ المصادر المكتوبة كانت نادرة[2].

في عام ١٩٣٦ دَخَلَ متوسطة البصرة. وفي عام ١٩٤٠ انتقل إلى ثانوية البصرة، ويقول البازي عن هذه السنوات: وكان الجو فيها قومياً لوجود كثير من الطلاّب المهاجرين من عرب الخليج، ثم لاتصالنا بنادي المُهلَّب الذي كان يدعو إلى اتحاد

(١) مجلة دراسات تأريخية، عدد خاص عن البصرة. سنة ٢٠١١.ص٢٢-٢٢.

(٢) لقاء مع مؤرخ البصرة حامد البازي، أجراه محمد خضير، مجلة القلم الصادرة عن نقابة المعلمين - فرع البصرة، العدد ٣-٤ سنة ١٩٨٣ ص ٥٨.

عرب الخليج، وأسَّسنا -نحن طلاب المتوسطة- جمعية اتحاد عرب الخليج التي كانت شُبه علنية، وقد حظيت الجمعية بدعمٍ ومساندةٍ جماعة الضباط الأحرار، صلاح الدين الصباغ، وفهمي سعيد، ومحمود سليمان وكما كانت تحظى باهتمام السيد رشيد عالي الگيلاني. وأخيراً أصبحنا نتصل سياسياً بالمرحوم يونس السبعاوي وعسكرياً بالعقيد صلاح الدين الصباغ، وبعد انتقالنا إلى ثانوية البصرة سنة ١٩٤٠-١٩٤١ أصبحت جمعيتنا سرية بعد مقتل الملك غازي ومَنَعَ المتصرف نشاطنا[١]، وكان يُطلق عليها جمعية وحدة عروبة الخليج[٢].

في سنوات صباه كان يُوفّر نقوداً من عمله كاتباً في چراديق التمر ويشتري بها كتباً في زمنٍ، كان لا يتجاوز ثمن أغلى كتاب الدينار الواحد، وقد تولَّع باقتناء الكتب آنذاك وكانت مكتبته صومعته التي يمضي نهاره وليله فيها بل وينام فيها ولا يبارحها إلّا ما ندر حتى وصلت بعد سنوات إلى أكثر من خمسة آلاف كتاب[٣].

بعد تخرجه من الإعدادية سنة ١٩٤٣ عمل قاطعاً للتذاكر في محطة قطار المعقل حتى سنة ١٩٧٨. وفي فترة عمله في سكك حديد البصرة آنذاك وقبلها عَمَلَ في الصحافة التي عشقها كثيراً، إذ يقول عن هذه المرحلة: وكُنت أقرأ الصحف منذ تفتحي الأدبي سنة ١٩٣٥ فكنت أقرأ الرقيب والبصرة التي أصدرها عبد الرضا الدجيلي وجريدة الاخاء والناس التي تلت في الصدور، وكُنّا جماعة من الشباب تضم عبود شبر، وكامل السريح المحامي، وجواد الشيخ حسن، وكاظم محمود الصائب تتولّى تحرير الصحف وتقوم بكافة شؤونها، كُنّ المُحرَّرين والمُصحِّحين في آنٍ واحد، إذ كانت الجرائد لا تربح وتتخذ من المطابع التي تطبعها إدارات لها ومن

(١) المصدر نفسه ص٥٨، وفي هذه الفترة نشأت فكرة الفتوة، إذ ((تَشَّكلت في الثانوية فرقة للفتوة)).

(٢) يُنظر: مؤرخ البصرة لمحمد صالح عبد الرضا، صحيفة النهضة.

(٣) المصدر نفسه.

الصحف التي اشتغلتُ فيها جريدة الخبر وجريدة البصرة سنة ١٩٤٥[١].

مَنْ عرفه واتصل به وشاهد صوره عَلِمَ أنه صاحبُ هندام أنيقٍ كمذيعٍ تلفزيوني يعتمر (العرقچين) الأبيض النظيف الجديد على الدوام وربطة عنقٍ وقميص غالباً ما يكون أبيض. حتى في الصيف مع حلاقته الدائمة لذقنه ويعطيك صورة للبصري صاحب السمرة الخفيفة والصوت الهادي والأدب الجم، هذا المؤرخ البصري الذي عشق البصرةَ وكتب عنها وحتى في موته لما يفارقها فقد دُفِنَ في أرضها أي في مقبرة الحسن البصري، لم تُكرِّمه المدينة اطلاقاً ولم تطلق اسمه على شارعٍ أو بنايةٍ أو مدرسةٍ أو حديقةٍ أو... على الرغم من تكريمه بوسام المؤرخ العربي من اتحاد المؤرخين العرب وضمن الوجبة الثالثة في الثاني من تشرين الأول سنة ١٩٨٧ وذلك تقديراً لجهوده في توثيق تراث وتأريخ مدينة البصرة[٢]. ولكنه يبقى شاهداً على تأريخ هذه المدينة الشعبي والشفوي. ولحبه لها اختلط التأريخ عنده بروحه فهو لا يكتب تأريخها غير المكتوب أو المنسي لاسيما في القرون الأخيرة أو الفترة المظلمة، بل هو يكتب من روحه، ولذلك يقول عنه أحد الكُتّاب المعاصرين: إن شخصية المؤرخ حامد البازي تظل شاهدة على تأريخ البصرة، رغم مغالاته في تأريخها فهو من القِلّة التي أَحَبَّت المدينة وميزة تلك المَحَبّة أنه جَمَّل الأحداث وأضاف الكثير من خياله[٣].

وهل نطلب من عاشق لمدينة أن لا تكون له قراءة خاصة لتأريخها وتراثها الشعبي الذي لم يعتنِ بهً أغلب المؤرخين، أو تأريخها المنسي لا تأريخ الملوك والأباطرة، ولذلك فقد كتب كتاباً عنوانه مباحث بصرية قال عنه: لدي كتاب

(١) لقاء مع مؤرخ البصرة، أجراه: محمد خضير ص ٦٣.

(٢) حامد علي البازي ١٩٢٠-١٩٩٥ ودوره في توثيق تأريخ البصرة الحديث د. إبراهيم خليل العلاف، مجلة دراسات تأريخية. جامعة البصرة ٢٠١١م

(٣) عبير التوابل والموانئ البعيدة، إحسان السامرائي، مطبعة البصرة، سنة ٢٠١١م، ص٥٠٩

مخطوط مباحث بصرية وأكثر أخباره طريفة عن البصرة ومنها، إن أول دراجة دخلت البصرة جاء بها الحاج عبدالله المسلَّماني وذَهَبَ بها إلى الزير وَسمُّوها–حصين إبليس–وركَضَ وراءها الأطفال ورموه بالحجارة، وأن أولَ سيارة سافرت من البصرة إلى الكويت رقمها ٢٠٤ وكانت للسيد حامد النقيب وكانت أجرة النفر الواحد ٤ روبيات واسم سائقها سمر وهو هندي[1] فهو من أهم المؤرخين للتراث الشعبي أو الحياة الشعبية والمحلية للبصرة ولذلك كان سؤال الأستاذ محمد خضير له مُهماً عندما قال له: تُقدِّم كتب الجاحظ ورسائله شرائح عريضة لحياة البصريين الشعبية في العصر العباسي، هل أهتمَّ مؤرخٌ آخر بما اهتمَ به الجاحظ على هذا المستوى؟ فأجاب البازي قائلاً: يعتبر الجاحظ في مقدمة مَن اهتم بهذا اللّون من التأريخ. ولكن هناك مؤلف كان بنفس أهمية الجاحظ وأعني النجيرمي وهو أبو إسحق إبراهيم بن عبدالله بن محمد النجيرمي البصري ولِدَ بقرية نجيرم من قرى جنوب البصرة، ونَشَأَ في البصرة وكان من جماعة الزجاج ثم رَحَلَ إلى بغداد ومنها إلى مصر وتولَّى الكتابة لكافور الإخشيدي وتُوفّي في مصر سنة ٣٥٥ هـ، والنجيرمي أول مَنْ أَلف كُتَبَ التراث الشعبي وله كتاب إيمان العرب في الجاهلية وآخر عن المآكل البصرية ومنها الطبيخ، وفي الحقيقة فإن كتاب إيمان العرب يحتوي كُلّ الأيمان التي كان يُقسِم بها العرب فالجاهلية وعصر صدر الإسلام وقد رأيت مخطوطة الكتاب لدى الشيخ علي البازي[2].

اهتمَّ حامد البازي كما قلنا بالتأريخ المحلي والشعبي والتراثي لمدينة البصرة. لاسيما في فترة الحكم العثماني وبدايات الاحتلال الإنكليزي للبصرة. لأنَّ هذه المرحلة من التأريخ لم يُسلَّط عليها الضوء بما يكفي، وأن ما كُتب عن هذه الفترة قليل فهو يحتاج إلى التثبت أكثر، فعندما سأله الأستاذ محمد خضير إلى أي مدى يثق

(١) مؤرخ البصرة، لمحمد صالح عبد الرضا.

(٢) لقاء مع مؤرخ البصرة، أجراه: محمد خضير ص٦٠.

المؤرخ المعاصر بمؤلفات المؤرخين السابقين لتأريخ البصرة في أدوارها المختلفة؟ قال البازي: أعتقد أن المؤرخين الذين كتبوا عن تأريخ البصرة في أدوارها الأولى وتطرَّقوا إلى الحياة الأدبية والاجتماعية والسياسية كانوا أكثر صدقاً من المؤرخيين الذين كتبوا عن أدوارها المتأخرة، وقد ظهرت في الفترة المظلمة عدة مؤلفات مثل ولاة البصرة ومُتسلِّموها لابن الغملاس والتحفة النبهانية. وكتاب آخر لعثمان بن سند إلاّ أن فتح الله الكعبي صاحب كتاب زاد المسافر ومؤرخاً آخر لإمارة آفراسياب العربية في البصرة هو المؤرخ والشاعر عبد علي الحويزي هما أكثر صدقاً من أولئك[1]. ولكنه لم يذكر كتب الرحلات ومذكرات القناصل وما كتبه الرحَّالة الإيرانيون والأتراك وغيرهم.

كانت له صداقة مهمه مع عبد العزيز الرشيد صاحب كتاب تأريخ الكويت، وقد أسهم حامد البازي في توثيق أمور عديدة في هذا الكتاب وهو مشارٌ إليه في الكتاب. ولكن الغريب أن يفيد أحد الباحثين الذين كتبوا عن البصرة أطروحة دكتوراه باللغة الإنكليزية–من حامد البازي–ويُسمّيه حميد البازي والباحث هو الدكتور ثابت عبد الجبار عبد الله الذي كتب أطروحته للدكتوراه الاقتصاد السياسي لتجارة البصرة في القرن الثامن عشر في جامعة جورج تاون في واشنطن. والتي صدرت كتاباً سنة ٢٠٠١، وترجمها للعربية عزيز سباهي، ونشرته دار المدى سنة ٢٠١٣. لأنَّ البازي أصبح مصدراً مهماً للتأريخ المحلي للبصرة.

ولكن حاله كحال مَنْ أَحبَّ هذه المدينة لم يجد مَنْ يطبع له مخطوطاته التي تؤرخ لها غير ابنته استقلال التي كانت تساعده في تبيِّض بعض مُسوَّدات كتبة[2]. ولذلك بقيت كتبه مخطوطة، إذ لم يُطبَع أهم ما أَلَّف وكتب.

وقد امتازت كتابات البازي في أنه كان يلتقط الأخبار النوادر والمثيرة والحوادث

---

(١) المصدر نفسه ص ٥٨.

(٢) حامد علي البازي ١٩٢٠ – ١٩٩٥ ودوره في توثيق تأريخ البصرة الحديث ص ١٦.

التي تتَفرَّد بها البصـرة. وكان يركز على اشتقاق تسميات مناطق البصـرة. وهـو مـا سنتناوله لاحقاً. وبسبب حِسِّهُ الوطني والقومي آنذاك فقد تَحدَّث عن الشخصـيات البصـرية التي قاومت الاحتلال البريطانية وكان يؤكد عـلى هـذا الأمـر أي مقاومـة المحتل ومن تلك الشخصيات عبـد المهـدي المظفـر، وناصـر البحـراني، وعبـد الله الخليفة وكلهم من علماء الشـيعة آنذاك.

مـؤلـفـاتـه

للبازي مؤلفات مطبوعة وهي:

١. الشـراب الحلو (قصص) صدرت هذه المجموعة عام ١٩٥٠ عن مطبعة الخبر في ٩٠ صفحة وهي تصوّر الحياة الاجتماعية في البصـرة.
٢. النـاهي والنـويهي في ١٢٠ صـفحة صـدر عـام ١٩٥٤ عـن مطبعـة الخـبر البصـرية وهو رَدٌّ على كتاب بشار بن برد للدكتور محمد النويهي وعلى كتاب دراسات أدبية لـغالب الناهي.
٣. مهيار الدليمي صدر عام ١٩٥٦.
٤. البصـرة في الفترة المظلمة صـدر عـام ١٩٦٩ في مطبعـة البصـري في ٢٠٠ صفحة وأعادت طبعه دار الفيحاء سنة ٢٠١٧.
٥. الأحواز صدر عام ١٩٨٢ في مطبعة الرشـيد ببغداد.

من مؤلفاته المخطوطة

١. تأريخ البصـرة الكبير في سبعة أجزاء وقال عنه في حواره مـع الأسـتاذ محمـد خضـير: أرجو أن يظهر كتابي عن تأريخ البصـرة الكبـير بمناسـبة تأسـيس مدينة البصـرة.
٢. مختصـر تأريخ البصـرة في العهد العثماني.
٣. رقصة الهيوه وأغاني الخليج العربي.
٤. الثورة العراقية عام ١٩٢٠.

٥. ديوان شعر فجر العروبة كان المرحوم بدر شاكر السياب قد قَدَّم له وأخذ المقدمة أحدُ دارسي بدر من لبنان ولم يُرجِعها كما قال في حواره مع محمد صالح عبد الرضا.

٦. كتاب مباحث بصرية وأكثره أخبار طريفة عن البصرة.

٧. وجاء على الغلاف الأخير لكتابه الناهي والنويهي، أن له مجموعة كتب جاهزة للطبع هي الفيضان (رواية سينمائية)، والشرف (رواية سينمائية)، من صميم الواقع (قصص)، أديب وأديبة جبران وعائشة التيمورية.

أما مقالاته ودراساته التي جَمعتُها من الصحف والمَجلاّت فهي:

١. حوارٌ مُفصّل عن المربد مع المؤرخ والفولكلوري البصري حامد البازي، صحيفة القادسية الأحد ٢٣/ ١١/ ١٩٨٦ صفحة ٧ بمناسبة يوم المربد.

٢. البصرة كتبت تأريخ الحضارة، مجلة التاجر الصادرة عن غرفة تجارة البصرة، العدد ٨-٩ آذار ونيسان سنة ١٩٦٨ ص (١٠-٢٢).

٣. البصرة كما هي، مجلة التاجر العدد ١٣ كانون أول سنة ١٩٦٨، ص ١٠-٢٠.

٤. البصرة في القرنين الأخيرين سنة ١٧٢٠-١٩٢٠، مجلة التاجر، العدد ١٤ كانون الثاني سنة ١٩٦٩، ص ٢١-٣٠.

٥. أربعة قرون من تأريخ البصرة المتأخر مجلة التاجر العدد ١٩ – ٢٠ حزيران وتموز سنة ١٩٦٩.

٦. حديث مختصر عن البصرة في ماضيها وحاضرها، صحيفة القادسية يوم ٨/ ٥/ ١٩٨٨ الصفحة ١٢.

٧. ماذا تعرف عن الفاو معلومات تأريخية وشعبية، صحيفة القادسية ١٥/ ٥/ ١٩٨٨ الصفحة ١٢.

٨. شرق البصرة وأهم أنهار المنطقة وقُراها ومسمّياتها، صحيفة القادسية يوم

١٢/ ٦/ ١٩٨٨ الصفحة ١٢.

٩. لماذا سُمّيَ بشط العرب وكيفية تكوينه؟ صحيفة القادسية يوم ٧/ ٨/ ١٩٨٨ الصفحة ٧.

١٠. الأنهار الستة وشناشيلها وقصورها وجسورها وسور البصرة وأبوابه، مجلة التراث الشعبي، الصادر عن دار الشؤون الثقافية العامة ببغداد عدد خاص عن البصرة سنة ١٩٨٩، ص (١٦٠- ١٧٦).

١١. قصور البصرة التراثية نوافذ أصيلة تَطلُّ على الحاضر، صحيفة العراق، بغداد، الأحد، رجب سنة ١٤١٠ هـ الموافق ٢٨/ ١/ ١٩٩٠ ص ٦.

مُسمَّيات البصرة:

في حوار محمد خضير مع حامد البازي سأله الأستاذ محمد خضير سؤالاً مهماً هو لمدن البصرة وقُراها أسماء نُحب أن نتعرَّف على أصولها، ما أصول أسماء مثل الصنگر، ونهير الليل، وأم البروم؟

أجاب البازي على هذا السؤال المُحدَّد الذي يَتعلَّق بهذه المناطق الثلاث، ولذلك نحاول هنا أن نُعمِّم السؤال على مناطقَ كثيرة في البصرة حاول البازي أن يعطي تأويلاً أو سبباً لتسميتها، وسنضع جدولاً بأسماء تلك المناطق وسبب التسمية: حسب ما يرى البازي، وهي قد وَرَدَتْ في كتابات البازي.

١. أم البروم:

قال البازي: كانت مقبرة حتى سنة ١٩٣٤ ثم تَحوَّلت إلى حديقةٍ عامة وهي أرض تعود إلى آل المَلاّك، وقد حَدَثَتْ مجاعة في أواخر القرن السابع عشر فبنى جد آل الملاّك مطبخاً في جانبٍ من المقبرة فيه نخل ونَقَلَ إليه القدور الكبيرة التي تُسمّى (البُرم) وطَبَخَ هناك فكان الجياع الذين يقصدون المكان يقولون إنهم ذاهبون إلى أم البروم لتناول الطعام. فشاعَ الاسم و(البُرَم) و(البُرمة) باللغة العربية هو القدر

الكبير[1]. واعتقد أنه يوجد تأويل آخر لهذه التسمية وهو كونها مقبرة قديمة فكانت جثث الموتى تُنقل إلى النجف بواسطة السفن (المهيلات)؛ لأنه لا تُوجَد وسائط نقل كالسيارات أو القطارات، ولذلك فإن نقل الجثث يكون بواسطة البرُم (أي الحِب) الفخارية وتُوضَع الجثة في البرمة على هيأة القرفصاء. وهي طريقة الدفن البابلية القديمة وتُغلَق البرُمة ثم تُنقل إلى السفن لنقلها إلى النجف، وكانت هذه المنطقة مكان تجميع تلك البُرم وهي تقع على نهر العشار الذي يرتبط بشط العرب ومنه إلى الفرات ثم النجف.

٢. أم الدجاج:

قال البازي: سُمِّيت هذه المَحلَّة بهذا الاسم نسبةً إلى الدجّاجين وهي الحمالون وأعوان الملاّكين، ونَسَبَ الاسم بعضهم إلى وجود الكثير من طيور دجاج الماء الذي كان يملأ المنطقة، لأنّها كانت منخفضة وفيها المستنقعات[2].

٣. أم قصر:

قال البازي: كانت تُسمّى بالصابرية نسبةً إلى جماعة الصوابر الذين كانوا يسكنونها أو لأنَّ مائها كان مُرَّاً بطعم ثمرة الصَبر، فكان اسم المنطقة أولاً صبرية ثم حُرِّف إلى صابرية، وسُمِّيت بأم قصر نسبةً إلى أحد تجار البصرة واسمه بن رِزق الذي بنى فيها أولاً بعض الأكشاك والبناء الطيني، ثم لما رغبَ فيها بنى قصراً فخماً وسَورَّه بسورٍ حصين واتخذ منه مشتاً وداراً ربيعياً للصيد ثم اتُّخِذَ كهمزة وصل لنقل البضائع واستيرادها، وبناء القصر كان سنة ١٨١٦ هـ[3].

ولكنه في مقالةٍ أخرى تَحدَّث فيها عن الفاو، فذكر أن تسمية الصابرية سُمّيت بها الفاو، إذ قال: الفاو اسم يُطلق على منطقة نهاية جنوب العراق في محافظة البصرة

---

(١) لقاء مع مؤرخ البصرة: محمد خضير ص٥٩.

(٢) مقالته (الأنهار الستة وشناشيلها وقصورها).

(٣) مقالته (البصرة كتبت تأريخ الحضارة).

ممتدة على شط العرب والخليج العربي، وهو اسم ليس بالقديم لمُسمَّى هذه البقعة حيث لم تذكرها المصادر القديمة وحتى إلى ما قبل ثلاث قرون، بل إنّ المنطقة كانت تدُعى بالصابرية لسببين الأول كون أن جماعة من عشيرة الصوابر كانو يسكنون هناك، والثاني كون ماء المنطقة مُرّاً يشبه الصبر. ونحن برجوعنا إلى التأريخ البعيد نرى أن الآشوريين كانوا يُسمّون الخليج العربي باسم مار مراثو أي البحر المُرّ نظراً لمرارة مائه، ولما كانت منطقة الفاو تقع على الخليج العربي فقد أكسبتها صفة مرارة ماء الخليج، وهكذا يكون اسم الصابرية دلالة على عروبة المنطقة وعراقيتها حيث أنها اسم لمُسمّى آشوري قديم[1].

وقد أطلق هنا اسم الصابرية على منطقتين هما أم قصر والفاو، ولم يتضح هنا أن كانت إحداهما تختص بهذا الإسم أم أن الصابرية تشمل الإثنين معاً وهو أمر مستبعد للمسافة الكبيرة بين البلدتين.

٤. أم النعاج:

قال البازي: في سنة ١٨٦٢ عُيِّنَ لولاية البصرة الحاج علي أفندي (وكيلاً) وقد حَدَثَ في ربيع تلك السنة ارتفاع في المياه ظهرت على أثره أسراب من الطيور المُسمَّاة نعيج الماي وكانت تَكثُر خاصة في منطقة منخفضة حول سور البصرة وبعد امتداد نهر الخورة وباتجاه الصحراء فكانت بحيرة أو هور غَطَّته الألوف من نعيج الماء التي هَرَعَ إليها الناس ليصطادونها، ثم بعد انحسار الماء أُبقيَ الإسم على المنطقة باسم مَحَلَّة أو منطقة أم النعاج فهي ليست كما يتَصوّر البعض أن نسبتها إلى أنثى الخروف النعجة[2]. وقد ذكر ذلك في مقالته حديث مختصر عن البصرة.

٥. البراضعية:

قال البازي: وأصلها براذعية نسبةً إلى رجل كان يعمل البراذع وهي نوع يُسمى

---

(١) مقالته (ماذا تعرف عن الفاو).

(٢) مقالته (حديث مختصر عن البصرة).

في البصـرة (الرَحل) يُوضَع فوق الدواب للحمولة[1]، وفي لسان العرب أن البرَذَعـة الحِلس الذي يُلقىٰ تحت الرحل والجميع البراذع وخص بعضهم به الحمار[2].

٦. البروانة:

قال البازي: وأتَصوَّر أن هناك الكثير مـن النـاس لا يعـرف منطقـة بصـرية وفي ضاحية العشار اسمها (البروانة) وهي تقع علىٰ شط العرب بالقرب مـن الـدوكيارد (المَسفَن) وسُمِّيت نسـبةً إلىٰ البروانـة وهـي مروحـة البـاخرة وذلـك سـنة ١٩١٠، لوجود مئات المراوح منها مرمية في هذه المنطقة[3].

٧. البصـرة:

قال البازي: لم تُمصـر البصـرة سنة ١٤ هـ وإنما أَسَّسها عتبة مـن غـزوان في هـذا التأريخ، ومُصـرت أي بُنيت وأصبحت حاضـرة سنة ١٦ هـ، فالبصـرة بُنيـت أول بنيانها بالقصب، وكانت حِصناً عسكرياً يستريح فيه الجُنـد، أمـا قبـل هـذا التـأريخ فكانت تُسمَّىٰ (الخُريبة)، وقد وصف الإمام علي أهل البصـرة بالمؤتفكة أي المُنقلبة، مما يدل علىٰ وجود مدينـة سـابقة، وكـان اسـمها بالكلدانيـة (بصـرياثا) أي مدينـة المُستنقعات أو الأكواخ لأنها كانت مغمورة بالأهوار، ولا علاقة بين الإسم الكلداني والاسم الحالي للمدينة لأنَّ اسمها الحديث (البصـرة) مشتق مـن الحجـارة البيضـاء الرخوة، كما كانت المدينة موجودة في عصـر أسـرحّدون وقد نَزَلَ بها قبل أن يمضـي للقضاء علىٰ دولة (عِيلام) الفارسـية، وانحدرَ أسـرحّدون في نهر الفـرات ونَـزَلَ في مدينة تردن وهو اسم المدينة القديم[4] هذه التسمّيات هي لمناطق في البصـرة وليست

---

(١) مقالته (حديث مختصـر عن البصـرة في ماضـيها وحاضـرها).

(٢) لسان العرب: لابن منظور ت٧١١ هـ، صحَّحها محمد الصادق العبيـدي، طبعـة دار إحيـاء الـتراث العربي، بيروت لبنان، ط ١ سنة ٢٠١٠ مادة (برذع).

(٣) مقالته (حديث مختصـر عن البصـرة).

(٤) لقاء مع مؤرخ البصـرة حامد البازي محمد خضـير ص٥٩.

تسمّيات للبصـرة.

٨. بلجان:

قال البازي: والعامّة تُسمّيها بلچان وهي من الـبلج أي الفرضـة بـين الحـاجبين، ويقول ياقوت الحموي في معجمه أن بلجان نهرٌ كبير بين البصـرة وعبادان وأني رأيتهُ مِراراً آخره سنة ٥٨٨ هـ وفي بلجان فرضةٌ كبيرة لمراكب كيش التي تحمـل البضـائع إلى الهند[١]. وعند الرجوع إلى معجم البلدان لـياقوت فهو لم يقل إنه نهر، بل قال هـي قرية ونصه هو بَلجان. بالفتح ثم السكون وجيم وألف ونون قرية كبيرة بين البصـرة وعبّادان رأيتها مِراراً آخرها سنة ٥٨٨ هـ أو بعدها وهي فرضة مراكب كـيش التـي تحمل بضائع الهند، وبعدها قلعة ووالٍ من قبل ملك كيش ليس لمتولي البصـرة معـه فيها حكم، ثم جرى بين صاحب كيش وصـاحب البصـرة خـلافٌ أدّى إلى تحويـل أصحاب ملك كيش إلى بُليد في طـرف جزيـرة عبَّـادان مـن جهـة البصـرة تُسـمّى المحُرزة وصارت فرضة المراكب وهي باقية على ذلك إلى هذا الوقت، وبَلجان أَيضـاً من قُرى مرو[٢].

٩. البوارين:

قال البازي: وقد اشتُقّ اسمُها من البور وهي الأرض التي تُترَك سنة لتُـزرَع مـن قِبل أهل المنطقة[٣].

١٠. التنومة:

قال البازي: التنومة سُمّيت بالنسبة لأرضها التي كانت تُنبِت التنوم وهو نوع من الأشجار الشوكية له ثمرٌ أسـود مُشَّـب بـالحُمرة يبـدو كـالقمر المخسـوف وهـو لا

---

(١) مقالته (حديث مختصـر عن البصـرة).

(٢) معجم البلدان يَاقوت الحموي البغدادي ت ٦٢٦هـ، طبعه دار إحياء التراث العربي، بـيروت، سـنة ٢٠٠٨، ١/ ٣٧٧.

(٣) مقالته (شـرق البصـرة وأهم أنهار المنطقة).

يُؤكل[1] وقيل إنها سُمّيت على اسم شجر التنّوم وهو يشبه الحنَّاء وكان يُستعمل للزينة وصبغ شعر النساء وقال النبهاني في التحفة هي تل نومه وليس تنومه[2]، وبهذا سيكون هذا الاسم لتل وليس لشجر التنوم.

١١. الجُبيلَة:

قال البازي: قال لي أحد سكان منطقة الجبيلة: إنّ هذه المنطقة كانت في قديم الزمان مرتفعة على شكل جبل صغير يُسمّى (جبيل) وعُرِفَت المنطقة باسمه، ولكن الحقيقة أنّ الجبيلة معناها أرض تسكنها جماعات غير متجانسة من الناس ولأنَّها تقع بين نهري معقل من شمالها والخندق من جنوبها وهي خالية وقريبة من المرافئ فهي مقصد سكن العمال والعاملين في السفن، وقال آخر: إنّ أحد المتصوفة من منطقة الجبيل البحرانية كان يسكن هناك ويُدعى بالجبيلي وقد تُوفي ودُفِنَ هناك وكانت له كرامات فَسُمِّيت المنطقة باسمه أو أنه من جُبيل لبنان[3].

١٢. الجسر الأحمر:

قال البازي: شيد على نهر الخندق وفي منطقة الساعي جسر سُمِّيَ بجسر ليك إلاّ أن الناس سِمّونه بالجسر الأحمر خاصة بعد أن جُدِّد وأُطلي بالصبغ الأحمر سنة ١٩٣٢. كذلك إلى ما قبل سنين قليلة حيث أُبْدِلَ صبغَهُ بالأبيض عِلماً بأنه كان اسم علم لمنطقة أصبحت تُسمّى مَحلَّة الجسر الأحمر وأنا أرجو أن يُعاد صبغه بلونه التراثي الأحمر[4]، وكان قد بُني هذا الجسر سنة ١٩١٧ وهو يربط محلة الساعي من الجهة الجنوبية مع محلة الطويسة من الجهة الشمالية، وقد تم صبغه الآن باللون

---

(١) مقالته (حديث مختصر عن البصرة).

(٢) التحفة النبهانية في تأريخ الجزيرة العربية: للعلاَّمة محمد بن العلاَّمة الشيخ خليفة بن حمد بن موسى النبهاني الطائي، المطبعة المحمودية، بمصر، ط ٢، سنة ١٣٤٢هـ ص٤٤.

(٣) مقالته (الأنهار الستة وشناشيلها وقصورها).

(٤) المصدر نفسه.

الأحمر.

١٣. الحبابة:

قال البازي: من أقدم مقاطعات البصرة حتى قيل تُنسَب إلى أملاك الحباب بي يزيد المجاشعي الذي عاش في القرن الثاني للهجرة وقد سُمِّيت باسمه[١].

ويُطلق على النهر الكبير، والذي هو أكبر من باقي الأنهار والنُهيرات والجعاض ويُستَعمل كثيراً في سبيل تحديد المناطق وتحديد حدودها، ومن أشهر تلك الخروم هناك خرم الدورة وخرم الزيادية وخرم الدويب[٢]. وعند رجوعنا إلى كتب الجغرافية وجدنا الأستاذ سالم سعدون المبادر يقول: الخرم جدول (نهر) أكبر من بقية الجداول الأخرى وهو مصطلحٌ محلي. كثيراً ما تحِدُّ الجُزر من جهة الغرب في الجهة العراقية كخرم الدويب وخرم الدورة وخرم الزيّادية، وخرم الدويب هو الحَدّ الفاصل بين كوت بندر والحدود الجنوبية لناحية السيبة التابعة لقضاء أبي الخصيب[٣].

١٤. الخرم:

قال البازي: والذي أُريد أن أقوله أن المؤرخين قديماً يُعدِّدون أسماء الأنهار وأكثرهم إلاّ ما ندر يصفها بوصفٍ واحد هو (نهر) دون أن يُفرَّق بينهما، حيث هناك (الخرم) وجمعه أحرام وهو مصطلح معروف في منطقة الفاو.

١٥. الخَور:

قال البازي: والخَور في اللغة هو المُنخَفض من الأرض بين نشزين ولا تُستعمل هذه الكلمة إلاّ إذا كان لطريق مائي وهو بفتح الخاء وسكون الواو، وتُجمع على

---

(١) مقالته (شرق البصرة وأهم أنهارها).

(٢) مقالته (ماذا تعرف لمن الفاو؟).

(٣) القاموس المحيط، مجد الدين الفيروز آبادي، إعداد وتقديم: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي، ط٢، سنة ٢٠٠٣، ٢/ ٢٥ مادة الخوار.

(أخوار) وهي عبارة عن مدخل لمياه الخليج المالحة المنتهية إلى اليابسة أو قربها[1]، وجاء في القاموس المحيط والخَوَر: المُنخَفض من الأرض والخليج – من البحر ومصب الماء في البحر[2] وفي البصرة خور موسى، وخور عبد الله وخور الزبير.

١٦. الدحيمي:

قال البازي: أما الدحيمة أو الدحيمي كما تُسَّمى أيضاً، فهما قريتان على نهر يُطلق عليه اسم الدحيم والذي معناه شدة الدفع حيث تزداد سرعة الجريان في هذا النهر[3]، وفي القاموس المحيط دَحَمَهُ كمنعهُ دَفعهُ شديداً[4].

١٧. الدعيجي:

قال البازي: والدعيجي سُمِّيت القرية على آسم النهر وفيها تشبيه بتسمية العرب لأرض جنوب العراق بالأرض السوداء، وذلك لكثرة النخيل التي تُشاهَد عن بُعد فتظهر سوداء، وهكذا أرض منطقة الدعيجي فهي كثيفة النخيل وعلى شكل غابة لا يمكن رؤية مَنْ فيها. ولذلك أخذت هذه الصفة من شدة سوادها، وأهل المنطقة يقلبون الجيم إلى ياء ولذلك يقولون دعييي[5]، وجاء في القاموس (الدُعجة بالضم سوادُ العين مع سعتها والأدعج الأسود والدعَّجاءُ الجُنون وأولُ المُحاق[6].

١٨. الدغيمات:

قال البازي: ونهر الدغيمات يُذكر أحياناً باسم نهر الدغيمي وهو تسعة أنهر، ولقد جاء اسم النهر من أوصافه، والدغم هو الإدخال، وكانت جميع أنهر الدغيمات

---

(١) مقالته (لماذا سُمِّي بشط العرب؟).

(٢) قضاء الفاو دراسة في الجغرافية الزراعية: سالم سعدون المبادر، منشورات مركز دراسات الخليج العربي، مطبعة الإرشاد، بغداد، سنة ١٩٧٨ ص١٦.

(٣) مقالته (شرق البصرة وأهم أنهار المنطقة).

(٤) القاموس المحيط، مادة (دَحَمَ).

(٥) مقالته (شرق البصرة وأهم أنهار المنطقة).

(٦) القاموس المحيط، مادة (دَعَجَ).

ذات فروع مُتشعِّبة ومتداخلة بعضها بالبعض[1]. وقال ابن منظور: دَغَمَ الغيثُ الأرض يدَغَمَها إذا غشيها وقهرها، والإدغام هو الإدخال ومنه إدخال حرفٍ في حرفٍ وكذلك الإدغام إدخال اللِّجام في أفواه الدواب وأَدغَمَ الفرس اللِّجام أدخَلهُ في فيه[2].

١٩. نهر الرباط:

قال البازي: ونهر الرباط يُنسَب إلى رباط لمالك بن دينار المُتصوّف البصري، وكان هذا الرباط على فوهته وقد شُقَّ النهر بعد تَشييد الرباط[3]، وبهذا الصَّدَر قال ابن بطوطة ت ٧٧٩هـ عن هذا المكان: فنزلنا بها (أي البصرة) رباط مالك بن دينار[4].

٢٠. كوت الزين:

قال البازي: قِيل إن هذا الإسم جاء لأنّ صاحب الأرض كان جميلاً فَسُمَّي زيناً كما قال آخرون: إن الزين هو عُرف الديك ولما كانت هذه الأرض مرتفعة عن النهر سُمِّيت زين[5]، وقال أحد المعاصرين: كانت لرجلٍ يُقال اسمه حسن الصوري ذو جمالٍ باهر من مدينة صُور العُمانية من خيرة رجال العرب أتى من البادية وعَمَّرَ هذه الأرض فَسُمِّيت باسمه[6].

---

(١) مقالته (شرق البصرة وأهم أنهار المنطقة).

(٢) لسان العرب مادة (دَغَمَ) ١٢/ ٢٠٢.

(٣) مقالته (الأنهار الستة وشناشيلها...).

(٤) رحلة ابن بطوطة المُسمّاة (في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار) تحقيق محمد عبد الرحيم، نشر دار الفكر ومؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، سنة، ٢٠٠٩ ص ١٠٢.

(٥) مقالته (حديث مختصر عن البصرة).

(٦) مُسمّيات البصرة: عبد الله رمضان آل عيادة، دار تموز للطباعة والنشر، دمشق، سنة٢٠١٥، ص٧٦.

٢١. السـراجي:

قال البازي: وأقول إن منطقة السـراجي التـي هـي نسـبةً إلىٰ رجـلٍ كـان يعمـل السـروج[١] وقال كذلك: هي نسبة إلىٰ رجلٍ كان يعمل السـروج في المحـل المـذكور لآل راشد الذين ملكوا البصـرة بعد السبعمئة وواحد من الهجرة[٢].

وقال السمعاني في شـرحهِ لمقامات الحريري: إن سـروج قرية من قُـرىٰ البصـرة تُعرف الآن بالسَّـراجي لوجود العلماء والزهّاد ومنهم الشـيخ عبد العزيـز المرجـاني والشـيخ نَصـر السّمّان* وهما سـراجا القرية المذكورة[٣].

٢٢. سفوان:

قال البازي: فإذا قيل سفوان من سَفَّ التراب يَسفُّ كان يجـب أن يـأتي بالمصـدر سفياناً، ولكن جاء سفوان علىٰ غير قياس كما وأن صفوان وهو الحجر الأملـس، لـه أثر في أرض سَفوان حيث يكثر هذا الحجر، وقال الشاعر البصـري قديماً:

جاريـــــة بســـــفوان دارهـــــا تمشـــــي الهوينـــا مائـــل خمارُهـــا

كما قال أبو نواس:

يـــا حبـــذا ســـفوان مـــن مُتربِّـــعٍ إذ كـــان مجتمـــع اللـــوىٰ ســـفوانُ[٤]

وقال الفيروز آبادي: والسَفَنُ مُحَرَّكة جلدٌ أَخشَنُ وحَجر يُنحَتُ به[٥]

وعند مراجعة ديوان أبي نواس كان البيت

يـــا حبـــذا ســـفوانُ مـــن مُتربِّـــعٍ ولـــربَّما جَمَـــعَ الهـــوىٰ ســـفوانُ

وهو من قصيدة مطلعها:

---

(١) مقالته (حديث مختصـر عن البصـرة).

(٢) مقالته (الأنهار الستة وشناشـيلها...).

(٣) قيل أنّ من ذريته الكاتبة المعروفة غادة السَمّان.

(٤) شـرح مقامات الحريري للسمعاني نقلاً عن حامد البازي في مقالته (الأنهار الستة وشناشـيلها).

(٥) مقالته (حديث مختصـر عن البصـرة).

حَـــيِّ الـــدِّيارَ إذ الزمـــانَ زمـــانُ وإذ الشَّـــباكُ لنـــا حَـــرِّىٰ ومَعـــانُ

وقد وردت في القرآن بقوله تعالىٰ: فمثله كمثل صفوان عليه تُراب فأصابه وابلٌ فتركه صلداً[1]

٢٣. الشلامچة:

قال البازي: الشلامچة لفظة أُخذت من الشلمج أو ما يُسمَّىٰ الشليم أو الزؤان وهو نباتٌ طفيلي كان ينبت بين سنابل الحنطة وله حَبٌّ مثل الحنطة. ولكنه رديء وكان يكثر في هذه المنطقة قبل أن تصل أيدي الإصلاح إليها[2].

وذكر ياقوت آسماً مُقارباً لها فقال: منطقة شلام بوزن سلام بطيحة بين واسط والبصرة[3].

٢٤. الشناشيل:

قال البازي: ولفظة شناشيل مغولية تركية جاءت البصرة بعد سقوط الدولة العباسية وهي تَتكوَّن من مقطعين (شاه) أي ملك (نشن) أي مجلس، وعلىٰ هذا فهي تعني مجلس المَلك أو المقصورة، لأن الشناشيل في بنائه الأول عبارة عن مقصورات ثم حُوِّر إلىٰ منزل سكن عام، ونقول شناشيل للمفرد وشناشيلات للجمع وليس مفردها شنشول كما يَعتَقدُ البعضُ وهي علىٰ لغة أكلوني البراغيث وأنّ الأغنية الفولكلورية تؤيد ذلك:

فـــــدوة للشناشـــــيلات تگعـــــد بـــــيهن الحلـــــوات

تكثـــــر بـــــيهن الضـــــحكات فـــــدوة للشناشـــــيلات[4]

ويقول أحد الباحثين المعاصرين: يُعتَقَد أن هذه التسمية مشتقة من كلمتين في

---

(١) القاموس المحيط مادة (سفنه) ٤/ ٢٣٦.

(٢) الديوان، حقَّقه أحمد عبد المجيد الغزالي، الناشر دار الكتاب العربي، بيروت، د. ت، ص٤٠٤.

(٣) سورة البقرة: الآية ٢٦٤.

(٤) مقالته (شرق البصرة وأهم أنهار المنطقة).

اللغة الفارسية هي (شاه نشين) والتي تعني خبر مجلس الملك... وعند الرجوع إلى ما تعنيه هاتين الكلمتين في معاجم اللغة الفارسية وجدنا أنّ كلمة (شاه) تعني الملك أو السلطان و(نشين) تعني المَقَعد أو الثقب إلاّ أن هناك كلمة آخرى هي نشمين وتعني محل الجلوس. فربما يكون المصطلح مشتق من شاه نشمين والتي معناها محل جلوس الملك... وقد تكون من أصلٍ لغوي عراقي قديم فمن المُحتمل أن يكون بهيئة Samas-il ولَعلَّ التوافق الموجود ما بين samas وكلمة sanas يدعونا إلى الاعتقاد بأنَّ samas-il هي sanasil لأنَّ دلالة الكلمتين ترتبط بضوء الشمس وعلاقة الشناشيل بضوء الشمس علاقة مباشرة (المشربيات – الشناشيل)[1].

٢٥. الصالحية:

قال البازي: ونهر الصالحية تدخله السُفن الشراعية والقوارب البخارية وعلى مدخله رصيفٌ جيد ومياهه وافره تكفي للسكان الذين يعيشون على ضفتيه برفاه، ومنهُ أُخِذَ اسم الصالحية، وذلك من الصلاح. والمعروف عن أهل البصرة أنهم يطلقون اسم صالح على النعمة الوافرة وليس صحيحاً أن الصالحية نسبةً إلى الشيخ صالح باش أعيان، لأنَّ اسم الصالحية يُطلق على هذا النهر منذ أزمنةٍ بعيدة[2].

٢٦. الصنگر:

قال البازي: له معنيان أو أصلان، المعنى الأول فارسي، فكلمة (سنك) بالفارسية تعني الحجارة الكبيرة، وكان هذا الموقع مرفأً تكثر فيه الصخور الكبيرة. أما المعنى الثاني: فعربي أصله من كلمة (سنجر) وجمعها سناجر أي المرفأ العسكري أو القلعة والأرجح أن أصل التسمية عربي. وفي الماضي كان هذا المرفأ قلعة حربية شأنه شأن المرافئ الأخرى على شط العرب وقد أطلق الأتراك لفظة (سنجق) على

(١) معجم البلدان: ٣/ ١٥١.

(٢) مقالته (الأنهار الستة وشناشيلها).

كل قلعةٍ من هذه القلاع، أما العشائر فكانت تطلق على العَلم اسم سنجر فيقولون (رفعوا سناجرهم) أي رفعوا أعلامهم[1].

٢٧. عبّادان:

قال البازي: عبّادان وهي التي سمّاها ياقوت ليان روذان ومعناه بالفارسي وسط الأنهار[2]. وعندما رجعنا إلى معجم ياقوت الحموي وجدناه يقول: والعَبّاد الرجل الكثير العبادة وأما إلحاق الألف والنون فهو لغة مُستَعمَلة في البصرة ونواحيها وإنهم إذا سَمَّوا موضعاً أو نسبوه إلى رجلٍ أو صفةٍ يزيدون في آخره ألفاً ونوناً كقولهم في قرية منسوبة إلى زياد بن أبيه زيادان وأخرى إلى عبدالله عبد اللِّيان وأخرى إلى بلال بن أبي بردة بلان... والعجم يُسمّونها ميان روذان لما ذكرنا من أنها بين نهرين ومعنى ميان وسط وروذان الأنهر[3]، وهو ليس كما قال البازي ليان روذان بل ميان روذان. وقد سكنها عبّاد بن الحصين.

٢٨. العجيراوية

قال البازي: نسبةً إلى العجير الذي هو مُصغَّر العجر، وقد عَرِفه العرب فقالوا عجر أي سَمُنَ وضَخُمَ بطنهُ، فهو أعجر. كما وأن العجر أي الأحدب وأهل البصرة ينسبون أراضيهم وأنهارهم إلى بعض الأعلام والأوصاف والأحداث، ولما

---

(١) مقالته (شرق البصرة وأهم أنهار المنطقة).

(٢) لقاء مع مؤرخ البصري حامد البازي: محمد خضير ص٥٩.

وقال البازي في مكان آخر عن الصنگر: ((لفظٌ معناه القلعة تتُخذ للإلتجاء إليها أثناء الحصار وأنَّ جمعه صناگر وأنها تُدعى أيضاً المفتول وأن آثار هذا المفتول لا يزال في منطقة الصنگر إلى اليوم وهو على شكل بناء متهدِّم وكان في أيام الدولة العثمانية فيه عدد من العساكر)) يُنظر: مقالته (حديث مختصر عن البصرة)، وذهب أحد الباحثين المعاصرين إلى أن سبب التسمية هو وجود مرسى للسفن البحرية (صنگر) لإصلاحها وعليه سُمِّيت هذه القرية بالصنگر، يُنظر: مُسمّيات البصرة عبد الله رمضان آل عياده ص٦٥

(٣) مقالته (البصرة كما هي).

كانت ثمار هذه المنطقة، الفردة منها (الثمرة) كبيرة ومملوءة وريّانة ومنتفخة فهي على هذا الوصف والصورة عجير ثم صُغِّرت لتصبح عجيرة ونسبة الأرض إليها عجيراوية خاصة بعد إطلاق صفة التحبب إليها[1]. وقال الفيروز آبادي: عَجِرَ أي كفَرِحَ غلظ وسَمُنَ وضَخُمَ بطنه فهو أَعجر، والعُجرة بالضم موضع العَجر والعُقدة في الخشبة ونحوها... والعجاجير كُتل العجين[2].

٢٩. الفاو:

قال البازي: الفاو أصله فأو، أي الطريق المائي المُنبَسِط بين مرتفعين، ومنطقة الفاو عبارة عن لسان مائي أو كما قِيل إنّ (الفاو) معناه الخبز في البرتغالية حينما كان البرتغاليون يسيطرون على الخليج العربي في القرن السادس عشر. وكانت هذه المنطقة مهبط نزولهم فيها للراحة وشراء الخبز من أهلها[3]. ويقول الأستاذ سالم سعدون المبادر: كلمة الفاو في الأصل فأو، وتعني الأرض المكشوفة للناظر أو الأرض المحصورة بين مرتفعين وأن سكان المنطقة يُسمّونَ كُلَّ منطقة محصورة بين حاجزين ومفتوحة من الأمام (بالفاي) أي الفراغ وهناك منطقة شمال المُحمّرة (خُرم شهر) خالية من النخيل وتَطلُّ على شط العرب تُدعى الفيّة لخلوها وإنكشافها وكذا جاءت كلمة (الفأو) الفج الواسع بين جبلين ولما كان الفاو يطلُّ على مدخل الخليج العربي فهو مكشوف أمام الناظر إلى الجنوب ومن هذه التعاريف اشتُقَّ اسم الفاو[4]. وفي مقالٍ آخر قال البازي: إنّ أصل كلمة فاو تعني الأرض المكشوفة للناظر الواقعة بين أرضين مرتفعتين عنها، وتلك تظهر بالنسبة للقادم من البحر، فهي اسم شعبي يطلقه أبناء منطقة جنوب البصرة على كُلّ بقعة محصورة بين حاجزين ومفتوحة من

(١) معجم البلدان ٣/ ٢٩٠-٢٩١.

(٢) مقالته (شرق البصرة وأهم أنهار المنطقة).

(٣) القاموس المحيط مادة (عَجَرَ) ٢/ ٨٨.

(٤) مقالته (حديث مختصر عن البصرة).

الأمام فهي (الفَيَّه) أي (الفَجَّة) وتعني الفارغة أو (الفاو) ويعنون بذلك الفراغ[1].

٣٠. القرنة:

قال البازي: كان اسمها مَطّارة، ولم يكن دجلة ليلتقي مع الفرات فيها، وهي قديمةُ البُنيان، يُقال أنها كانت من نصيب سلوقس[*] من أولاد الإسكندر المكدوني، وقد شيد القرنة لزوجته، وفي سنة ١٦٠٦ م في عهد علي باشا[**] جَدَّد بناء المدينة وسَوَّرها بخندقين مع سورٍ قوي وحَشَدَ فيها حاميةً كبيرة ليجعلها قلعةً تصد الأعداء عند إمارته البصرية، وقد سمّاها (العلية) نِسبةً إليه[2].

٣١. كارون:

قال البازي: يُقال إن اسمه فارسي (كوه رنك) أي الجبل المُلَّون وذلك نسبةً إلى الجبل الذي ينبع منه وقد أَطلَقَ العرب عليه قديماً اسم دجيل الأحواز، وهو اسم مأخوذ من تصغير دجلة[3]. والأدق أن كوه رنك تعني اللون الأصفر.

٣٢. گردلان:

قال البازي: ومن مناطق البصرة شرق شط العرب گردلان وهي قلعة مقابلة للعشار. ومما تجدر الإشارة إليه أن أهل البصرة كانوا إذا أرادوا نسبة أرضٍ أو محلةٍ أو مقاطعةٍ إلى شخص أضافوا الألف والنون إلى آخره فقالوا في حمد حمدان ويوسف يوسفان وعويس عويسان، وهكذا قُرىٰ جنوب البصرة كذلك مهيجران وعبداليان[4].

ولكن الأستاذ عباس العزاوي يقول عن كَردلان: تعني أرض التل أو مأوىٰ التل

---

(١) قضاء الفاو: سالم سعدون المبادر ص١٧.

(*) سلوقس ليس من أولاد الإسكندر بل أحد قادة جيش الإسكندر.

** يقصد علي باشا أفراسياب.

(٢) مقالته (ماذا تعرف عن الفاو).

(٣) مقالته (حديث مختصر عن البصرة).

(٤) مقالته (البصرة كما هي).

وفي كلشن خلفا* جاءت غلطاً بلفظ (كردكان) واللفظة تركية لا كردية على ما أكدَّ لي الأستاذ بسيم آتالاي وأورد ألفاظاً كثيرة في التركية على هذه التركيب وتقع كردلان في الجانب الشرقي من شط العرب في مقاطعة تنومة وهي تجاه البصرة تماماً[1].

وأضاف الأستاذ عباس العزاوي قائلاً: وكان قد بنى العجم في الجانب الشرقي من البصرة قلعةً جديدة في محلٍّ يُقال له (كَردلان)، وكَردلان معناها مأوى التل، فَسُمِّيت كذلك[2] وقال أحد الباحثين المعاصرين: ومن المنشآت التي لها صفة الدفاعية – التي تم بناؤها في بداية عهد علي باشا – قلعة گردلان التي تقع في الجهة الشرقية من شط العرب مقابل نهر العشار تقريباً،وقد نوّه عنها المؤرخون باعتبارها أحد القلاع المهمة في تلك الجهة... ويبدو أن النشاط الإستيطاني تزايد فيها بحيث أصبحت قريةً كبيرة في سنة ١٠٧٩ هـ – ١٦٦٨م يسكنها عددٌ كبيرٌ من الناس ولَعلَّها أصبحت في العقود التالية مُتنزَّهاً ومكان استجمام لبعض الأُسر البصرية، وربما اتخذتها الدولة العثمانية بعد احتلال البصرة نقطة مراقبة تجاه بلاد فارس.[3].

٣٣. المِربد:

قال البازي: إنها بكسر الميم وسكون الراء المُهملَة وفتح الياء المُوحّدة وسكون الدال المُهملة، ويعني كُلَّ شيء حَبستَ فيه الإبل، وكانت العرب عندما قدموا إلى هذه المنطقة سنة ١٤ هـ – ٦٣٥ م بقيادة عتبة بن غزوان أناخوا بهذا الموضع، والمعروف عن هذه المنطقة أنها كانت قبل الإسلام مناخاً ومُحطّاً للقوافل التي ترد إليها أو تصدر عنها[4].

---

* هو أحد كتب التأريخ كُتِبَ باللغة التركية.

(١) مقالته (حديث مختصر عن البصرة).

(٢) تأريخ العراق بين احتلالين ٥/ ٩٧.

(٣) المصدر نفسه ٥/ ١٥٠.

(٤) البصرة في مطلع العهد العثماني: د. حسين علي المصطفى، دار تموز، دمشق، سنة ٢٠١٣، ص٧٩.

٣٤. المشـراق:

قال البازي: أُخذِت الكلمة من التشاريق حيث تُسمىٰ النجفـة أيضـاً وهـي محـل تساقط الغيث[١]. فقد يكون السبب لارتفاع أرضها قياساً لما جاورها.

٣٥. المعامر:

قال البازي: كان راشد السعدون قد اشـترىٰ سـنة ١٨١١م المطوعـة والبهادريـة وقد أَوقَفَ حاصلات الأخيرة علىٰ فقراء المدينة المنورة وكذلك هناك الدواسـر التي كانت ضمن أراضـي يوسف الخليفة وكانت مُهملة ولكن راشد السعدون اشـتراها وعَمَّرها فَسُمِّيت تعامير راشد ثم اختُصـرت إلىٰ المعامر[٢].

٣٦. مهيجران:

قال البازي: سُمِّيت بذلك لأنَّها موضع هجرة آل راشد[٣].

٣٧. الموفقية:

قال البازي: بناها القائد العباسـي المُوفّق علىٰ ضفاف شط العرب وبـالقرب مـن مدينة المُختارة عاصمة الزنج في ثورتهم سنة ٢٥٥ هـ[٤].

٣٨. نهر جاسم:

قال البازي: ومنذ القِدم لم يُعرَف لأي جاسم يُنسَب وقد حَدَّثني الشـيخ منصـور الكنعان نقلاً عن أبيه أنَّ اسم النهر (الجاسم) وليس جاسم وهو يُنسـب إلىٰ وصـف الأرض المُرتفعة يعلوها الماء كما وأنـه يُقسِّـم منطقتـه إلىٰ قسـمين متسـاويين بقراهمـا وأنهارهما المتناظرة[٥].

---

(١) مقالته (حوار مُفصَّل عن المِربد...).

(٢) مقالته (حديث مختصـر عن البصـرة).

(٣) مقالته (ماذا تعرف عن الفاو؟).

(٤) مقالته (البصـرة كما هي...).

(٥) مقالته (البصـرة كتبت تأريخ الحضارة).

٣٩. نهير الليل:

قال البازي: هو تسمية متأخرة فهذا المكان كان مَسكناً لآل ناهي وآل ضاحي لكن التسمّية تعود إلى نُهيرٍ صغير يتَفرَّع من شط العرب ويخترق بساتين النخيل وينتهي عند هذا المكان، وكان المُهرِّبون ينحدرون في هذا النهر ويخبئون بضاعتهم المُهرَّبة ومنها الأسلحة هناك، ولما كان نشاط المُهرِّبين يشتدُ ليلاً فقد أطلقوا على النهر الصغير اسم نهير الليل[١]. وزاد في مكانٍ آخر قائلاً: وهذه التسمية جاءت بعد الحرب العظمى الأولى حيث كان هناك نهر يتفرّعُ من شط العرب مُتجهاً إلى المقبرة الإنكليزية وقد استخدمه المُهرِّبون حيث كانوا يُخبِّئون الأموال المُهرَّبة ومنها السلاح ليلاً[٢].

وقمنا هنا بجمع مقالات البازي التي مَرَّ ذكرها، فقمنا بمراجعة المصادر التي أفاد منها البازي، وكذلك راجعنا المصادر التي ذكرت تلك الحوادث ولم يرجع لها البازي ولذلك فجميع الهوامش في هذا الكتاب لنا تماماً. إذ إن مقالات البازي تخلو من أي هامش. كما وقمنا بإعداد تمهيد لتلك المقالات وبهذا فنحن هنا نقدّم تأريخاً للبصرة كان منسياً.

---

(١) مقالته (شرق البصرة وأهم أنهار المنطقة).

(٢) لقاء مع مؤرخ البصرة حامد البازي، محمد خضير ص٥٩.
مقالته (حديث مختصر عن البصرة).

الفصل الأول

حوار[1] مُفصَّل عن المِربَد مع المؤرخ والفولكلوري البصري حامد البازي.

عن ماضي المِربَد.. عن مجالسه وحلقاته.. مراجعة تأريخية مع المؤرخ الأستاذ حامد البازي الذي اهتمَّ بكل ما يَتعلَّق بتأريخ البصرة القديم والمعاصر.

* كَثُرَ الحديث عن ضبط لفظة المِربَد... ماذا تقول بشأنها ؟

- قيل في ضبط لفظة المِربد على أنها بكسر الميم وسكون الراء المُهملة وفتح الباء الموحَّدة وسكون الدال المُهمَلة وهذا ما ذَهَبَ إليه (الأخفش)[2] وهو الأهم.

* لماذا؟

- لأنه عَلاَّمة البصرة

* وَمنْ يدعم قوله؟

- المعجم الوسيط والمُنجِد وياقوت الحموي والفرزدق والأصمعي وأبو نؤاس.

* ماذا تعني تسمية المِربد؟

- قال الأصمعي[3]: المِربَد كُلُّ شيء حَبَسَتَ فيه الإبل.[1]

---

(١) نشرت هذه المقابلة في صحيفة القادسية يوم الأحد ٢٣/ ١١/ ١٩٨٦ ص٧ بمناسبة يوم المربد.

(٢) المقصود بالأخفش هنا، الأخفش الأوسط ت٢١٥ هـ وهو سعيد بن مسعدة المجاشعي بالولاء البلخي ثم البصري أبو الحسن المعروف بالأخفش الأوسط نحوي، وعالم اللغة سكن البصرة وأخذ العربية عن سيبويه، وله تفسير معاني القرآن وغيره وزاد في العروض بحراً على الخليل يُنظر: الأعلام للزركلي ٣/ ١٥٤.

(٣) الأصمعي: ١٢٣-٢١٦ هـ هو عبد الملك بن قريب بن علي بن اصمع الباهلي، ولِدَ سنة ١٢٣ هـ ←

وكان العرب عندما قدموا إلى هذه المنطقة سنة ١٤هـ - ٦٣٥م بقيادة عتبة بن غزوان[٢] أناخوا بهذا الموضع، والمعروف عن هذه المنطقة أنها كانت قبل الإسلام مناخاً ومَحطّاً للقوافل التي ترد إليها أو تصدر منها ثم أصبحت في عهد الخلافة الراشدية سُوقاً عاماً لبيع الإبل والتمر وغيرها. ومن ثَمَّ بُنيت البيوت والقصور، ومنها قصر جعفر بن سليمان (الهاشمي) الذي يُقال فيه: العراق عين الدُنيا والبصرةُ عينُ العراق والمِربَد عينُ البصرة وقصر جعفر عين المِربَد[٣].

* ماذا عن أهمية المِربَد؟

- إضافة إلى أهمية المربد الأدبية والعلمية كانت أهمية عسكرية، وقد دَوَّنت ذلك كُتبُ الأدب والتأريخ حيث أصبحت يوماً ما معرضاً لكل قبيلة تعرض فيه مفاخرها وآدابها وشعرها.

وعَمَّر أكثر من تسعين سنة وتوفي سنة ٢١٦ هـ، روى عن أبي عمر بن العلاء، ورَوى عنه أبو حاتم السجستاني والمازني ونصر بن علي الجهضمي وأبو عبيد القاسم بن سلام وأبو الفضل الرياشي. له أكثر من أربعين مُصنّفاً ورساله في الغريب واللغة، كان يَتمتعَّ بحافظةٍ قوية وكان من أكثر الناس رواية للرجز، توفي في البصرة يُنظر: (من مشاهير أعلام البصرة) ص ١٠٤-١٠٥ د. عبد الحسين المبارك والدكتور عبد الجبار ناجي الياسري، منشورات مركز دراسات الخليج العربي، جامعة البصرة، سنة ١٩٨٣.

(١) جاء في أسواق العرب في الجاهلية والإسلام سعيد الأفغاني، بيروت ط٢ سنة ١٩٦٠ ص٤٠٨. (محبس الأبل ومربطها والمربد

أيضاً بيدر التمر لأنه يربد فيه فيشمس، ومِربَد البصرة هذا متَسع للإبل تُربَد فيه للبيع).

(٢) عتبة بن غزوان بن جابر بن وهيب بن نسيب... من مضر ويعرف بعتبة المازني وكان من الذين هاجروا إلى الحبشة، ثم رجع وهاجر إلى المدينة برفقة المقداد وقد شَهِدَ معركة بدر. المؤسس الأول لمدينة البصرة وقال له عمر بن الخطاب: (إني أريد ان أوجهك إلى أرض الهند)، وظَلَّ عاملاً على البصرة من ١٤هـ إلى ١٧هـ وبعد أكملَ فتح الأبلة ودَست ميسان ورَحَلَ إلى مكة لأداء فريضة الحج. ومات عند رجوعه للبصرة في الطريق سنة ١٧هـ ينظر: مشاهير أعلام البصرة ص٢٥٩.

(٣) ورد هذا النص في ثمار القلوب ص١٢٨، نقلاً عن أسواق العرب ص٤٠٩.

* لكن سوق عكاظ كان يقوم بنفس المهمة؟

- كان سوق عكاض يندثر... علماً بأن المِربَد كان قد فاق سوق عكاظ. حيث أن المِربَد دائم النشاط بينما كان عكاظ موسمياً، زيادة على ذلك أن في المِربَد تُعقَد المجالس والنوادي والحلقات ليقوم كُلُّ عالمٍ وشاعر ونحوي وفقيه مؤدّياً واجبه القومي وفيه جرت النقائض بين الفرزدق وجرير.

وإليه كان يقصد النحويون ليستمعوا إلى الأعراب وهم ينطقون الكلمات سليقةً وكما هي ليأخذها عنهم علماء النحو ويضبطونها.

* ما هي أسوأ مرحلة مرَّت بالمِربَد؟

- ليست مرحلة سيئة بل خراب المِربَد. وكان على يد صاحب الزنج عندما دَخَلَ البصرة وفَتَكَ بأهلها ستة ٢٥٧هـ[1]، واحترقَ المربد عِدة مّرات آخرها كان سنة ٣٢١هـ على يد طاهر سلمان بن الحسن الجنابي[2] وقيل إنَّ أبا القاسم

---

(١) في يوم الجمعة السابع عشر من شوال سنة ٢٥٧هـ سيطرَ الزنج على البصرة إذ دخلوها من ثلاث جهات بني سعد ونهر عدي وقصر أنس وجَرَتْ أعمال القتل والحرق طوال يومي الجمعة والسبت واستُبيحَتْ المدينة ثم انسحب القائد الأعلى للزنج علي بن أبان المُهلَّبي من المدينة خوف الكمناء، لكنه أعاد الكرّة يوم الإثنين فانتقم من أهلها شر انتقام وأحرقت النار بالمدينة من كُلُّ جانب، فألتهمت كُلَّ شيء مَرَّت به من إنسان وبهيمة ومتاع، وكذلك حرقوا مسجد البصرة الجامع ينظر: تأريخ الطبري ٧/ ٥٤٣-٥٦٧، والبداية والنهاية: لابن كثير ١١/ ٢٣-٢٤، وكذلك المجمل في تأريخ البصرة: علاء العيسى ص١٩٦-١٩٧.

(٢) في سنة ٣١١هـ وليس ٣٢١هـ دَخَلَ أبو طاهر سليمان بن أبي سعيد الجنابي والقرامطة البصرةَ، فعاثت فيها فساداً، ودخلت المربد وكان سبك المفلحي القائد بها فلما سمع الصيحة وقت الفجر خرج وهو يظن أنها لفزعةٍ دارت فلما توسّط المربَد يريد الدرب رأته القرامطة وهم وقوف بجانبي الشارع فشدوا عليه فقتلوه وقتلوا مَنْ كان معه وركض الباقون فأفلتوا وقاتلهم أهلُ البصرة في شارع المِربَد إلى عشا ذلك اليوم ولا سلطان معهم فلم يظفروا إلاّ بالنار فإنهم كُلما حووا موضعاً أحرقوا وانهزم أهلُ البصرة ورجال القرامطة في شارع المِربَد ومرُّوا بالمسجد الجامع وسكة بني سمرة حتى انتهوا إلى شط نهر البصرة المعروف بنهر ابن عمر وقال عريب بن سعد القرطبي (وكانوا ←

نصر بن أحمد الحميري دخل بعد هذا الحريق على أبي الحسن بن المثنى قائلاً له، ما قُلتَ في حريق المِربَد شيئاً فأجاب علي بن أبي الحسن بن المثنى: ما قلتُ شيئاً وارتجل هذه الأبيات.

أتتكلم شهود الهوى تشهد ... فما تستطيعون أن تجحدوا
فيا مربديون ناشدتكم ... على أنني منكم مجهد
جرى نفسي صُعدا نحوكم ... فمن أجله احترقَ المِربدُ
وهاجت رياحُ حنين لكم ... وظَلَّت به ناركم تُوقَدُ

* كيف يمكننا تحديد مكان المِربَد؟

- هو موضعٌ في الجهة الغربية من البصرة القديمة قبل الزبير وقرب ضريح الحسن البصري[1] على طرف البَر، وقد حَدَّدتهُ بالضبط وسأزودكم بصورة لمكان المربد... هذه الصورة نادرة ووحيدة، لأنَّ لا أحد حَدَّدَ مكان المربد بشكل حقيقي إلى الآن والمكان الحقيقي هو الذي يظهر في هذه الصورة.

* عندما تنتهي المواسم الأدبية للمِربَد... هل يَتحوَّل إلى مجرد سوق؟ وما دور أهل المِربَد في الحياة السياسية والثقافية للعراق؟

- كان المربد ميداناً لا صطراع الأهواء.. حيث كانت البصرة قلعة لمعارضة

يخرجون من البصرة ليلاً إلى معسكرهم بظهر البصرة ولا يبيت بها منهم أحدُ فرقا فأقاموا أياماً على ذلك ثم انصرفوا) ينظر: صِلة تأريخ الطبري: لعريب بن سعد القرطبي ص ٧٦-٧٧، وتأريخ الموصل: لأبي زكريا الأزري ت٣٣٤ هـ، تحقيق وتكملة: الدكتور أحمد عبدالله محمود، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٦، المجلد ٢/ ص٢٠٥.

(١) الحسن البصري هو الحسن بن يسار أبو سعيد تابعي كان إمام أهل البصرة وحِبر الأمة في زمنه وهو أحد العلماء الفقهاء الفصحاء ولِدَ بالمدينة وشبَّ في كنف علي بن أبي طالب، واستكتبه الربيع بن زياد والي خراسان في عهد معاوية وسكن البصرة، له مع الحجّاج بن يوسف مواقف سلم من أذاه، ولما ولي عمر بن عبد العزيز الخلافة كتب إليه، توفي في البصرة. ولادته سنة ٢١هـ، وفاته سنة ١١٠هـ. يُنظر: الأعلام ٢/ ٢٤

ومناوئة للسلطان. ومما لاشكَّ فيه أن المربديين كانوا من هذه القبائل، وعليه فان إشهار أهل البصرة للسيف كان يصاحبه سلاح اللسان حتىٰ قال الشاعر البصري الفرزدق مُفتَخِراً.

ألسنا بأصحاب يوم النار وأصحاب ألوية المِربَد[1]

وكان البصريون إذا أرادوا التَحدُّث عن سوق المِربَد وما تتبعها من مناطق قالو: المِربَدان... والمعروف أن العرب تقول هذا في شيئين جَرياً مجرىٰ واحد.. وعلىٰ هذا نستمع إلىٰ الشاعر البصري الفرزدق يقول:

ومنا الذي أعطىٰ يديه دهينة لغارىٰ معد يوم ضرب الجماجم[2]
عشية سال المِربَدان كلاهما عجاجة موتٍ بالسيوف الصوارم

وقيل إنَّ أبا نؤاس[3] وهو في بغداد تَذكَّر يوماً حياته الأولىٰ في البصرة فأنشَد أبياتاً

---

(١) في رواية الديوان:

ألسنا بأصحاب يوم النِّسا وأصحاب ألويةِ المِربَد

وهذا البيت من قصيدة مطلعها.

عَرفتَ المنازلَ منْ مَهدِد گوحي الزَّبور لدىٰ الفَرقَدِ

قَدَّم له وضبطه وشرحه: د. صلاح الدين الهواري، دار ومكتبة الهلال، ودار البحار، بيروت ط، سنة ٢٠٠٧ (الديوان١/ ص١٩٩).

(٢) البيت في الديوان:

ومنّا الذي أعطىٰ يديه رَهينةً لِغاري مَعَدٍّ يومَ ضربِ الجماجِم
كفىٰ كُلَّ أُمّ ما تخافُ علىٰ ابنها وَهُنَّ قيامٌ رافعاتُ المعاصِم
عشةَ سالَ المِربدين كلاهما عَجاجَة موتٍ بالسيوفِ الصوارمِ

ومطلع القصيدة

وَدَّ جريرُ اللّؤم لوكان عانياً ولِم يدَنْ من زأر الأسودِ الضراغِم

(الديوان ٢/ ٢٣٣).

(٣) أبو نواس. هو الحسن بن هاني بن عبد الأول بن صباح الحكيمي بالولاء (١٦٤-١٩٨هـ)، شاعرُ العراق في عصره، وِلدَ في الأهواز من بلاد خوزستان، ونشأ في البصرة، وَرَحَلَ إلىٰ بغداد، فاتصل ←

منها قوله:

عفـــا المُصـــلىٰ وأقـــوت الكثـــب ... منـــــي فالمِربَـــــدان فاللبـــــب

والمســـــجد الجـــــامع المـــــروءة ... والـــدين عفـــا فالصـــحان فالرحـــب

منـــــازلُ قـــــد عمرتهـــــا يفعـــــا ... حتـــىٰ بـــدا في عـــذاري الشـــهب

* لنَتحدَّث قليلاً عن حلقات المِربَد والشعراء والخطباء والعُلماء المشتركين فيها.

- في المِربد كانت تُقال النقائض، كما أن حلقاته شهدت تكتلات الشعراء والخطباء، يقولون ذلك في الفخر والهجاء. وكما يقول صاحب الأغاني[1] إنّ النابغة الجعدي[2] وأوساً[1] تهاجيا في المربد أمام الأخطل والعَجَّاج[2]، كان

بالخلفاء ومدح بعضهم، وخرج إلى دمشق ومصر، وعاد إلى بغداد. فتوُفي فيها كان جده مولىً للجراح بن عبد الله الحكمي أمير خراسان فَنُسب إليه، وحكي عنه أنه قال عن نفسه ما قلتُ الشعر حتىٰ رويت لستين امرأة من العرب فما ظَنُّك بالرجال؟ وأجود شعره خمرياته، ينظر: (الأعلام ٢/ ٢٤٠).

(١) ورد في الأغاني ٥/ ص١٧ (أن النابغة هاجىٰ أوس بن مغراء قال: ولم يكن أوس مثله ولا قريباً منه في الشعر، فقال النابغة إني وإياه لنبتدر بيتاً أينا سبق إليه غلب صاحبه فلما بلغه قول أوس:

لَعَمْـــرك مـــا بـــتَلىَ ســـرابيك عـــامرٍ ... مـــن اللـــؤم مادامـــتْ عليهـــا جلوُدهـــا

قال النابغة هذا البيت الذي كُنّا نبتدر إليه. فغلب أوس عليه.

قال أبو زيد فحدثني المدائني إنهما اجتمعا في المربد فتنافرا وتهاجيا وحضرهما العجاج والأخطل وكعب بن جُعيل فقال أوس:

لمـــــا رأتْ جعـــــدةُ منـــــا ووروداً ... ولّـــــوا نَعامـــــاً في الـــــبلاد رُبـــــدا

إن لنـــــا علـــــيكم مَعـــــدّاً ... كأهلهـــــا وركنهـــــا الأَشـــــدّا

فقال العَجَّاج:

كل إمرئً يَعدو بما استعدّا.

وقال الأخطل: يعين أوس بن مغراء ويحكم به.

(٢) النابغة الجعدي هو (قيس بن عبدالله بن عُدس بن ربيعة الجعدي العامري أبو ليلىٰ شاعر وصحابي من المعمّرين أشتهر في الجاهلية وسُمي (النابغة) لأنه أقام ثلاثين سنة لا يقول الشعر، ثم نَبَغَ فقاله، وكان مِمَّنْ هجر الأوثان، ونهىٰ عن الخمر قبل ظهور الإسلام، وَوَفَدَ علىٰ النبي «ﷺ» فأسلم وأدرك ←

الوافدون إلى المربد مصدراً لعلماء اللغة ورواة القصص والأخبار حتى قِيل إنّ من شروط الأدباء الاتصال بعرب المِربَد وأن الجاحظ نفسه كان أحد تلامذة هؤلاء الأعراب وحتى أصبح المربد سوقاً لهؤلاء سكان البادية تؤخذ عنهم رواية الشعر والفصاحة وأخبار القبائل.. لذلك كانت البصرة أعرق بالفصاحة من غيرها من المدن.

* معنى ذلك أنَّ المِربَد كان منبراً ثقافياً عَزّزَ دور القومية العربية في رفد الحضارة الإنسانية. بالعلم والأدب ومختلف فروع المعرفة.

- كان المِربَد يؤدي دوره العربي وكان الشعوبيون يحضرون حلقاته أيضاً وهم يرُوّجون مبادئ الشعوبية، فكان ما كان من مفاضلة بين العرب والفُرس والروم، وكما فعل ابنُ المقفّع[٣]، وغيره لأفضلية عنصرهم الفارسي مما جَعَلَ

صفين، فشهدها مع علي«عليه السلام» ثم سكن الكوفة ومات في أصفهان بعد أن كف بصره وتجاوز المئة) يُنظر: الأعلام ٦/ ٥٨.

(١) وهو أوس بن مغراء بن تميم بن مغراء من بني أنف الناقة من تميم شاعر اشتهر في الجاهلية وعاش زمناً في الإسلام هاجاه النابغة الجعدي بحضرة الأخطل والعَجّاج في أيام معاوية ولما قال أوس: أُغلِقَ على النابغة فغلبه أوس. ينظر: الأغاني ٥/ ١٢، والأعلام: للزركلي ١/ ٢٧٥. لعمرك ما تبلى عامر من اللؤم مادامت عليها جلودها

(٢) العجاج: هو عبد الله بن رؤية توفي سنة ٩٠هـ وهو من بني مالك بن سعد من تميم وكان يُكنّى أبا الشعشاء وهي ابنته وقيل سُمّي بالعَجّاج لقوله حتى يعج عندما من عجعجا والعج: الصوت ورفعه والعجاج الغبار والعجيج رفع الصوت. نَشَأ أول حياته في البادية ثم ترك البصرة حيث تَردَّد على مربدها. وابنه رؤية من الرجاز الذين يرعوا في الأراجيز وهو أي العجاج أول مَنْ أطال الرجز وأول من شَبَّ فيه وذكر الديار واستوقف الركبان و. كما فعلت الشعراء بالقصيد. وقد أفرط في استعمال الغريب في شعره، يُنظر (مشاهير أعلام البصرة ص١٤٧-١٤٨).

(٣) ابن المقفع هو عبد الله بن روزبه بن داذويه المشهور بابن المقفع ولِدَ سنة ١٠٦هـ - ٧٢٤م في قرية بفارس اسمها (جور) وهي مدينة فيروز آباد، ثم قَدِم البصرة وحضر مجالس العلماء فيها واتصل فيما بعد بالخلفاء العباسيين، وله من الآثار ما هو مُترجَم مثل (كليلة ودمنة) ومنها ما هو له كالأدب ←

العرب يشعرون بهذا الغبن فبدأوا يجتمعون وهم يَقصُّونَ قَصَصَ العرب وأخبارهم وأيامهم المجيدة وبطولاتهم ورجالات الشجاعة والكرم والشهامة. فكان في ذلك رداً على أعداء العرب وحماساً في نفوس الجماهير العربية.

* مَنْ هم الشعراء الذين سكنوا المِربَد؟

- لقد كان المربد يُغري الأعراب فيجذبهم لأنهم يرون فيه صورة من حياة بواديهم الأصلية وأسواقهم وعلى هذا الأساس جاءوه شُبّاناً وشيوخاً وقد كان من هؤلاء الشيوخ النمر[1] بن تولب أحد شعراء الفصاحة وقد فتنهُ المِربَد فهاجر إلى البصرة وبات يُلازِم المِربَد دون أن يقولَ شعراً وإنما كان مُستَمِعاً طالباً لكنه لم يعش طويلاً حيثُ ماتَ في البصرة.

كذلك الشاعر الجاهلي أبو يزيد[2] المُخَبَّل فقد هاجر إلى البصرة حُبّاً بمِربَدها وبقَي فيها إلى أن مات. وحتى شاعر الغزل عمر بن أبي ربيعة[3] فقد تَرَكَ الحجاز

الكبير والأدب الصغير وغيرها.

(١) النمر بن تولب: بن زهير بن أقيش العكل شاعرٌ مخضرم عاش عمراً طويلاً في الجاهلية وكان فيها شاعر (الرباب) ولم يمدح أحداً ولا هَجا وكان من ذوي النعمة والوجاهة جواداً وهاباً لماله يُشبَّه شعره بشعر حاتم الطائي أدرك الإسلام وهو كبير السن وَوَفَدَ على النبي «ﷺ» وهو من المعمّرين ومن المؤرخين مَنْ يذكر أنه نَزَلَ البصرة وكان أبو عمرو بن العلاء يُسمّيه (الكَيس) لحسن شعره. تُوفي في حدود سنة ١٤هـ، يُنظر: الأعلام ٩/ ٢٢.

(٢) المُخبَّل السعدي هو ربيعة بن مالك بن عوف السعدي أبو زيد من بني أنف الناقة من تميم شاعرٌ فحلٌ من مخضرمي الجاهلية والإسلام هاجر إلى البصرة وَعمَّرَ طويلاً ومات في خلافة عمر أو عثمان وله شعر كثير جيد وهجا الزبرقان وغيره، يُنظر: الأعلام ٣/ ٤٢.

(٣) عمر بن أبي ربيعة (٢٣-٩٣هـ) هو عمر بن أبي المخزومي القُرشي أبو الخطّاب أرق شعراء عصره من طبقة جرير والفرزدق ولم يكن في قريش أشعر منه ولِدَ في الليلة التي تُوفيَ فيها عمر بن الخطاب فسُمّي باسمه ورُفع إلى عمر ابن عبد العزيز أن يتعرض لنساء الحاج ويُشبَّب بهِنَّ فنفاه إلى (دهلك) ثم غزا في البحر فاحترقت السفينة به ومَنْ معه فمات فيها غرقاً، يُنظر الأعلام ٥/ ٥٢.

وجاء البصـرة وحَلَّ في. مِربَدها وقال قصيدته التي مطلعها:

جنـــــدُ البصـــــــرة أرضـــــاً في الليـــــــالي المُشـــــــرقات

كما قال الأصمعي: كنتُ واقفاً بالمِربَد وإذا أنا بأبي عَمرو بن العلاء، فلّما بصـر بي مالَ إليَّ فقال: ما وقوفك هنا يا أصمعي؟ فَقُلتُ: إني أحب المِربَد وأكثر الجلوس فيه، فقال: إلزمه فإنه يشد النظر ويجلو البصـر، ويجمع بين ربيعة ومضـر، كـذلك أنشَـد الأصمعي في المِربَد:

أتيـــتُ بـــأبواب القـــوافي كـــأنّني أصيدُ بها ســـريا مـــن الـــوحش نزعـا

عـــواصي إلاّ مـــا جعلـــت وراءهـــا عصـــا مربـــد يغـــش نحـــواً وأذرعـــا

* ومَنْ هم الذين نُسِبوا إلى المِربَد؟

- الرواة الذين يُنسَبون إلى المِربَد كثيرون منهم: القاضـي أبو عمرو القاسم بـن جعفر البصـري[1] وسَمّاك بن عطية المربدي وكذلك أبو الفضل المربدي (أبـو الفضل عباس بن عبد الله بن الربيع بن راشد المِربَدي) وهو مولى لبني هشام، وكانت أرض المِربَد كما يظهر تُرابية، ولذلك فإنَّ أحد الأعـراب لمـا قَـدِم إلى البصـرة وكرهها قال فيها أبياتاً جاء ذكر أرض المِربَد فيها قائلاً:

ومربـــدُها المـــذري علينـــا ترابَـــه إذا ســـحبت أبغالهـــا وحميُرهـــا

فتضـحي بهـا غـير الـرؤوس كأننـا أُنـاس مـوتى نُـبشَ عنهـا قبورهـا

* ماذا عن أهمية المِربَد كسوقٍ تجارية؟

- مع تكوين البصـرة ومركزها التجاري تكوَّنت لها علاقات تجاريـة مـع عِـدة

(١) هو أبو عمر القاسم بن جعفر بن عبد الواحد بن العباس بن عبد الواحد بن جعفر بن سليمان بن علي بن عباس بن عبدالمُطلَب أبو عمر الهاشمي العباسـي البصـري من ولد الأمير جعفر بن سليمان وِلـدَ سنة ٣٢٢هـ وتوفي سنة ٤١٤هـ ولي قضاء البصـرة وكان ثقة أميناً وهو راوي سُنن أبي داود (ينظـر: تأريخ قضاة البصـرة د. عبد الباسط خليل الـدرويش، دار تمـوز، دمشـق، سـنة ٢٠١٦، ص١٣٤-١٣٥).

جهات وأخطار كانت في مُقدّمتها العلاقات مع الأقاليم التي ترتبط مع البصرة بصلات الدم والأرض واللغة حيث اتخذت الجزيرة العربية والقبائل المُحيطَة بمنطقة البصرة من هذه المدينة مركزاً لتصريف الفائض من الحاصلات وسد الحاجات من المواد المطلوبة.

وكان سوق المِربَد المركز التجاري المهم لتبادل هذه البضائع والحاصلات حيث حَلَّ محل الأسواق التي كانت تُقام في شبه الجزيرة العربية قبل الإسلام وفي المِربَد أُنشِئَت بعضُ المصانع أيضاً فكان ينشط فيه التجار كما اجتمعت حلقات صناعة الكلام فكان سُوقاً للمناقشة والأدب وأن قُصوراً عديدة بُنيَت هناك فزادت من جماله وأهميته.

* ما هو دور عرب المِربَد في إضفاء الأهمية العلمية لسوقهم وماذا أخذ منهم الشعراء ودارسو اللغة؟

- كما قُلت فإن نُحاة البصرة كانوا يحضرون أوقات المِربَد ليتشافهوا مع عرب المِربَد فيضبطون مخارج الأصوات كما كانوا يلاحظون اختلاف اللهجات، كما كان الرواة يلتقطون النوادر من كلام العرب الفصيح كما كانوا يحفظون الغريب منه لكي يرجعوا بعضهم إلى بعض لتتم الرواية. وكان جُل رجالات العربية في البصرة رواداً للمِربَد زيادة على وجود تجار يبايعون الواردين على المِربَد ويشترون منهم بينما يكون رجل يسمع من هؤلاء الوافدين ويُراقِب أساليبهم ويأخذ عنهم لكي يضبط الكلمة حيث يقولها ذلك الإعرابي الذي شَبَّ سليقةً على لفظ الكلام صحيحاً. وعليه فإنّ البصريين كانوا يضيفون هذه المعارف إلى حصيلاتهم، وكان كثيرٌ من أدباء البصرة يَتَلَقَّفون الفصاحةَ من العرب شِفاها بالمِربدَ، ومن بين أولئك عبد الله بن المقفع وأبو عثمان عمرو بن بحرٍ الجاحظ ولاشكَّ أن للمِربَد عليهما يداً فيما بلغاه من فصاحة منطق وجزالة أسلوب، وكذلك فإن الدارسين كانوا يستمعون إلى قُصّاص

البادية ونَقلة أَخبارهم وأيام ماضيها وما كان يجري فيها من شعرٍ وحربٍ وعشق وسماحة وكرم وشهامة.

* ماذا تعني بالمِربَديين؟

- هم الناس الذين تَعلَّقوا بالمِربَد، فهم يلازمونه وكأنَّهم جزءٌ منه حتى سمّاهم الناس بالمِربَديين.

* وأشهر النقائض في المربد؟

- كانت النقائض بين جرير[1] والفرزدق[2]، وكانت تُقام على أرض المِربَد ومن محكّميها الراعي النّميري[3] وهو أبو جندي عبيد بن حصين ويروي الجاحظ في كتابه البيان والتَبيين أن للراعي والفرزدق وجلسائهما كانت حلقة بأعلى المِربَد يجلسون فيها.

---

(١) جرير: هو جرير بن عطيه بن حذيفة الخطفي بن بدر الكلبي اليربوعي (٢٨/ ١١٠) هـ من تميم أشعر أهل عصره ولِدَ ومات في اليمامة وعاشَ عمره كله يناضل شعراء زمانه ويساجلهم وكان هُجاءً مُرّاً، فلم يثبت أمامه غير الفرزدق والأخطل وكان من أغزل الناس شعراً وكان يُكنّى بأبي حَزرَه. يُنظر: الأعلام ٢/ ١١١

(٢) الفرزدق: هو همام بن غالب بن صعصعة من مُجاشِع، وغالب أبوه كان سيد بادية تميم وهو في الطبقة الأولى من الشعراء، واشتهر بالنقائض مع جرير تُوفِّيَ سنة ١١٠هـ بعد أن مرضَ ومات بعده جرير بستةِ أشهر والحسن البصري وابن سيرين فقالت امرأة كيف يفلح بلد مات فقيهاه وشاعره في سنةٍ واحدة (من مشاهير أعلام البصرة ص١٥٠).

(٣) الراعي النّميري هو محمد بن عبد الله بن نمُير بن خرشة الثقفي النميري شاعرُ غزلٍ من شعراء العصر الأموي مولده ومنشأه ووفاته في الطائف كان كَثير التشبيب بزينب أخت الحَجّاج وأرق شعره ما قاله فيها ومنه قصيدته التي مطلعها.

تضوّع مسكاً بطن نعمان إذ مشت ... به زينبُ في نسوةٍ عطراتِ

وتهدده الحجاج فلم يأبه له النّميري فلما بلغ الحجّاج من الشأن ما بلغ طلب النّميري ففر إلى اليمن وأقام بعدة مدن ثم قصد عبد الملك بن مروان مُستَجيراً به فأجاره وعفا عنه الحَجَّاج على ألاّ يعود إلى ما كان عليه، يُنظر: الأعلام ٧/ ٩٠

* ما نوع الأحكام؟

- كان من حُكّام المِربَد أبو عمرو بن العلاء[1] حيث جاء حكمه بتشبيه الفرزدق بزهير[2] وجرير بالأعشى[3] والأخطل[4] بالنابغة[5].

* ما هذا التشبيه؟

- هذا تشبيه حكمي، فهو يحاول أن يُوازن بين شعراء المِربَد وشعراء سوق

---

١) أبو عمرو بن العلاء (٧٠-١٥٤هـ) هور زبّان بن عمّار التميمي المازني البصري وهو من أئمة اللغة والأدب وأحد القرّاء السبعة ولِدَ بمكة ونشأ بالبصرة ومات بالكوفة وقد روى الشعر الجاهلي وهو رأس مدرسة البصرة في الأدب يُنظر: (الأعلام٣/ ٧٢).

(٢) زُهير بن أبي سُلمى ربيعة بن رباح المُزني من مضر: حكيم الشعراء في الجاهلية كان أبوه شاعراً وخاله شاعراً وأخته سُلمى شاعرة وابناه كعب وبُجيَر شاعرين وأخته الخنساء شاعرة ولِد في بلاد (مُزينة) بنواحي المدينة وكان يُنقّح القصائد فَسُمِّيت قصائده بالحوليات أشهرها معلقته وفي شعره حكمٌ كثيرة توفي سنة ١٣ ق.هـ، الأعلام: ٣/ ٨٧.

(٣) الأعشى: ميمون بن قيس بن جندل من بني قيس بن ثعلبة الوائلي أبو بصير المعروف بأعشى قيس ويُقال له أعشى بكر بن وائل والأعشى الكبير من شعراء الطبقة الأولى في الجاهلية وأحد أصحاب المُعلقّات كان كثير الوفود على ملوك العرب والفرُس غزير الشعر وكان شعره يُغنّى فَسُمّي بـ(صَنّاجة العرب) ولذلك كَثُرت الألفاظ الفارسية في شعره توفي ٧هـ ولم يسلم، يُنظر: الأعلام: ٨/ ٣٠٠.

(٤) الأخطل: هو غياث بن غوث بن الصلت من بني تغلب أبو مالك شاعر مصقول الألفاظ اشتهر في عهد بني أميه وأكثر من مدح ملوكهم نشأ على المسيحية في أطراف (الحيرة) بالعراق وتهاجى مع جرير والفرزدق فتناقل الرواة شعره وكان كثير العناية بشعره ينظم القصيدة ويسقط ثلثها وكانت إقامته طوراً في دمشق وطوراً في الجزيرة العربية مع بني تغلب قومه، يُنظر: الأعلام: ٥/ ١٢٣، ولد ١٩، توفي ٩٠هـ.

(٥) النابغة الذبياني: هو زياد بن معاوية بن ضباب الذبياني الغطفاني المُضري شاعرٌ جاهلي من الطبقة الاولى من أهل الحجاز كانت تُضرب له قُبّة من جلدٍ أحمر بسوق عكاظ فتقصده الشعراء فَتعَرِض عليه أشعارها وكان أبو عمر بن العلاء يُفضّله على سائر الشعراءوكان حظياً عند النعمان بن المنذر حتى شبب في قصيدة له بالمُتجّردة (زوجة النعمان) فَغَضَبَ عليه فَفَرّ النابغة ووفد على الغسانيين بالشام ثم رضي عنه النعمان، فعاد إليه توفي ١٨ ق.هـ، يُنظر: الأعلام: ٣/ ٩٢.

عُكاظ، فحتىٰ الأديب اللغوي البصري الكبير يونس[1] بن حبيب كان يقول: ما شَهدتُ مَشهداً قط قد ذُكر فيه جرير والفرزدق فاجتمع أهلُ المجلس علىٰ أحدهما.

* كيف تَحوَّلت النقائص من هجاءٍ خالصٍ في المِربَد إلىٰ غاياتٍ أخرىٰ؟

- ينظم - مثلاً- شاعرٌ من قبيلةٍ ما قصيدةً فخر بقبيلته وأمجادها هو بالضرورة سيتعرض في هذه القصيدة لخصومها من القبائل.. هنا يَنبري له شاعرٌ من شعراء تلك القبائل ليرد عليه بقصيدته وكأنه يريد أن يظهر تفوقه عليه من ناحية المعاني ومن ناحية الفن نفسه. ويَتجمَّع الناس حواليهما يُصفِّقون ويهتفون ويصيحون. وبذلك تَحوَّلت النقائض من غاية الهجاء الخالص إلىٰ غايةٍ جديدة هي سد حاجة الجماعة المدنية في البصرة إلىٰ ضربٍ من ضروب الملاهي، وهذه المناظرات كانت تَتَخِذُ من المِربَد مَسرحاً لها.

فالشعراء يذهبون إلىٰ هناك ويذهب إليهم أناس يَتحَلَّقون من حولهم ليروا مَنْ تكون له الغَلبة علىٰ زميله.

* لقد زُرت المنطقة التي تُسمَّىٰ بالمِربَد الآن ورأيت بأن لا تشابه بين الاثنين، وإن منطقة المِربَد الحقيقية لم يَتَبقّ منها شيء.. ماذا حَلَّ بها؟

- زارا بن حوقل المِربَد عام ٥٣٧هـ وقال: لم يبقَ من آثارها إلاّ الأثل طُمِسَتْ مَحالُّها ولم يبقَ منها إلاّ قبر طلحة وباقي بيوتها أما خراب أما غير مسكونة وبُيوتها كانت سفينة في وسط بحرٍ لُجّيّ.

لقد استَطعتُ أن أُحدِد موقعَ المِربَد بصعوبةٍ بالغة وهي دعوة للآثاريين وللعلماء

---

(١) يونس بن حبيب الضبي ٩٤-١٨٢هـ بالولاء، أبو عبد الرحمن ويُعرف بالنحوي كان إمام نُحاة البصرة في عصره، وهو من قرية (جَبُّل) بفتح الجيم وضم الباء المُشدَّدة علىٰ دجلة بين بغداد وواسط أخذ عنه سيبويه والكسائي والفرّاء وغيرهم من الأئمة، كانت حلقته بالبصرة، يأتيها طُلاّب العلم وأهل الأدب وفُصحاء الأعراب ووفود البادية (الأعلام: ٩/ ٣٤٤).

للبحث في هذه المنطقة المهُمَّة.

* مَنْ أقدم البصرة أم المِربَد؟

- مَرَّ عتبة بن غزوان قبل تخطيط البصرة بالمِربَد وعليه وجَدَ فيها الكذّان الغليظ فقال: هذه البصرة فانزلوا باسم الله.

* مَنْ مُنشئ البصرة من المِربَد؟

- إن البصرة سُمِّيت بهذا الاسم (البصرة) نسبةً إلى الحِجارة البيض التي في المِربَد.

* ماذا عن تنظيم هذه الحلقات والمجالس؟

- حرية الكلام والتعبير كانت مضمونة لَمَنْ يأم المِربَد على أن يكون ضمن النظام حتى أن الشرطة كانت تجوب المِربَد للحفاظ على الأمن، وكان محمد بن جعفر[1] قد أَنشَأَ حوضاً كبيراً للماء في إحدى ساحات المِربَد الذي أصبح يوماً ما مُتنزَّها للبصريين لما فيه من أزهار وأشجار يقصده البصريون للاستجمام وترويح النفس.

(١) جاء في كتاب البصرة في أدوارها التأريخية: للشيخ عبد القادر باشا أعيان، طبعة دار البصري، بغداد، سنة ١٩٦١ ((لمحمد بن جعفر العباسي آثار شائعة في المِربَد منها إنشاؤه حوضاً كبيراً للماء في إحدى ساحاته فكان المِربَد مُتَنزَّهاً يقصده البصريون للترويح عن النفس)).

الفصل الثاني

البصرة كتبت تأريخ الحضارة (١)

١. ماذا تَعرف عن أم قصر وتأريخها؟
٢. ما عدد الجرائد التي كانت تصدر في البصرة أيام العهد العثماني مع أسماء مُحرِّريها؟
٣. معلومات عن تأريخ الصيرفة والشركات التجارية في البصرة.
٤. هل كانت في البصرة محاكم قبل العهد الوطني سنة ١٩٢١ وما هي درجاتها؟

كان أول مَنْ كتبَ عن تأريخ أم قصر مُفصَّلاً السيد هاشم الرفاعي أحد أبناء البصرة وفي عِدة أعداد من جريدة العراق لصاحبها رزوق غنّام.

أما أنا فأقول إن ميناء أم قصر قد حُدِّدَ بخط طول ٤٧ درجة و٥٧ دقيقة و١٢ ثانية شرقاً وخط عرض ٣٠ درجة ودقيقة واحدة و٤٠ ثانية شمالاً.

وكانت هذه المنطقة قديماً تُسمّى – الصابرية– وقد بنى فيها الشيخ يوسف آل إبراهيم النجدي – وهو من منطقة الوشم – منذ أكثر من ثلاثة قرون قصرين في بقعةٍ تُدعى الحجيجية – وكان القصر الأول في شمالها والثاني في جنوبها وهو يقصد بذلك النزهة والصيد ثم لأنَّ ساحلها يصلح لرسو السُفن فقد أصبحت. هذه المنطقة نقطة تفريغ حمولات السُفن القادمة من خليج البصرة... كذلك ولأنها لا تَبعد عن البصرة أكثر من ٧٥ كيلومتر فقد أصبحت تجارة البصرة أيضاً تُنقَل عن

(١) مجلة التاجر (تصدر عن غرفة تجارة البصرة)، مجلة شهرية، العددان ٩-٨، آذار ونيسان، سنة ١٩٦٨، ص١٥-٢٢.

طريقها إلى السفن البحرية كما اتصلت بمنطقة الزبير فكانت البضائع الآتية من الصحراء ومن شمال العراق ومن سوريا الواردة من أوربا عن هذه الطُرق تُشحَن من منطقة أم قصر لتُحمَّل بالسُفن وتُنقَل إلى الهند والصين وإمارات الخليج العربي.

ويُقال إنها سُمِّيت بالصابرية[1] نِسبةً إلى جماعة الصوابر الذين كانوا يسكنونها. أو لأنَّ ماءها كان مُرّاً بطعم ثمرة الصبر فكان اسم المنطقة أولاً – صبرية– ثم حُرِّف إلى صابرية. ومنطقة أم قصر عالية عن سطح البحر ولذا فهي آمنة من الفيضان كما وأنّ تربتها صالحة للزراعة زيادة على صلاحها لمد الطرق والسكك الحديدية.

ولقد رُفِعَتْ كميّاتٌ كبيرةٌ من الطمى بلغت ٥،٢٩٧،٢٥٠ طَناً بعد أن تَمَّ الحفر في هذه المنطقة وهكذا أَوجَدَ المسلك المائي الذي بواسطته أَمكنَ إدخال بواخر ذات ٣٢ قدماً إلى الميناء، ومما تجدر الإشارة إليه أنّ الشيخ يوسف آل إبراهيم النجدي

---

(١) جاء في كتاب عبدالله رمضان آل عيادة، تراث البصرة الجزء الأول والثاني ص ٦١-٦٢ هذا الكلام نفسه ولا أعرف إنْ كان قد أخذه من حامد البازي أو أنهما أخذاه من مصدرٍ واحد دون الإشارة، وكان البازي قد نَشر هذه المعلومات سنة ١٩٦٨، والأستاذ عبدالله سنة ٢٠١٤، ومما جاء عند الأستاذ عبدالله (سُمّيت أم قصر بالصابرية نسبة إلى جماعة الصوابر الذين كانو يسكنون فيها ولأنّ مائها كان مُرّاً بطعم ثمرة الصبر وكان اسم المنطقة أولاً (صبرية) ثم حُرّف إلى صابرية، ومما تجدر الإشارة إليه أن الشيخ يوسف إبراهيم النجدي هو الذي أَسَّس فيها أول قصرين وذلك في النصف الأول من القرن الثالث عشر الهجري، وبعد مماته اندرست معالمها ولم يبقَ منها إلاّ ركام وأحجار مِبعثرة لأنه لم يُرزَق بذرية، فغلب على تلك المنطقة اسم بناء القصرين فَسُمِّيت أم قصر وإلى جانب ذلك القصر كان هناك قصران آخران قد بُنيا من قبل وذلك في جنوب الصابرية وهما يعودان إلى الشيخ آل إبراهيم العنقري (العنجري) النجدي من أهالي ثرمدة بمدينة الوشم النجدية ومنها هاجرَ جده الأعلى (ريمان الإبراهيم) إلى الكويت عندما أُسست في أوائل القرن الحادي عشر الهجري وموقع القصر في منطقة الحجيجية ويُسمَّى قصر الصبية وقد أندثر هذان القصران بينما سُمّيت أم قصر الحالية وهو الاسم السائد نسبةً إلى أحد تجار البصرة واسمه أحمد بن رزق الأسعد الذي بنى فيها أولاً بعض الأكشاك والبناء الطيني البسيط، ثم لما رَغَبَ بالسكن فيها بنى له قصراً فخماً وسوّره بسورٍ حصين).

الذي أسَّسَ أولَ قصرين في هذه المنطقة، مات واندثرت معه معالمها بينما سُمِّيت المنطقة بأم قصر نسبةً إلى أحد تجار البصرة واسمه ابن رزق الذي بنى فيها أولاً بعض الأكشاك والبناء الطيني البسيط ثم لما رَغَبَ فيها بنى قصراً فخماً وسَورّه بسورٍ حصين ثم مَوَّنَهُ بجميع الحاجات واتخذ منه مشتاً وداراً ربيعياً للصيد ثم اتخذه كهمزة وصل لنقل البضائع واستيرادها. وأحمد بن رزق هذا أول مَنْ نَزَلَ قرية الزَبارّة في البحرين وعَمَّرها ثم انتقل إلى الكويت مع تجار اللؤلؤ وكان من الرجال الذين يُحبّون الملابس الحريرية الغالية. وقد ذكره نعمة الله عبود في مُذكَّراتِه كما وأنه مدحهُ برسالةٍ كتبها إلى صديقه – الطرابلسي – في حلب وأثنى عليه وقال عنه بأنه من التجار الذين لهم شغف بالعلم والأدب حتى كاد ذلك أن يُلهيه عن تجارته...

وذكر نعمة الله عبود في مذكراته أيضاً بأن أحمد بن رزق[1] شرعَ في بناء قصر له

أحمد بن رزق أحد التجار والفضلاء من بلدة الزَبارّة في قطر وله فضل على تلك المنطقة أن جعل له مكانةً يقصدها العلماء والأدباء ومنهم عثمان بن سند الذي حَلَّ ضيفاً على أحمد بن رزق فأكرم ضيافته وقد ألف عثمان بن سندعنه كتاباً (سبائك المسجد في أخبار أحمد بن رزق الأسعد) تَرجَم له باعتباره أحد الأعيان في قطر والكويت وتَرجَمَ فيه لأربعين عالماً وأديباً ووجيهاً من مشايخ الزبّارة قرب الإحساء والبحرين والكويت ونجد والعراق مَمّن اتصل بأحمد المذكور [مطالع السعود بطيب أخبار الوالي داوود ص٢٢، ٣٧]. وجاء في كتاب (الإيجاز في تأريخ البصرة والإحساء ونجد والحجاز) لعارف مرضي الفتح، طبعة الدار العربية للموسوعات بيروت / والمجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، ط١، سنة ٢٠٠٩) ٢/ ٨٧، (وفي سنة ١٢٢٤هـ مات أحمد بن محمد بن حسين بن رزق في بلدة قردلان بعدما استوطنها واستقرّ أمره فيها وخلَّف من المال ما قيمته ألف ألف ومايا ألف وأبن رزق هذا أصله من آل رزق أهل الغاط و(الظاهر) أنهم من بني خالد. وقد هَرَبَ الشيخ أحمد بن رزق الخالدي إلى البحرين ثم إلى البصرة وكان دخوله البصرة سنة ١٢١٦هـ).

والزَبارّة (التي وِلدَ فيها أحمد بن رزق) كانت قد أسَّسها قبائل العتوب سنة ١١٨٠هـ١٧٦٦-م وهي مدينتهم الثانية في الخليج، والتي كان لها شأن عظيم في التجارة قبل أن تصلها يدُ الدمار في مطلع القرن التاسع عشر وأول مَنْ سكنها أحمد بن رزق وعمّرها وَرَغَّبَ الناس في السكن إلى قربة لجوده وعدله وفضله ونشأت تجارة اللؤلؤ فيها..) (الإيجاز في تأريخ البصرة والإحساء ونجد والحجاز ٢/ ٢٢).

←

تم بناؤه سنة ١٨١٦م ١٢٣٢هـ وأنه رَغَبَ في أن يُخلِّد هذا التأسيس في قصيدة، وكان الشيخ أحمد الكروي[١] والشيخ أحمد بن جامع[٢] والشيخ عثمان بن سند[٣] قد

وقال عنه الأستاذ يعقوب سركيس في كتابه (مباحث عراقية (أن خالد بن رزق شرع هو ووالده في بناء قصور سنة ١٢٣٢هـ - ١٨١٦م في المنطقة التي سُمِّيت أم قصر الحالية).

١) لم نعثر على ترجمة له ولَعلَّه والد العلاّمة حبيب الكروي البغدادي (١٢٣١-١٢٩٥)هـ الذي ولِد سنة ١٢٣١هـ في بغداد ودرس على أبي الثناء الآلوسي صاحب تفسير روح المعاني ودرّس حبيب الكروي في البصرة في مدرسة الدويحس الدينية في الزبير وكان قاضياً في البصرة سنة ١٢٨٩هـ حتى وفاته في المحرم سنة ١٢٩٥هـ (يُنظر: الحركة العلمية بين نجد والزبير خلال ثلاثة قرون، سعود بن عبد العزيز الربيعة، الدار العربية للموسوعات، بيروت. سنة ٢٠١١، ص٨١.

٢) هو أحمد بن عثمان بن عبدالله بن جامع (١١٩٤-١٢٨٥هـ) الأنصاري الخزرجي نسباً وهو نجدي الأصل زبيري الموطن ولِد في بلدة (الزَبارَة) في قطر قرأ على أبيه الشيخ عثمان وغيره ولعله أدرك الشيخ محمد بن فيروز شيخ والده في البصرة فقرأ عليه تولى قضاء البحرين بعد والده مدة طويلة حتى عام ١٢٥٨هـ وعندما حدث صراع بين أمير البحرين الشيخ عبدالله بن أحمد آل خليفة وبين حفيد أخيه الشيخ محمد بن خليفة بن الشيخ سلمان ترك الشيخ أحمد بن جامع قضاء البحرين لأحد أبنائه وهو الشيخ محمد ورحل إلى الزبير فَتولَّى القضاء فيها عام ١٢٦٩هـ وَبقيَ فيه حتى وفاته سنة ١٢٨٥هـ في الزبير [الحركة العلمية بين نجد والزبير ص٧١]..

٣) ترجمة هذا الرجل طويلة فقد كتب عن الدكتور عماد عبد السلام رؤوف أكثر من خمسين صفحة عندما حَقَقَ كتابة (مطالع السعود بطيب أخبار الوالي داود- تأريخ العراق ونجد) ولكننا نختصر فننقل ما جاء في كتاب الحركة العلمية بين نجد والزبير (ص٢٠٠-٢١٠).

هو الشيخ عثمان بن محمد بن أحمد بن راشد بن سند من آل أبو رباح من قبيلة عنزة هاجر والده من نجد إلى جزيرة فيلكة سنة ١١٦٨هـ لطلب الرزق فولِدَ فيها عثمان سنة ١١٨٠هـ فأخذ مبادئ القراءة والكتابة ثم نزحَ إلى البصرة سنة ١٢٠٤هـ بالتحديد إلى الزبير للأخذ من علمائها ومنهم الشيخ إبراهيم بن جديد قاضي الزبير والشيخ محمد بن فيروز وعن العالمين المشهورين علي بن محمد السويدي وزين العابدين المدني (جمل الليل) المُحدِّث حين مرّا بالبصرة ودرس عثمان في جامع الكواز ثم رَحَلَ إلى بغداد سنة ١٢١٤هـ، فأخذ عن علمائها، وفي عام ١٢٣٢هـ رافق الوالي داود في بغداد فكتب كتابه مطالع السعود الذي أنهاه عام ١٢٤٢هـ وللشيخ عثمان مؤلفات كثيرة ومفيدة، وكتبَ اكثر من أربعين كتاباً ورسالة، وبعد حياة حافلة بالعلم تُوفيَ في بغداد سنة ١٢٥٠هـ، ودُفن في مقبرة معروفي الكرخي في بغداد ←

نَظَمَ كُلٌّ منهم قصيدةً يؤرخ فيها تأريخ وبُناه القصر وقد أَنعَمَ عليهم صاحب القصر بهدايا ثمينة.

إن الميناء اليوم يتكوَّن من ثلاثة أرصفة خراسانية تستوعب ثلاثة بواخر من ذوات ٣٢ قدماً في وقتٍ واحد وأن طول هذا الميناء بأرصفة الثلاثة ٦٤٠ متراً وأن هذه الأرصفة مُضاءة بالكهرباء ومُجهَّزة بأحدث الأجهزة.

كما وأنّ المنطقة بما فيها من بيوتٍ عمّال وموظفين ومهندسين مُجهَّزة بكل وسائل الراحة وكان الأمريكان في الحرب العظمى الثانية قد نقلوا المعدات إلى روسيا عن هذا الطريق ثمَ مَرَّروها على جسر هول في الكرمة.

وقد تُرِكَ الميناء مؤقتاً إلى أن أعادت الحكومة العراقية الكَرَّةَ عليه ففي ٢٦ آذار سنة ١٩١٦ – ٨شوال ١٣٨٠هـ وضِعَ حجرُ الأساس لهذا الميناء ثم افْتُتِحَ رسمياً في ١٤ تموز سنة ١٩٦٧ حيث تم العمل فيه وكان الفضل في ذلك يرجع إلى أحمد بن رزق الذي كان أول مَنْ فَكَّر في هذه المنطقة التي ستكون من موانئ العالم المهمة.

الجرائد التي كانت تصدر في العهد العثماني بالبصرة

١. جريدة البصرة وهي حكومية صدرت في كانون الثاني سنة ١٨٩٥م-١٣١٣هـ وكان يشرف عليها محمد علي باشكاتب الذي لم تعجب والي البصرة حمدي باشا سياسته واتجاهه. فَأَمر بإغلاق الجريدة ثم عادت بعد مدة إلى الصدور فأرّخ بعضُ الشعراء عودة الجريدة بقوله – عادت جريدتُنا والعودُ أَحمَدُ ١٣١٣هـ.

٢. جريدة الإيقاظ: لصاحبها سليمان فيضي[1] وقد صدر العدد الأول منها في

بعد وفاة ولديه عبدالله وعبد الوهاب بالطاعون. سنة ١٢٤٧هـ

(١) ولِدَ سليمان فيضي ابن الشيخ داود القصاب العوادي في الموصل في ٢٦ تموز سنة ١٨٨٥م وكان والده إماماً في مسجد الإمام إبراهيم في الموصل وَدَخَلَ الإعدادية الأميرية في الموصل عام ١٨٩٥ ومنها انتقل إلى الإعدادية العسكرية في بغداد وكان من زملائه في الدراسة ومن أبناء صفّه طه ←

٢ مايس سنة ١٩٠٩م وأُلغيت في تشرين الأول سنة ١٩١٠، وهي جريدةٌ أسبوعية اشتهرت بنزعتها العربية وكان يُوزَّع منها العدد الكبير على إمارات الخليج والمحُمَّرة والهند وسوريا ومصر وكانت الحكومة التركية تُشدد الرقابة عليها.

٣. التهذيب: وكانت لأمين عالي باش أعيان[1] وقد صَدَرَ العدد الأول منها في ٣

الهاشمي وعلي جودت الأيوبي ونوري السعيد ومولود مخلص، ولكن تم فصله فيما بعد بسبب شجار بين الطلبة.

ذهب سليمان فيضي إلى ابن الرشيد في الحجاز للتوسّط عند الباب العالي لإعفائه من التجنيد في الجيش العثماني ثم وصل البصرة فاستقرَّ بها فَدَرَسَ اللغة العربية والقانون ثم تم تعيينه في إحدى المحاكم، وفي مايس سنة ١٩٠٩ أصدر صحيفة الإيقاظ واستمرت حتى تشرين الأول سنة ١٩١٠، افتتح أول مدرسة للتدريس باللغة العربية في البصرة عام ١٩٠٨ وهي مدرسة يادكار حرية، وأَسَّس مكتبة التجدد، كتب مجموعة من الكتب القانونية ومن مؤلفاته.

أ- البصرة العظمى

ب- الرواية الإيقاضية

ج- التحفة الايقاضية في الرحلة الحجازية

د- أصول التَعبات

أُصيب بمرضٍ عضال سنة ١٩٤٨ فتوفي في التاسع من كانون الثاني سنة ١٩٥١ عن ٦٦ عاماً ودُفن في الزبير حسب وصيته بجوار عمّه (أبو زوجته) طه الموصلي التاجر الذي عمل في البصرة فتزوج سليمان ابنته، وسليمان سُمّي (بسليمان) فيضي تيمناً بإسم المشير العثماني أحمد فيضي باشا.

رافق السيد طالب النقيب كثيراً وعمل في محاكم البصرة. (يُنظر: مذكرات سليمان فيضي، تحقيق باسل سليمان فيضي، طبع شركة مطبعة الأديب البغدادية المحدودة، ط٤، سنة ٢٠٠٠، صفحات متفرقة).

١) جاء في كتاب (حاضر البصرة الذي كتبه عبد المجيد حسن الغزالي صاحب مجلة الهدف) ص٢٨٢-٢٨٦ عن أسرة آل باشا أعيان العباسية أنها (من الأسر العربية العريقة وينتهي نسبها إلى جد الإسلام عبدالله بن عباس (رض) كانت تسكن بغداد حتى سقوط الدولة العباسية علي يد هولاكو، فها جرت إلى البصرة واتخذتها مسكناً لها وفيها اشترت الأملاك الواسعة... ولما فتح العراق السلطان سليمان القانوني سنة ٩٤١هـ واستولى على البصرة سنة ٩٥٣هـ، قرّب هذه الأسرة ←

الكريمة له لما عَرَفَهُ فيها من سمو المنزلة ورفعة الجاه... وأصدر لها فرماناً بالإعضاء من الرسوم والتكاليف الأميرية عن جميع أملاكها والمحافظة على منزلتها وقد نجا نحوه كافة سلاطين آل عثمان).

وفي سنة ١١٠٦هـ أنعمت الحكومة العثمانية على الأسرة بلقب (باشا أعيان) تقديراً لخدمتها الجليلة الممتازة وجعلته للأكبر من أبنائها ومن رجالها.

أ- الشيخ عبد القادر الكبير الذي لُقّب بشيخ المشايخ وكانت له الرئاسة الروحية والزمنية حتى توفي سنة ٩٩١هـ

ب- الشيخ علي الشيخ عبد القادر الكبير توفي سنة ١٠٧١هـ

جـ- الشيخ أنس الشيخ درويش توفي سنة ١١٥٠هـ

د- الشيخ محمود الشيخ إبراهيم توفي سنة ١١٨٧هـ

هـ- الشيخ أحمد الشيخ الشيخ يوسف توفي سنة ١١٨٨هـ

و- الشيخ درويش الشيخ أنس توفي ١١٩٥هـ

ز- الشيخ أحمد الشيخ درويش توفي سنة ١٢١١هـ

ح- الشيخ عبد الواحد باشا أعيان توفي سنة ١٢٤٧هـ

ط- الشيخ عبد الواحد الشيخ عبد اللطيف توفي سنة ١٢٨٨هـ

ي- نجله الشيخ ضياء الدين توفي سنة ١٣٤٠هـ

ك- الشيخ يوسف الشيخ عبد الواحد توفي سنة ١٢٩٣هـ

ل- الشيخ عبد الواحد الشيخ عبدالله ضياء الدين

م- الشيخ محمد أمين (صاحب الصحيفة المذكورة)

ن- الشيخ صالح باشا أعيان: وهو عميد هذه الأسرة ولِد سنة ١٢٩١هـ في البصرة فنشأ في كنف والده المرحوم العلامة الشيخ عبدالله ضياء الدين باشا أعيان آل عبد السلام العباسي الذي اعتنى به عناية خاصة وأنشأه على العلم والأدب ثم أرسله للمدارس الحكومية، فأكمل دراسته فيها، وبعدها عُيّنَ بوظيفة رئيس تحرير تسويد الأوراق، ثم رئيساً لبلدية البصرة في العهد العثماني ولما تأسست الحكومة العراقية عُهدت اليه متصرفية لواء العمارة سنة ١٩٢١ وفي السنة ١٩٢٣ عُيّنَ وزيراً للأوقاف وفي السنة ١٩٢٥ عُيّنَ عضواً بمجلس الأعيان وانتخب بعدها مراتٍ عديدة عضواً في المجلس النيابي ثم صار مرةً أخرى عيناً.

ص- الشيخ أحمد بن عبد الواحد باشا أعيان بن الشيخ ضياء الدين العباسي ولِد سنة ١٣٠٥هـ في مدينة البصرة فشبَ على علوم الأدب والدين وأصبح فيما بعد مترجماً للوالي وفي عهد الحكومة العراقية انتُخِبَ لرئاسة بلدية البصرة، وفي سنة ١٩٢٧ انتُخِب نائباً عن لواء البصرة، وله مؤلفات

←

في السياسة والإجتماع ومذكراته الخاصة.

ع- الشيخ ياسين: نجل العلامة الشيخ عبد الواحد ضياء الدين أعيان العباسي ولِد سنة ١٣٠٨هـ في البصرة وتَرعرَعَ في كنف المرحوم والده الذي اعتنى بتربيته. درس في مدارس العهد العثماني ثم درس العلوم العربية على العلامة الأستاذ عبد العزيز التكريتي المُلقَّب بواعظ العراق. ودفعه شغفه العلمي إلى الإنزواء في مكتبة الأسرة المعروفة فنظمها تنظيماً دقيقاً... وله عدة مؤلفات في الإجتماع والأدب والتأريخ، منها كتابة القيم عن البصرة الذي اشتغل بتأليفه منذ عدة سنوات وهو بأكثر من خمسة الآف صفحة. بعدة مجالات.

ف- عبد القادر وهو نجل الشيخ عبدالواحد الشيخ ضياء الدين باشا أعيان العباسي ولِد في البصرة سنة ١٣١١هـ وبعد أن درس في مدارسها الأميرية وتخرجَ من المدرسة الإعدادية اشتغل بالتجارة ثم انصرفَ لإدارة أملاك الأسرة وله من الأعمال الخيرية الكثير.

س- الشيخ عبد السلام نجل الشيخ صالح آل باشا أعيان العباسي ولِدَ سنة ١٣١٩هـ في البصرة، ودَخَلَ مدارس العثمانية، وبعد أن تخرج منها أكمل دراسته في علوم العربية والدين والإجتماع على يد أساتذة معروفين. وكان عضواً في مجلس إدارة بلدية البصرة، وهو على جانبٍ كبير من العلم والأدب.

ق- برهان الدين نجل الشيخ أحمد بن عبد الواحد باشا أعيان العباسي، ولِدَ سنة ١٣٣٣هـ وبعد أن درس في مدارس الحكومية إلتحَقَ بالجامعة الأمريكية في بيروت، ثم عاد فدخَلَ كلية الحقوق العراقية حيث تَخرَّج منها واشتغل بالمحاماة، ثم أنخرط في سلك وزارة الخارجية حيث عُيِّنَ نائب قنصل في المفوضية العراقية بمصر. (يُنظر: كتاب حاضر البصرة، عبد المجيد حسن الغزالي -صاحب جريدة الهدف- ص٢٨٢-٢٨٧).

ولعلنا نذكر هنا ملاحظة مهمة هي أن عدداً من أفراد هذه الأسرة أهتم بكتابة تأريخ مدينة البصرة وهم:

١. عبد الواحد بن عبد الله بن عبد الواحد باشا أعيان العباسي المولود في البصرة سنة ١٢٨٣هـ ١٨٦٦ م وتوفي فيها سنة ١٣٣٨هـ -١٩١٩ فقد كتب (زبدة التواريخ وهي في ١٦ مجلداً ولم ينشر وهو بخط يده)
٢. النصرة في أخبار البصرة لأحمد الأنصاري وهو من الأسرة
٣. عنوان المجد في تأريخ البصرة والحجاز ونجد لإبراهيم فصيح الحيدري وهو من أسرة باشا أعيان
٤. موسوعة البصرة، عبد القادر باشا أعيان الجزء الأول

حزيران سنة ١٩٠٩ وأُغلِقَتْ في آذار سنة ١٩١٠.

٤. جريدة اظهار الحق: وهي للسيد قام جلميران وكانت تصدر باللغتين العربية والتركية. وقد صَدَرَ العدد الأول منها في ١٣ حزيران سنة ١٩٠٩ و أُغلقت في نيسان سنة ١٩١٠ على أثر مقتل صاحبها على أيدي الفلاحين الذين حَرَّضهم الحكومة ضده لأنه كان يقف ضدها وهو من الذين كانوا يدعون إلى الحكم اللاّمركزي.

٥. مُرقَّعة الهندي[1]: وهي جريدة فكاهية لصاحبها أحمد حمدي المشراقي. وكان العدد الأول منها قد صدر في ٢١ تشرين الثاني سنة ١٩٠٩ وبقيت إلى آب سنة ١٩١٠ حيث أُبدل اسمها إلى البصرة الفيحاء.

٦. البصرة الفيحاء: وقد ساهم في تحريرها كل من السيدين أحمد حمدي المشراقي ومحمد حمدي، وصدر العدد الأول منها في ١٠ آب سنة ١٩١٠ وكانت تصدر باللغتين العربية والتركية.

٧. الفيض: وقد صدرت باللغتين العربية والتركية وصاحبها داود نيازي وكان العدد الأول منها قد صدر بتأريخ ٧آيار سنة ١٩١٠ وأُغلقت على أثر انتحار صاحبها في نيسان سنة ١٩١٠.

٨. الرشاد: وهي للسيد يوسف السامرائي أحد الذين أراد أن يجعل من

---

٥. البصرة في أدوارها التأريخية لعبد القادر باشا أعيان

٦. مجموعة كبير من الكتب والمؤلفات المخطوطة.

ونستطيع أن نطلق على تلك التواريخ المخطوطة والمطبوعة (موسوعة آل باشا أعيان لتأريخ البصرة).

(١) ان اسم الجريدة غريب، لأنه بسبب وجود الميناء في البصرة الذي كان يعمل فيه عمال من جنسياتٍ متعددة وخاصة الهنود الذين يلبسون ملابس غالباً ما تكون مُرقَّعة من أقمشة متعددة، فهذه الجريدة أرادت ان تكون متنوعة الموضوعات كملابس الهندي المتعددة القطع والألوان، وأن تكون الجريدة قريبة من حياة الناس، وهو أمر يتماشى مع سياسة الجريدة الفكاهية.

الجريدة رشاداً لأبناء العروبة. فكان عددها الأول قد صدر في ٢٩ آب سنة ١٩١٠، وأُغلقت في تشرين الثاني سنة ١٩١١ بعد شَدَّدت الحكومة العثمانية الرقابة عليها.

٩. الآني: وهي للمحامي عمر فوزي أحد المقرَّبين إلى عميد الحركة العربية في البصرة السيد طالب باشا النقيب[1]. وقد صدر العدد الأول منها في ٢٣

(١) هو السيد طالب بن رجب بن محمد سعيد طالب الرفاعي، ولدَ في قرية السبيليات التابعة لأبي الخصيب سنة ١٨٦٢م وقيل ١٨٥٥م، في بداية حياته دخل الكتاتيب ثم تَعلَّمَ لغات عدة، في بداية شبابه انخرط في العمل السياسي وأصبح موضع ثقة الدولة العثمانية إذ مُنح رتبة [المتمايز] سنة ١٨٩٥ ثم رتبة (ميرميران) ثم مُنح رتبة (بالا) الرفيعة الشأن وربما كان سيد طالب هو أول مَنْ نالها من أهل البصرة. أرسله والده سنة ١٨٩٩ في أول سفارة سياسية له إلى القسطنطينية ليعمل على عزل والي البصرة (حمدي باشا) إثر المصادمات التي حدثت بينهما وفعلاً استطاع عزله وتعيّين (محسن باشا) والياً للبصرة بدلاً منه، وفي سنة ١٩٠١ عُيِّنَ السيد طالب متصرفاً لإقليم الإحساء ومُنح النيشان العثماني الأول وفي سنة ١٩٠٨ أصبح نائباً عن البصرة في مجلس (المبعوثان) العثماني. أَسَّسَ في ٦/ ٨/ ١٩١١ فرعاً لحزب الحر المعتدل في البصرة الذي تحول فيما بعد إلى حزب الحرية والإئتلاف، ثم انتُخِب في الأول من أيلول سنة ١٩١٢ رئيساً فخرياً للنادي الوطني العلمي الذي أسَّسه في بغداد مزاحم الباچچي، وفي ٥/ ١١/ ١٩١٥ غادر البصرة إلى الكويت بعد فشل الإنكليز باقناعه بالتعاون معهم لإحتلال البصرة على أن يكون حاكماً عليها تحت حمايتهم ثم عادَ إلى البصرة فقبض عليه الإنكليز سنة ١٩١٥ ونُفي إلى الهند وبعد سنتين سُمِحَ له بالانتقال إلى مصر ثم عاد إلى البصرة في شباط ١٩٢٠ فاستقبله الآلاف من أهل البصرة. أصبح وزيراً للداخلية في حكومة السيد عبد الرحمن النقيب إلّا أنه وبتخطيط من السير برسي كوكس تم اعتقاله ونفيه إلى جزيرة سيلان، ثم عاد سنة ١٩٢٥ إلى العراق، وفي سنة ١٩٢٩ اشتد عليه المرض فذهب إلى المانيا للعلاج فتُوفي هناك وفي ٦/ ٨/ ١٩٢٦ وصل جثمانه إلى البصرة ودُفن في مقبرة الحسن البصري في الزبير قرب قبر والده. وحكيت مغالطات كثيرة عنه حتى الأهزوجة الشعبية (ثلث الله وثلثين لطالب وثلث الله يطالب بيه طالب) فيها مغالطة فهي تخص أحد شيوخ الإقطاع في الكوت وليس عن السيد طالب النقيب (عبير التوابل إحسان السامرائي ص٣٧٢). صاحب فكرة لا مركزية عن البصرة التي عمل عليا وأسس لهذا المشروع الكبير.

تشـرين الأول سنة ١٩١٠ وأُغلقت في كـانون الأول سـنة ١٩١٢ وكانـت الحكومة العثمانية تُضايق صاحبها كثيراً لموقفه العربي الأصيل.

١٠. جريدة التاج: جريدة سـياسـية فكاهية وصاحبُها محمد نجيب المشـراقي، وقد صدر العدد الأول منها في ٢٢ تموز سنة ١٩١١ وأُغلقت في مايس سنة ١٩١٢

١١. المُنير: أسبوعية عربية كان صاحبها أحمد جودت كاظم صـدر العـدد الأول منها في ١٢ تشـرين الأول سنة ١٩١١ وقد أراد صاحبها أن ينتقد الحكومة العثمانية المُهمِلة فأمر والي البصـرة علي رضا باشا بإغلاق الجريدة وذلـك في أواخر شهر كانون الأول سنة ١٩١١ ولم تدم أكثر من ٤٥ يوماً.

١٢. جريدة الدستور: لصاحبها عبـد الوهـاب الطباطـائي أحـد المسـاهمين مـع المرحوم طالب باشا النقيب لخدمة الأمة العربية. وقد صدر العدد الأول في ٢٢ كانون الثاني سنة ١٩١٢ وكانت لسان حال جمعية الإصلاح في البصـرة والتي كان يرأسها المرحوم طالب باشا ثم أُغلِقَـت الجريـدة في أيلـول سـنة ١٩١٣.

١٣. صدىٰ الدستور: لصاحبها عبد الوهاب الطباطبـائي أيضـاً وكانـت لسـان حال جمعية الإصلاح وقد صَدَرَ العدد الأول منها في ٢٥ أيلول سنة ١٩١٣ وبقيت إلىٰ احتلال البصـرة سنة ١٩١٤.

الصيرفة

وهذه اللفظة تُطلق على جماعة من الناس يتعاملون في بيع وشراء السندات كما يقومون بالتحويلات ومناقلة النقود المختلفة والتبديل والتصريف والإتصال بالتجار خارج البلد وداخله والتوسط لإخراج البضائع من المخازن ومنها أُخذت لفظة الصيرفي. وأصل الكلمة الصرف وهو التحويل والرجوع بالشيء إلى أصغر صوره، وبالنسبة للنقود هو المبادلة بالعُملات أو البضائع والسندات.

وفي البصرة كانت هذه الحالة أيام الدولة الأموية والعباسية ولكنها في زمن الدولة العثمانية تَعَرَّضت الصَيرَفة للمخاطر حيث كانت العصابات تدخل المدينة نهاراً جهاراً وتجبر الصرافين على تقديم نقودهم وإلاّ كان مصيرهم القتل.

وكان الرحّالة ناصر خسرو عند زار البصرة في ٢٠ شعبان ٤٤٣هـ ٢٨ كانون أول سنة ١٠٥١م قد تَحدَّث عن ذلك فقال:إن الغريب الداخل إلى البصرة لا يحمل معه نقود بل يُودّعها عند أحد الصرافين ثم يأخذ منه تحويلاً يمكنه أن يَتصرف به أثناء وجوده في المدينة [١]. ولما بنى القائد العباسي المُوفَّق[٢] مدينة الموفّقية -البصرة الحديثة- لتكون على ضفاف شط العرب وبالقرب من مدينة المُختارة عاصمة الزنج في ثورتهم سنة ٢٥٥هـ كَتَبَ إلى عُمّاله بإرسال البضائع إلى هذه المدينة كما اتَصَلَ

---

(١) في العشرين من شعبان سنة ٤٤١هـ الموافق ٢٨ من ديسمبر سنة ١٠٥١م وَصَلَ الرحّالة أبي معين ناصر خسرو القبادياني المروزي البصرة زمن أميرها ابن أبي كاليجار الديليمي، وقد قال عن ريادة البصرة في التعامل بالصكوك: (والعمل في السوق هكذا كل مَنْ معه مال يعطيه للصراف ويأخذ منه صكاً ثم يشتري كُلَّ ما يلزمه ويحول الثمن على الصراف فلا يستخدم المشتري شيئاً غير صك الصراف طالما يقيم بالمدينة) وغادر ناصر خسرو البصرة في عشر من شهر شوال سنة ٤٤٣هـ، ينظر: سفر نامة لناصر خسرو.

(٢) هو طلحة (الموفق بالله) بن جعفر (المتوكل بالله) بن المعتصم العباسي جاء للخلافة بعد أخية (المعتمد بالله) وحجر على أخيه المعتمد حتى كان المعتمد يتمنى الشيء اليسير فلا يحصل عليه وتُوفي أيام أخيه المعتمد سنة ٢٧٨هـ، يُنظر: الأعلام: للزركلي، ط٣، د.ت. ٣/ ٣٣٠.

بالمدن العالمية وخاصة البحرية منها يعلمها بفتح الطريق المائي إليها فأخذت السفن تأتي إلى المُوفَّقية وهي مُحمَّلة بالأموال بينما كانت المُختارة في أيامها الأخيرة تشكو من الحصار الذي ضربه حولها جيش الموفَّق. ثم شجَّع الموفّق التجارة وفتح محَلاَّت التجُّار والباعة واتخذ داراً لضرب النقود وأمر بتوزيع العُملَة العباسية بسرعة فكان الصيارفة الواسطة السريعة والأمينة والمُنظَّمة التي ساعدت على انتشار العُملَة المُوفَّقية الجديدة.

وكان الزنج أيام امتداد دولتهم قد سَكّوا النقود وانتشرت عملتهم ولكن لّما أَوشكت حكومتهم على الإنهيار أمر الموفّق بعدم قبول العملة الزنجية. وأعطى فُرصةً للذين يمتلكونها أن يبدلوها بعملةٍ عباسية وهكذا انقرضت العملية الزنجية وأخذ الناس يحتفظون فقط بالقطع الذهبية مما ساعَدَ الصيارفة في الموفقية على الإستفادة من هذا الذهب.

ثم بعد قتل صاحب الزنج سنة ٢٧٠هـ والقضاء على ثروتهم أَصَدَرَ المُوفَّق أمراً صارماً يحكم فيه بالموت على مَنْ يُعثر عليه وعنده عُملَة زنجية، ولّما كانت الرقعة التي استولى عليها الزنُج تمتد من شمال الأهواز إلى حدود بغداد كان من الصعب على الناس تبديل عملتهم الزنجية وعليه أرسل الموفق الصرافين ومعهم الحَرس والكُتّاب وأخذوا يجوبون المناطق لتبديل العُملَة التي صُهِرتْ وأُعيد سكها باسم العباسيين حتى أننا اليوم لا يمكننا أنم نعرف عنها شيئاً سوى ما نشره الأستاذ – كازانوفا – عن وجود قطعة ذهبية يرجع تأريخها إلى سنة ٢٦٤هـ وهي موجودة في متحف باريس كما نشر الأستاذ – ووكر – عن وجود قطعة ذهبية ثانية تأريخها ٢٦١هـ وهي موجودة في المتحف البرطاني.

وكان للصيارفة البصريين مَحلاَّت مُحكَمة البُنيان مع صناديق حديدية ومفاتيح قوية كما كانت لهم دفاتر تسجيل وسجّلات للمعاملات وكان أكثر اعتمادهم على الكُتّاب والحرس من السنديين والأحباش وكانت النقود تُحمَل في أكياسٍ ويكون

السندي أو الحبشي عليها أميناً.

كذلك كان تُجار الأقمشة وتُجّار الخزف وبنادرة البر بهارات يعتمدون على الغُلمان الأحباش والزُنج لأمانتهم. والبنادرة هم التجار الذين يخزنون البضائع والمعادن لمدةٍ في مخازنَ ينتظرون الغلاء ليربحوا كثيراً على حساب قوت الشعب.

أما البر بهارات فهي الأدوية بصورةٍ عامة بما فيها العقاقير والحشائش والورود التي تُستَعمل كأدوية أو كطيب أو بخور كما فيها أنواع من التوابل

وكان من أشهر الصيارفة في البصرة أيام الحكم العباسي – زَبيدة بن حميد – الذي ذكره الجاحظ في كتابه البخلاء[1] فقال: أنه كان يمتلك مائة ألف دينار كما وأنه كان يستخدم العديدين من الغُلمان وهو أكبر اقطاعي أيضاً. وكان يضرب غلمانه الجياع الذين عَبَّر أحدهم عنه جوعه قائلاً: (نسمع بالشبع سماعاً من أفواه الناس) كما ذكر الطبري بأن زَبيدة بن حميد هذا كانت له علاقة بالرشيد وأنه كان يُموّل مشروع إنشاء جسر على باب الشعير في بغداد

وكانت مَحلاَّت الصيارفة تُبنى بالآجر والصخر والجص ثم تُبنى الصناديق الحديدية في الحائط كما وأنها كانت تُربَط بسلاسلَ حديدية قوية تُطمَر في الأرض ويُبنى عليها حتى لا يمكن تقويضها، وكذلك عَمَلَ الصيارفة في السكورتا وكانوا يطلقون عليها لفظة شوكراتس وكانت السيكورتا تُؤخَذ سنة ١٨٢٥ على الأموال بين الهند والبصرة خمسة بالمئة. كما جاء في إحدى نشرات الصيارفة الصادرة في

(١) قال الجاحظ في النِجلاء ص٤٥: (وأما زُبيدة بن حُميد الصَّبر في، فإنه استسلف من بقال كان على باب دارة درهمين وقيراطاً فلّما قضاه بعد ستة أشهر قضاه درهمين وثلاث حبّات شعير فاغتاض البقّال وقال: سبحان الله ! أنت ربّ مائة ألف دينار وأنا بقال لا أملك مائة فلس، وإنما أعيش بكدّي وباستفضال الحبّة والحبتين، صاح على بابك جمّال وحتّال ولم يحضركَ شيء، وغاب وكيلك فنقدتُ عنك درهمين وأربعَ شعيرات فقضيتني بعد ستة أشهر دِرهمين وثلاثَ شعيرات ؟ فقال زبيدة يا مجنون أسلفتني في الصيف فقضيتُك في الشتاء، وثلاثُ شعيراتٍ شتوية نديّة، أرزنُ من أربع شعيراتٍ يابسة صيفية، وما أشك أن معك فضلاً) (البخلاء: للجاحظ، دار بيروت، سنة ١٩٦٠).

البصـرة بتأريخ ١ شباط ١٨١١م بأن اليلدز اليوم سعره تسعة وربع والريـال سـعره أربعة وثمن اليوزلي في قرشـين، وكانـت نَشـرة أخـرىٰ صـدرت في ٢١ تمـوز سـنة ١٨١١م تقول بأنّ اليلدز في ثمانيـة وسـبعة أثـمان القـرش والريـال في أربعـة وثمـن واليوزلي في إثنين وربع قرش.

وكان الصـرافون يأخذون من الناس الأمـوال لتشـغيلها ويـدفعون لهـم أرباحـاً وَصَلَتْ أحياناً إلىٰ خمسـين بالمائة من القيمة الأصلية.

وعلىٰ هذا الأساس جاء في نشـرة صَدَرَتْ في البصـرة بتأريخ ١٣ تموز ١٨١١ بأنّ دافع ١٠٠ قرش يأخذ ١٥٠ قرشاً بعد دفع الكمرك فَتَصَّور مقدار الربح. ويظهر لنا أثر الصيارفة في الحادث الذي جرىٰ في ٦ كانون الثـاني سـنة ١٨١٢م حيـث أصـدر والي بغداد عبدالله باشا أمراً إلىٰ والي البصـرة إبـراهيم آنـما بـأن يزيـد الكمـرك عـلىٰ البضائع بمقدار عشـرة بالمائة فما كان من صيارفة البصـرة إلاّ أن يَحتَجُّوا عـلىٰ ذلـك ببرقيةٍ إلىٰ الاستانة ثم أرسلوا وفداً إلىٰ بغداد حتىٰ أُلغيَ الأمر قبل تنفيذه

ولقد اشتغل الصيارفة أيضاً ببيع وشـراء التمور حتىٰ أنّ أحد وكلاء الشـركات الذي كان يشتغل في البصـرة في ٢٠ تشـرين الثاني ١٨١٣ م سَجَّل مقـدار الكمـرك الذي كان يُؤخَذ علىٰ الصادرات والواردات فقال: أن كَمـرك بغـداد يسـتوفي أربعـة بغداديان علىٰ كُلِّ صندوق من سُكَّر يَرد من البصـرة كما كان يأخذ علىٰ كل طغار من الدبس يرد من البصـرة ثلاثة بغداديات وكـان الصـيارفة يَتوسَّـطون في دفـع أجـور الكمارك.

كذلك جاء في سلنامة سنة ١٨٦٧ وتحت توقيع الـوالي نـامق باشـا بـأنّ الدلاّليـة تُدفَع نقداً من قبل المشتري والمُتعهِّد بالشـراء علىٰ أن لا تزيـد عـن عشـرة بالمائـة... ولكن الصيارفة كانوا يضاربون في دلالية بعض المواد للإستفادة منها.

ومما يُلاحظ أن أكثر الصيارفة في البصـرة كانوا من غير المسلمين وإنْ كـان هنـاك صيرفي مُسلِم فهو حلبي الأصل حيث كانت التجارة تُنقَل من حلب إلىٰ آسـيا عـن

طريق البصرة وقد ذكر الرحالة – بارنس[1]– الذي زار البصرة سنة ١٧٧٤م بأن الحلبيين يجلبون إلى البصرة أموالاً أوربية معظمها يرد من البندقية في ايطاليا.

وكذلك ذكر الرحّالة – ديلا فاله– الذي سافر من البصرة بتأريخ ٢٢ آيار سنة١٦٣٥[2] فَوَصل حلب بتأريخ ٣٠ تموز من السنة نفسها بأنَّ الرحلة بدأت من البصرة إلى حلب رأساً وعن طريق بري دونَ أن يمر ببغداد أو أي مدينةٍ أخرىٰ سوىٰ مضارب الأعراب كما وأنه ذكر بأنّ الحلبيين يسكنون البصرة بكثرة وهم تُجّار المدينة وصيارفتها.

ومما تجدر الإشارة إليه أن بعض السُواح كانت تعجبهم الحياة في العراق فيسكنونه ويفتحون لهم المحلاّت التجارية وكان منهم – مستر هكتر– أحد أفراد – بعثة جسني – التي زارت العراق حوالي سنة ١٨٣٢ وكان – هكتر – قد فَتَحَ له مَحلاً تجارياً في بغداد كما كان من أفراد البعثة– الربان بولص لنج– الذي أسس شركة بين لنج وكانت له بواخر وتجارة تسير بين البصرة وبغداد والمدن العراقية الأخرىٰ.

وكان هؤلاء التُجّار الأجانب يتعاملون مع الصيارفة والعمل علىٰ النفع والقروض. حيث كانت الأمور تُفهَم من قبلهم أكثر من الغير. ومن تُجّار حَلَب في

---

(١) النص في رحلة بارسونز (ولكن التُجّار القادمين من حلب يجلبون للبيع بضائع أوربية (ولاسيما من البندقية) ثم يعودون ببضائع ثمينة من شبه الجزيرة العربية وبلاد فارس وكُلُّها تُنقَل من البصرة إلى حلب سواءُ بالطريق المباشر عبر قوافل الجمال أو إلى بغداد عن طريق النهر أولاً ومنها إلى حلب عن طريق الجمال)، (رحلة ابراهام بارسونز من حلب إلى الخليج العربي (١٧٧٤–١٧٧٥، ترجمة وتعليق: د. أنس عبد الخالق محمود، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط١، سنة ٢٠١٣، ص١٢٠).

(٢) في هذه السنة ١٦٣٥م–١٠٤٥هـ وَصَلَت باخرةٌ بريطانية تحمل شحنة صغيرة من السلع لجس نبض أهالي البصرة حول استقبال السلع الإنكليزية وهو أول اتصال تجاري مع البصرة (الدبلماسيون البريطانيون في العراق ١٨٣١–١٩١٤: د. صلاح خضر محمد، سلسلة رسائل جامعية، بغداد، ط١، سنة ٢٠٠٥. ص١٩).

البصرة ميخائيل يوسف عبود[1] الذي وَصَلَ البصرة في ٢٤ كانون الثاني سنة ١٨١١م ومكثَ فيها إلى ٢٦ كانون الثاني سنة ١٨١٤م ثم سافر إلى الهند فوصل كلكتا في ٣٠ تموز سنة ١٨١٣هـ وسكن عند التاجر الحلبي – فتح الله حَنّا أصفر – وذلك لتوثيق عُرى التجارة بين الهنود والبصريين، كما قام بعدة اطلاعات على أنواع البضائع الهندية وتَعَّرف على حاجيات الشعب الهندي من السلع العراقية وكَتَبَ الكثير في مذكراته واتصل بالمصاريف والبنوك والصَيارِفة في الهند وسَهَّلَ لهم طريقة الإتصال بالصيارفة البَصريِّن كما أتصل بشركات التأمين والسيكورتا ولكن المنية عاجلته فقد ظَهَرتْ عليه علامات الإعياء فتدهورت صحته وتُوفِّيَ في الهند بتأريخ ٣٠/ آب/ ١٨١٤م.

أما عن المحاكم ودرجتها فقد كان في البصرة منذ الحكم العباسي قُضاه للتجارة وكان مع هؤلاء القُضاة مستشارين ثم خَصَّصَ كُتّاب حقوق- كُتّاب عدل. أما في زمن الدولة العثمانية فقد نَظَّمَتْ المحاكم في البصرة على درجاتٍ ثلاث: هي البدائية وكانت توجد في مركز كل ولاية وتتألف من حاكم تحقيق ورئيس محكمة التجارة والمُدَعي العام. ثم تأتي محاكم الاستئناف ومركزها واختصاصها النظر في القضايا

---

(١) كان تاجراً معاصراً لغزو عبد الله باشا لديار المنتفق وقتله حمود بن ثامر وأولاده في سنة ١٢٢٧هـ وقدّم وصفاً لبرغش بن حمود بن ثامر فقال عنه: إنه كان أكبر أبناء حمود وقد وردت معلومات عنه قليلة في: مباحث عراقية: ليعقوب سركيس، ١/ ١٣، في هامش مطالع السعود ص ٣٩٧.

وهو كذلك من أشهر التجار الحلبيين الذين سكنوا البصرة وقد مكث فيها ثلاث سنوات من ٢٤/ ١/ ١٨١١م إلى ٢٦/ ١/ ١٨١٤م إذ غادرها إلى (كلكتا)، وترك أخاه يوسف عبود في البصرة ليدير أعماله التجارية ونَزَلَ ضيفاً في (كلكتا) على التاجر الحلبي فتح الله حنّا (بيت أصفر) ولكن ميخائيل هذا تُوفِّيَ بدار فتح الله بعد شهر من وصوله (كلكتا) وذلك في ٣٠ تموز سنة ١٨١٤هـ (ينظر: تراث البصرة: الجزء الأول والثاني ص١١٣).

وقد أخطأ حامد البازي عندما ذكر الاسم (ميخائيل يوسف عبود)، بل هو ميخائيل عبود وأخوه يوسف عبود، فَجَمَعَ البازي بين الإسمين وعَدَّهما واحداً.

المُستَأنفَة من جميع محاكم العراق البدائية وكانت تتألف من حُكّام رسميين وهيئة أهلية مُنتَخَبة وفي القضايا التي كان لا يمكن حلّها كانت تُحال إلى المحاكم العليا في إستانبول. وهناك محاكم التمييز ومركزها عاصمة الدولة إستانبول كما كان هناك ديوان التدوين القانوني الذي كان يُسمّى –مجلس شورى دولت. وكان راتب العضو الأهلي في المحاكم الاستئنافية ليرتين ونصف شهرياً بينما راتب عضو – مجلس شورى دولت – خمس وعشرين ليرة ولذا كانت تُعطى هذه الرُتبة إلى الشخصيات المُشاغِبة والقوية والتي تخشى الحكومة منها فيتم تَعيين هؤلاء في العاصمة دفعاً لشرهم.

وعَمَلَ الصيارِفة والتُجّار البصريون على تصدير الحنطة البصرية والتمر إلى الهند مقابل استيراد بعض السلع والموز الهندي الذي زرعته البصرة بعد ذلك فأنتج ثمراً طيباً وقد شاهدته السائحة الفرنسية – مدام ديولافوا – عند زيارتها البصرة سنة ١٨٨١م ١٢٩٩هـ فقالت إنها شاهدت غابة من أشجار الموز على ضفاف شط العرب.

ولقد أصبحت البصرة يوماً ما مصدراً من مصادر الموز والبرتقال والرّمّان والليمون زيادةً على الحبوب والأَرُز والتمر فلم يترك الصيارِفة هذه النعمة تذهب بل صَدَّروها إلى الخارج وتَقَبَّلوا عن أثمانها بضائع أخرى.

ويُقال إن تجار البصرة وصيارفتها قاموا منذ عهد حاكم البصرة الشيخ مغامس[1] ١٧٠٥م-١١١٧هـ بالاتصال بالشركات الأجنبية وخاصة الهولندية منها

(١) في سنة ١١١٧هـ -١٧٠٥ م استولى الأمير مغامس بن مانع أمير المنتفق على البصرة مستفيداً من عدم استقرارها بسبب تبدل الولاة المُستمر وبعد استيلائه عليها حضر أمامه في ٢٢ رجب سنة ١١١٧هـ الموافق ٧/ ١١/ ١٧٠٥م الربان الهولندي بيتر وبعد أن هَنّأه إلتمسَ منه عقداً بين الهولنديين والعرب يَتعلّق بشؤون شركتهم وأن يحمي كنيسة الكَرمليين ودارهم وبعد يومين قَدَّم مذكرتين إلى الأمير مغامس، فأحالهما إلى قاضيه الشيخ سلمان فَصدَّقهما، فَحَصَلَ الكرمليون على عهدٍ يَتعلّق ←

والإنكليزية حتى إذا ما جاء أوائل القرن العشرين وعَرَفَ الغرب بوجود النفط في جنوب العراق، حيث أن المنطقة المُحدَّدة بالسماوة شمالاً والفاو جنوباً هي مصدر من مصادر القِير والنفط ازدادت البصرة أهمية.

ويُقال إنَّ – أبو المظفر ناتكين[1]– قال قبل سنة ٦١٦هـ –١٢١٩م وفي الحادث الذي وقع لبني معروف قصيدة منها:

يا وقعة شفت النفوس وغادرت تل المُقَيَّر ما به من غابر
وسقت بنو المجهول كأساً مُرةً تركت مواردهم بغير مصادر
وتوهموا أن المُقَيَّر معقل متع من كل ليث خادر

وكان بنو معروف الذين سمَّاهم الشاعر – بنو مجهول– يسكنون منطقة المَقَيَّر إلى بصرة وهم يعملون في استخراج القِير ونقله إلى البصرة وبيعة للتُجّار البصريين والصيارِفة وقد شَجَّعت هذه الفكرة الأوربيين على التنقيب عن النفط في منطقة البصرة حتى وجدوه بهذه الكمية الوافرة.

بكنيستهم ودارهم وامتيازات خاصة تَتَعلَّق بالتجارة إلى درجة أصبحت أسواق البصرة لا تجد فيها غير البضائع والسلع الهولندية كما وأن الهولنديين اشتروا حمل مائة سفينة شراعية من التمر البصري واشتروا بصلاً ومِلحاً.

(يُنظر: تأريخ العراقيين بين احتلالين: عباس العزاوي ت١٩٧١ نسخة مصورة بالأوفسيت عن الطبعة الأولى، سنة ١٩٣٩، المكتبة الحيدرية، سنة ١٤٢٥هـ ٥/ ١٦٧–١٦٨)، والمُجمل في تأريخ البصرة: علاء العيسى ص٢٦٨.

(١) ليس ناتكين بل باتكين، وهو باتكين بن عبد الله الرومي الناصري أبو المظفر شمس الدين، من العلماء الشعراء وكان مملوكاً لعائشة بنت الخليفة المُستَنجِد بالله وخَدَمَ في الجيش فأقام بتكريت مدة، وسُلِّمت إليه البصرة بحربها وخراجها فأقام بها ٢٣ سنة فَعمَّرها وبنى لها سوراً محكماً وجدد بها مدارس كانت قد دُرِست وأَنشأ مدرسة لعلم الطب، وَوَقَفَ في جميع المدارس كتباً وانتشر العلم في أيامه. ولما مَلَكَ الخليفة المستنصر بالله أربل سنة ٦٣٠هـ نقله من البصرة إليها والياً عليها حرباً وخراجاً فأزال المكوس وأصلح السور وحَفَرَ خندقاً، ودخلها المغول في عهده سنة ٦٣٥هـ بعد حربٍ وحصار، ففارقها إلى بغداد ولزم داره إلى أن تُوفيَ) يُنظر: الأعلام: للزركلي، ٢/ ٤٠.

وكانت الحكومة البريطانية قد أَسَّست أول محكمة في البصرة أواخر سنة ١٩١٥ برئاسة – الكرنل نوكس – الذي كان يُجيد العربية وكان مزاحم الباچة چي[١] مُترجِماً فيها وهي تعمل بالقوانين الهندية.

ولقد عَمَلَ التُجّار والصيارِفة في البصرة على إلغاء القوانين الهندية التي لا تتفق والحالة في العراق حتىٰ إذا ما جاءت سنة ١٩١٩ تَشكَّلت محكمةٌ جديدة في البصرة برئاسة مستر – نوريس – وعضوية السيدين خان بهادر والمرحوم سليمان فيضي وكانت أكثر تجاوباً مع الروح العراقية. ومن أشهر رؤوساء المحاكم التجارية في البصرة قديماً المرحوم ناجي السويدي[٢] وقد عُيِّنَ سنة ١٩٠٨ بعد افلاس شمل

---

(١) ولِدَ مزاحم بن أمين بن محمد سليم الباچچي في بغداد سنة ١٨٩٠م وقيل ١٨٨٨م ودَرَسَ في مدرسة الحقوق. وصل إلى البصرة هارباً من سلطة بغداد التركية إثر انتقاده للإتحاديين في مقال نشرته إحدىٰ الجرائد واحتمىٰ بمنزل السيد طالب النقيب، وقد عَمَلَ في البصرة عندما أَسَّس البرطانيون المحكمة فيها، سنة ١٩١٥، ثم انتخب نائباً عن الحلة في مجلس التأسيسي سنة ١٩٢٤ ثم انضمَ إلى النادي الوطني العلمي ثم أصبح رئيساً له، شغل عدة مناصب وزارية ثم رئيساً للوزراء سنة ١٩٤٨ وتُوفِّي سنة ١٩٨١، يُنظر: المجمل في تأريخ البصرة، ص٣١٤.

(٢) نقل هذه المعلومات عبدالله رمضان ال عيادة عن حامد البازي دون الإشارة إليه، إذ قال في كتابه (تراث البصرة الجزء الأول والثاني ص١٢٣): (من أشهر رؤساء المحاكم التجارية في البصرة قديماً المرحوم ناجي السويدي وقد عُين سنة ١٩٠٨ بعد إفلاس شمل العديد من تجار البصرة وشلَّ حركة النشاط الاقتصادي في البصرة في ذلك العهد فَعَمدَ السويدي على حَل تلك المشاكل التجارية وتذليلها ونظم عمليتي السحب والدفع وجَمَعَ التجار والصيارفة ورجال الأعمال وكوَّن رأس مال [بصري]، استطاع سَدَّ العجز المالي وقضىٰ على اضطراب الأسواق وعَمَلَ على استقرار الميزان التجاري في حالتي العرض والطلب وتسيير أمور الأسواق)

وقال عن هذه المحكمة سليمان فيضي في مذكراته ص٢٥١-٢٥٢ (في أواخر عام ١٩١٥ أَسَّست الحكومة البريطانية أول محكمة مدنية في البصرة برئاسة الكرنل نوكس الذي كان يُجيد العربية وبعض الحكام البريطانيين وكانت القوانين المَرعِية فيها آنذاك هي القوانين الهندية وقد اُختير مزاحم الباچچي مُترجماً في المحكمة المذكورة. وفي ذات يوم أرسل (نوكس) بطلبي واقترحَ عليّ العودة إلى المحاماة فاعتذرت بانهماكي في الأعمال التجارية أولاً وبجهلي القوانين الهندية ثانياً، إلاّ أنه في أواخر عام ١٩١٨

←

الكثير من تُجّار البصرة في ذلك العهد فَعَمَلَ السويدي على حَلَّ المشاكل هذه ونَظَّم السّحب والدفع وجمع التجار والصيارفة وكوَّن رأس مالٍ بصري حَقَّقَ سد العجز وقضىٰ على اضطراب الأسواق. وفي الحقيقة إنّ التُجّار والصيارفة لعبوا دوراً مهماً في حياة البصرة أواخر عهد الحكم العثماني فقد خرجوا إلى أوربا ومصر ولبنان وغيرها وشاهدوا التقدم الصناعي والتجاري والزراعي فعادوا ليبنوا عهداً جديداً لبلدهم.

ففي سنة ١٨٨٨م جَلَبَ- إبراهيم جي- الهندي الأصل معملين للقازوز- ناملیت- ونَصَبَ أحدهما في البصرة والثاني في العشار.

وبعد خمس سنوات جَلَبَ – ملا عبد الرحمن نجش – معملاً آخراً ليعمل في البصرة ولما جاء النجاح معه قام الصراف محمد علي بن الشيخ محمد المولوي مع جماعة من الصرافين فكوّنوا شركةً لهذا المشروب في أبي الخصيب.

وفي سنة ١٩٠٠م قامت شركة – داغر محمد سعيد[1]- وهي شركة أهلية

فاوضني الحاكم السياسي في البصرة لقبول منصب حاكم البداءة، برئاسة حاكم بريطاني وعضوية حاكم آخر على أن أقوم بتنظيمها وفق الأصول العثمانية وقال إن الاقتراح المذكور وَرَدَ إليه من الحاكم العام ومن ناظر العدلية في بغداد...

فَتَشكَّلت هيئة المحكمة في أوائل عام ١٩١٩ من المستر فوريس رئيساً وأنا والميرزا محمد خان بهادر عضوين، والميرزا محمد رجل فاضل اشتهر بسعة اطلاعه في العلوم وولعه بالآداب.

وفي منتصف عام ١٩١٩ تم تَعيين الميرزا محمد حاكماً سياسياً في كربلاء فسافر إليها وتركني في وضعٍ لا أُحسد عليه مع الرئيس المجنون الذي بلغ التوتر بيني وبينه أشده ولم أعد أستطيع العمل معه فقدَّمت استقالتي في أيلول سنة ١٩١٩ فرفض استقالتي.

وفي ١٦/ ١٠/ ١٩١٩ وردني كتاب من ناظر العدلية يقضي بترفيعي إلى عضوية محكمة استئناف العراق التي تنظر الاستئناف والتمييز براتب قدره ألف روبية فباشرت يوم ١/ ١١/ ١٩١٩).

(١) في عام ١٩٠٤ تأسست شركة العربيان في البصرة وكان يديرها السيد (منگرديج) ثم انتقلت ملكيتها إلى السيد (محمد سعيد) وليست هي له ابتداءً كما ذهب حامد البازي والسيد (منگر ديج) هو والد السيد (سيمون كربيان) الذي اغتيل في داره والعربين هي عربات نقل الناس التي تجرّها ←

لتأسيس خط للعربات تسير بين البصرة والعشار وأبي الخصيب. وكان قبل ذلك قد تَشَكَّلت شركة – منگر ديچ وشركاه– للعربات وقد ساهم الصيارفة فيها.

كذلك كانت في الأول قد تأسست شركة البواخر النهرية وكان مدحت باشا[1]

الخيول، وأن تأريخ تأسيس الشركة عند آخرين هو سنة ١٩٠٤ وليس سنة ١٩٠٠ كما ذهب البازي«رحمه الله»، وعندما بدأت العربات تسير بين البصرة والعشار قامت مظاهرة كبيرة وَدَخَلتْ سراي الحكومية (مقر والي البصرة) احتجاجاً على هذا المشروع الذي سيكون سبباً في قطع رزق الكثير مَمَّن يعملون في الأبلام وقُدِّم هذا الاحتجاج إلى والي البصرة وطلبوا منه أن يمنع تلك الشركة من مزاولة عملها وكان الوالي العثماني من ذوي المقدرة والذكاء فطمأنهم على طلبهم ووعدهم بتأمين معيشتهم وأخذت الأمورُ بعد فترة تسير على طبيعتها فاعتاد الناس ركوب العربات واعتاد الآخرون ركوبَ الأبلام... وبعد الإحتلال البريطاني وإنهاء الحرب العالمية الأولى ظهرت السيارات وَعَمَلتْ على نقل الركاب بين البصرة والعشار وحين رأى أصحاب العربات ذلك حزَّ في نفوسهم وقاموا بمظاهرة كبيرة ودخلوا ديوان المتصرفية (مقرّ الحاكم السياسي البرطاني آنذاك) فقابلهم الحاكم بلطف وطمأنهم كما طمأنَ الوالي العثماني أصحاب الأبلام وبعد فترة أخذ الحوذيون يهجرون العربات لصالح قيادة السيارات بعد أن كانوا يُلقونَ المسامير أمامها.

ثم أسس سيمون كربيان شركة تجارية يقع مقرها مقابل بناية محافظة البصرة القديمة في الجهة الثانية لنهر العشار قرب فندق حمدان الحالي ومقر الشركة كبير جداً (وهو الآن كراج) مجاور الفندق وفيه حديقة واسعة بطول ٧٠ متراً وهي مزروعة بالثيل والبرتقال وتعمل الشركة في تجارة الحديد والمواد الغذائية وكان وكيلها الحاج كاظم بريچ وتمت تصفية الشركة في الستينات بقرار حكومي (كريم علاوي البصرة في ذاكرة أهلها ص١٢٤ وص٨٠)

(١) ولِدَ مدحت باشا في الآستانة في شهر صفر عام ١٢٣٨هـ-١٨٢٢م لأبٍ من القضاة يدعى حافظ محمد أشرف وبعد أن أكمل تعليمه بدراسة اللغة العربية وحفظ القرآن الكريم وتعلّم الفارسية والخط ومبادئ العلوم الأخرى على بعض علماء الدين انخرطَ في سلك الوظائف الحكومية فعُينَ كاتباً في إحدى الدوائر الحكومية في العاصمة وتدّرجَ فس سُلّم الوظائف وفي ستينات القرن التاسع عشر حينما كان حاكماً لبلغاريا ١٨٦٤-١٨٦٩م قام بإصلاحات عمرانية وسياسية كبيرة فبرز اسمه كموظف قدير عن موظفي الدولة فاستدعاه الصدر الأعظم فؤاد باشا ليشاركه في وضع بنود (نظام الولايات) على ضوء تجاربه الناجحة كما أسندت إليه رئاسة (مجلس شورى الدولة) الذي كان يبطلع بمهمة سن الأنظمة والقوانين وتدقيق المعاهدات والاتفاقيات الدولية وتجري فيه محاكمة كبار

←

الوالي المعروف قد ساعد على تأسيسها سنة ١٨٦٩م. كما وأن شركة بيت الوكيل الإنكليزية أرادت أن تجلب معملاً لحزم الصرف وآخر لحزم عِرق السوس ولكن الصيارفة أبو إلاّ المساهمة فيها وقد تمَّ لهم ذلك وجلبوا المَعمَلين سنة ١٨٦٧، ولقد أخذت بغداد طريقة معاونة الصيارفة بالمشاريع من البصرة ثم اتفقت المدينتان على تبادل التجارة والتعاون. ولقد كانت البصرة تعاون المُدن العراقية في إنعاش مشاريعها وتمويلها فلقد تَحدَّثَ الرحّالة الفرنسي – أوتر- عن زيارته لمدينة الحلة في ٢٩ حزيران سنة ١٧٤٣م فقال أنه زار حاكمها – يوسف بك- وحَلَّ ضيفاً عند ابنه وقد وَجَدَ في مجلسه – يحيى آغا- مُتسلِّم البصرة سابقاً واليهودي موشي وهو رئيس صرافي البصرة، وكان يُسمى – صرّاف باشي-

ثم قال الرَحَّالة أوتر: إن هذا الصراف جاء في طريقه إلى بغداد حيث يبدأ في تموين الحلة بالمال ثم يذهب إلى بغداد ليمُوّنَها وليدبر شؤون ماليتها لاختصاصه بالصرف وذلك نظراً لعزم نادر شاه الإيراني على غزوها. ومن الصيارفة البصريين اليهود – الخوجة يعقوب- الذي كان في البصرة عند احتلال العَجَم لها سنة ١٧٧٦م وكان الإيرانيون قد قبضوا على – سليمان آغا- حاكم البصرة وأخذوه أسيراً إلى شيراز ولكن سليمان آغا كان دائم الإتصال بالخوجة يعقوب بواسطة رُسل خاصة حيث أخذ الخوجة يلعب على الحبلين فهو مع العجم ضد العثمانيين كما

موظفي الدولة ولكنه لم يستمر في منصبه هذا طويلاً، حيث اضطر لتقديم استقالته من هذا المنصب حَسماً للخلافات التي نَشبت بينه وبين الصدر الأعظم الجديد عالي باشا بعد وفاة فؤاد باشا في شباط سنة ١٨٦٩م فَعُين بعد قبول استقالته مباشرة والياً على بغداد، إذ وصل إليها في ٣٠ نيسان، وقَدَّم الكثير من الإصلاحات والأعمال الخيرية

عُزِلَ عن ولاية سنة ١٨٧٢ واتُهم باغتيال السلطان عبد المجيد وحُوكم في قصر يلدز فأدينَ وصدر الحكم بنفيه إلى مدينة الطائف، إذ سُجِن ثم قتلَ مخنوقاً بأمرٍ سري من السلطنة كما يُقال وذلك في شهر رجب سنة ١٣٠١هـ [تأريخ العراق بين احتلالين: عباس العزاوي: ٧/ ٢٢٧، لمحات اجتماعية: د. علي الوردي: ٢/ ٢٤٩-٢٧٩]، المجمل في تأريخ البصرة: ص٢٩٣-٢٩٤.

وأنه مع العثمانيين ضد العجم.

وعندما رجع سليمان آغا إلى البصرة سنة ١٧٧٩م بعد خروج الإيرانيين منها كان من أعزّ أصدقائه الخوجة يعقوب والمستر لاتوش الوكيل البريطاني في البصرة حيث أن سليمان آغا مع شدّته وحزمه كان بحاجة إلى مَنْ يدلُّه على طرق جمع المال وليس هنالك أفضل من الأذلاء اليهود والإنكليز فهم سماسرة هذه الطُرق خاصة وأنَّ كرسي الخلافة في الآستانة كان يساعد على جمع المال بأي طريقةٍ كانت.

وكان الإيرانيون عند احتلالهم للبصرة سنة ١٧٧٧٦م[1] قد شجَّعوا النزهات

---

(١) في سنة ١٧٧٥م عبر ألفا شخص من بختيارية الجيش الإيراني شط العرب من منطقة ناحية السويب على قِربٍ منفوضة من جلد الماعز دون أن يواجهوا مقاومة من الأهالي أو من الحكومة من أجل تأمين رأس جسر لحين وصول المواد اللاّزمة من الحويزة لإنشاء جسر عائم وفي خلال اسبوعين أُنجِزَ ذلك الجسر بمد سلاسل حديد ربطت الزوارق ببعضها فأكمل الجيش عبوره مع تجهيزاته ومدفعيته في الرابع من نيسان وفي السابع من الشهر نفسه اكتمل وصول القطاعات وقوافل التموين بالقرب من البصرة وقد أمتدت خيم المعسكر من نقطة تقع على مسافة ثلاثة أميال إلى الشمال من بوابة بغداد حتى المعقل (مارگيل) على بُعد ميلين من مقر وكالة شركة الهند الشرقية وفي الساعة الثانية ليلاً من التاسع من نيسان بدأ الهجوم بأمر صادق خان على البصرة ووقع اشتباك ضارٍ بين الطرفين عدة ساعات في ظلام دامس... وفي السادس والعشرين في نيسان وبعد قصف كثيف طوال ليلة كاملة اندفعَ الإيرانيون نحو سور المدينة في خمسة اتجاهات حاملين السلالم لكنهم رُدّوا على أعقابهم بعد قتالٍ مرير إستمر ساعة تمكنّ البصريون وعشائر المنفق بقيادة ثامر بن سعدون إيقاع خسائر كبيرة بأفرادهم قُدّرت بألفي قتيل وفقد مئة سُلّم،وقد وصف لونكريك بسالة أهل البصرة بقوله (وأبلى البصريون ولا سيما المنتفكيون أتباع ثامر بلاءً حسناً في الذب عن المدينة خاصة وكانوا يسمعون هلاهل نسائهم وصرخاتهن داعيات لهم ومُشجعات وكان كل رجال المدينة يشاركون في الدفاع عنها منهم الأرمني والزنجي والإنكشاري والعربي على حدٍ سواء وكذلك الرهبان من الكرمليين الذين كانوا ضمن قوات سليمان آغا. وفي منتصف أيلول من السنة نفسها وصل الأسطول العُماني بقيادة الإمام أحمد بن سعيد إلى مصب شط العرب تَتَقَّدمه السفينة الرحماني لفك الحصار عن البصريين وبسبب قِلة الإمدادات رجعت السُفن العمانية إلى مسقط، وبعد أن رأى متسلّم البصرة (سليمان آغا) ما جرى على الأهالي ولتأخر الإمدادات من الدولة والوالي أرسلَ في ١٦ نيسان وفداً إلى ←

النهرية في شط العرب والخروج الجماعي إلى البساتين والخلاء ترويحاً عن النفس في كُلِّ وقتٍ ومناسبة وسمّوها – كشتة– كما وأنهم جعلوا من عيد النوروز – كسلة – عيداً ربيعياً باهراً فكان يوم ٢١ آذار من السنة عيد الشموع والصواني والفواكه والحلويات والأُنس والسَهر مع الملابس الجميلة وقُبلات العيد الطاهرة.

ولكن سليمان آغا عند رجوعه من الأسر أَبدَلَ هذه المراسيم إلى عيد لعب وشرب ورقص وغُلمان وأبدل الحلويات والبخور إلى رقصٍ ولثم الثغور فكانت البخور بدل الزهور، ويُقال إن سليمان آغا أراد أن يُرفِّه عن البصريين الذين لاقوا مرارة الحكم الإيراني ويذكر الرحَّالة الإيطالي (١) – سيستيني– كما يذكر الرحّالة

مخيم القائد الإيراني للبحث في شروط التسليم وفي ٢١ نيسان وفداً إلى مخيم القائد الإيراني للبحث في شروط التسليم وفي ٢١ نيسان دخل صادق خان البصرة وعَيَّنَ عليها (علي محمد خان) المعروف بأسم شيركوش فأخذ حاكمها سليمان آغا أسيراً مع طائفةٍ من أهلها إلى شيراز لضمان عدم مقاومة الأهالي وبعد مقتل شيركوش رجع صادق خان إلى البصرة على رأس جيش يُقدّر بأربعة ألآف فارس يوم ٢٤/ ١١/ ١٧٧٨م وبقي في البصرة حتى حتى ١٩/ ٣/ ١٧٧٩م إذ تركها ورجع مع جيشه إلى شيراز بعد سماعه خبر وفاة أخيه كريم خان وأَطلَقَ سراح حاكم البصرة سليمان آغا وجماعته المحتجزين في شيراز. وسُليمان آغا كتب عنه الرحالة أو ليفيه في رحلته (معرفة الشرق) التي ترجمها عن الفرنسية الدكتور يوسف حَبي وصدرت المركز الأكاديمي للأبحاث، ط١، سنة ٢٠١٤، ص١٢٥–١٢٧ ويُنظر: (التحفة النبهانية ص٢٨٦–٢٩٣، ولاة البصرة ومُتسلَّموها لابن غملاس ص٦٦–٦٩، أربعة قرون من تأريخ العراق الحديث: لونكريك ص٢٢٥–٢٣٣، والمُجمَل في تأريخ البصرة ص٢٧٨–٢٧٩).

(١) عندما رجعت إلى كتاب (رحلة من إسطنبول إلى البصرة سنة ١٧٨١): للرحّالة الإيطالي سيستيني، والتي ترجمها عن الفرنسية وعَلَّقَ عليها: الأب الدكتور بطرس حداد، ونشرها المركز العلمي العراقي في بغداد ط دار البصائر، بيروت، سنة ٢٠١٠، لم أجد المعلومات التي ذكرها الأستاذ حامد البازي عن الوالي سليمان آغا. والنص هو (رأيت الباشا جميل الصورة يتمتع بمنظرٍ ظريف مرح وعقل ذكي وأنه رجل مقدام حقاً كان عبداً في بلاد فارس ثم صار باشا في بين البصرة وهناك حظي بحماية الإنكليز إذ كان مخلصاً لهم، هكذا صعد ليتنَّم أكبر باشوية في الدولة العثمانية أي ولاية بغداد فأصبح خليق – آغا ثم وزيراً أكبر، وباشا من حملة الأطواغ الثلاثة واسمه سليمان وهو يمسك ←

الفرنسي أوليفيه حوادثاً وصوراً مُتنوِّعة عن هذا الوالي فلقد تَحدَّثوا عن شجاعته وجماله وحزمه كما تَحدَّثوا عن مجُونِه وبُخلِه كذلك ذكروا مجالسه الدينية التي كان يُشجِّعها ويحضرها.

وكان هذا الوالي يُقرِّب التُجّار والصيارفة الذين يسيرون في طريقه في الأنس والمرح واللَّهو حتىٰ قيل إنَّ نوعاً خاصاً من القوارب – الأبلام – ظهر للوجود وعليه الذلال –ستارعن الشمس– وتمتاز هذه القوارب بألوانها وأصباغها الزاهية وأفرشتها الجميلة ومجاذيفها اللطيفة فكان الناس ومعهم – السماورات – والطعام والشاي كما معهم الخس وشربة – السكنجيل – يجوبون الأنهار

والحقيقة أن الولاة الأتراك كانوا يتصفون بصفاة متضاربة فهم ما بين سكّير عربيد وهو مُصلِّي متديِّن وهو مرتشي نهم وهو صوفي عفيف. وكان منهم الوزير مرتضىٰ باشا في بغداد الذي أحبَّه الناس لأنه رفع الحُجّاب عن دار حكومته وكان يقرأ المولد النبوي الشريف ويُكثر من تلاوة القرآن الكريم وهو مُفرط في معاشرة النساء والأعمال الجنسية الشاذَّة. فكان مجلسه ويضم العلماء ويضم الشعراء كما يضم الشاربين المارقين وفي عهده كَثُرت معاشرة الصبيان وذلك سنة ١٠٦٣هـ ١٦٥٢م حيث كانت البصرة تحت حكم حسين باشا أفراسياب[1] الذي شجَّع

العرب بيدٍ قوية، وعَرَف حتىٰ الآن كيف يمنع نشوب الثورات التي كانت كثيرة الحوادث سابقاً).

(١) حسين افراسياب بعد وفاة (علي أفراسياب) سنة ١٦٤٧م تولّى ابنه (حسين باشا) الإمارة وقد استبد بالأمور وأساءَ السيرة والتدبير وظَلَمَ الناس ولم يتصف بصفات الكياسة التي كان يتصف بها والده (علي باشا) فَحَكَمَ مدة أربع سنوات صاحبها خلاف مع عَمّيه (أحمد بك) و(فتحي بك) قبل هروبه الأول، وفي زمن حدثت صراعات عديدة مع السلطان ومع والي بغداد إبراهيم باشا الذي جَهَّز حملةً كبيرة للقضاء علىٰ (حسين باشا) وبعد صراعٍ وحروبٍ طويلة تمت هزيمة (حسين باشا) سنة ١٠٧٨هـ ١٦٦٧م واختلف الباحثون حول حكم آل أفراسياب فمنهم مَنْ كان يمدحهم ومَنْ كان ضدَّهم؟ [يُنظر: المدينة جزائر البصرة في العهد العثماني ١٥٤٦–١٧١٨م دراسة في الأحوال السياسية والإجتماعية: حسام طعمة ناصر، ومشتاق عيدان أعبيد، نشر مركز تراث البصرة، ←

العلماء والأدباء ومجالس الشعر ولكن هذه المدينة تحمَّلت عدوىٰ حكم مرتضىٰ باشا في بغداد حيث كان التجّار والصيارفة البصريون يسافرون إلىٰ بغداد ثم يرجعون إلىٰ البصرة ليتَحدَّثوا عن حياة الأنس في بغداد ثم يأخذون مجاراة بغداد وهكذا شاعت الموسيقىٰ والطبول – الزنجاري– والرقص في البصرة وكان أن يصبح العود والدف في كل منزلٍ ومجلس.

سنة ٢٠١٥، صفحات متفرقة).

وكان الأب آفراسياب يُعرف بالديري نسبةً إلىٰ منطقة الدير في البصرة وقيل إنّ آفراسياب من بقايا آل سلجوق وأهل الدير أخواله وكان كاتباً من كُتّاب الجند في البصرة فانتفض أهل البصرة علىٰ علي باشا الحاكم الرومي (التركي) فعجَز هذا عن إعطاء أرزق الجُند فَباع البصرة من لآفراسياب بثمانية أكياس رومية وفي كل كيس ٣٠٠٠ محمدية وهي عملة تركية وترك البصرة لآفراسياب. فحكَم في البصرة وأَحبّه الناس وتَوسَّع في بسط نقوده في الجزائر وكان ابتداء حكومته ١٠٠٥هـ ١٥٦٦م واستمرت سبع سنين.

ثم حَكَمَ بعده ابنه علي باشا واستمرّت حكومته ٤٥ عاماً وقد كثرت في أيّامه العوارف والرفاهية، وكان مُظفَّراً في أيّامه كل الجزائر بعد أن عجزَ عنها جند السلطان وقصده الجيش الشاه عباس الصفوي فثبت في وجه وتَشدَّدَ في مقاومته حتىٰ افشل الجيش الفارسي ونكص راجعاً سنة ١٠٣٦هـ.

ثم حكم من بعده حسين باشا آل آفراسياب ودامت مدة حكمه ٢١ سنة ثم خُتمت بزوال إمارة آل آفراسياب وكان يميل إلىٰ التشيع أراد حسين باشا الاستقلال الحقيقي فحارب الأتراك ثلاث مرات غَلَبَ مرتين وغُلِب في الثالثة التي انتهت بخراب الجزائر فَهَرَبَ إلىٰ الدُورَق ثم شيراز ثم إلىٰ الهند وقال فيه ابن معتوق قصيدة منها:

طلتَ عظيمَ المجدِ بالهمّة الكبرىٰ ... فأدركتَ في ضربِ الطّلىٰ الدولَ الكبرىٰ

ما البصرةُ الفيحاء إلاّ قلادةٌ ... ونَحُركُ من دون النحور بها أحرىٰ

تَمادىٰ زماناً عهدُها فَتمنَّعت ... وجادت بوصلٍ بعدما منعتْ دهرا

(يُنظر: مقالٍ الجزائر: لعلي الشرقي: مجلة لغة العرب، السنة الرابعة ١٩٢٧، العدد العاشر – نيسان، ص٥٧٥).

الفصل الثالث

البصرة كما هي[1]

* أبو داود يروي عن البصرة في سُننه
* شهداء البصرة والصلاة في مسجد العشار
* الإمام علي «عليه السلام» يُجدِّد جامع البصرة
* قُرىٰ البصرة ومناطقها الزراعية والحياة فيها
* أفاعي تدخل شط العرب وهي راكبة علىٰ الأخشاب
* المدارس والإمتحانات والعُطل في العهد العثماني
* أحداث بصرية وشُؤون محلية.

جاء في الجزء الثاني من سُنن أبي داود ما نَصُّه: حدَّثنا محمد بن فارس.. حدثنا عبد الصمد بن عبد الوارث... حدثني أبي... حدثنا سعيد بن جمهان قال: سَمِعتُ أبي يُحدِّث أنّ رسول الله «صلى الله عليه وآله» قال: ينزل ناس من أمتي بغائط يُسمُّونه البصرة عند نهر يُقال له دجلة يكون عليه جسر... يكثر أهلُها وتكون من أمطار المهاجرين. إنتهىٰ.

وقال ابن يحيىٰ: قال أبو معمر: وتكون من أمصار أنصار المسلمين فإذا كان في آخر الزمان جاء بنو قنطوراء عِراض الوجوه صِغار الأعُين حتىٰ ينزلوا علىٰ شط النهر فيتفرق أَهلُها ثلاث فرق: فرقة يأخذون أذناب البقر والبرية وهلكوا وفرقة يأخذون لأنفسهم وكفروا وفرقة يجعلون ذراريهم خَلفَ ظهورهم ويقاتلون وهم الشهداء.

ثم جاء في سنن أبي داود أيضاً: عن أنس بن مالك أن رسول الله «صلى الله عليه وآله» قال له: يا

(١) مجلة التاجر (تصدر عن غرفة تجارة البصرة)، العدد ١٣ كانون أول، سنة ١٩٦٨، ص١٠-٢٠.

أنس الناس يمصرون أمصاراً وأن مِصراً منها يُقال له البصرة أو البصيرة فإنْ أَنتَ مَرَرتَ بها أو دخلتها فإيّاك وسباخها وكلاءها وسوقها وباب أمرائها وعليك بضواحيها فإنه يكون بها خسف وقذف ورجف وقوم يبَيتون ويصبحون قِردةً وخنازير.

وجاء أيضاً عن محمد بن المثنى قالت سَمِعتُ أبي يقول: انطلقنا حاجَّين فإذا رجل فقال لنا: إلى جنبكم قرية يُقال لها الأُبُلّة... قُلنا: نعم.. قال مَنْ يضمن لي منكم أن يُصلِّي في مسجد العشار ركعتين أو أربعاً.. ويقول إنّ أبا هريرة قال: سمعتُ خليلي أبا القاسم يقول: إنَّ الله يَبعَثُ من مسجد العشار يوم القيامة شهداء لا يقوم مع شهداء بدر غَيرهُم... وقال أبو داود أنه المسجد الذي يلي النهر...

هذا ما يرويه أبو داود عن البصرة والعشار ومسجدها ونهرها الذي يُدعى – دجلة العوراء– والذي هو الآن يُسمى شط العرب.

وكانت البصرة تقوم على امتداد النهر المُوصِل بين نهري المعقل والأُبُلَّة[1] وكانت

---

(١) اختلف الباحثون في موقع الأبلُة فهي عند المُحدثين تقع داخل مدينة البصرة الحديثة مجاورة للمعقل وهذا هو المعروف الآن أما تأريخاً فالأمر مختلف، فهي((بلدة على شاطئ دجلة البصرة العظمى في زاوية الخليج الذي يدخل إلى مدينة البصرة وهي أقدم من البصرة لأن البصرة مُصرت في أيام عمر بن الخطاب«رضي الله عنه» وكانت الأبلة حينئذ مدينة فيها مسالح من قبل كسرى.

والإسم القديم كان معروفاً في المائة الرابعة قبل المسيح وقد ذكره نيارخس الرحّالة بصورة أبلجس Apologos وقد ذكر عن هذه المدينة أنها مستودع بياعات خليج فارس وقد وَهِمَ ارتليوس Ortelius في ظنّه أنّها (تردن أم تردم أو تدمر)) أي البصرة في هذا العهد (يوسف رزق الله غنيمة، مجلة لغة العرب ببغداد، السنة الخامسة ١٩٢٧، العدد٨، ص٤٧٧).

وقال الدكتور منذر البكر: ((كانت دولة ميسان القديمة مكونّه من ثلاث مدن كبرى وهي:

١ – مدينة كراكس charax وهي العاصمة ويُقال هي مدينة المُحمَّرة الحالية أو شمال المُحمَّرة الحالية. وقد ازدادت أهمية هذه المدينة في القرن الأول قبل الميلاد إذ أصبحت الميناء التجاري العظيم للخليج العربي في العهد الروماني.

←

٢- أما المدينة الثانية فهي مدينة Forat وهي مدينة البصرة الحالية على رأي المتشرف إلتهايم غير أن الجغرافيين العرب يذكرون أن مدينة Forat هي مدينة بهمنشير والتي تقع على الضفة الشرقية من نهر دجلة العوراء. وذلك في الرابع الثالث من القرن الأول وتقع هذه المدينة على بعد (١١) ميلاً إلى الجنوب من كراكس العاصمة وعلى نهر دجلة العوراء

٣- الأبلة وتقع مدينة Apologos وهي المدينة الثالثة المهمة في دولة ميسان على الجهة الأخرى من النهر وجنوب مدينة Forat، وكان بها مركز دولي مُعترَف به وسوق ومن المُحتمل أن تكون هذه المدينة في مكانٍ ما قرب خور عبدالله الحالي، غير أن بعض المحدثين يصر على أنها تقع على الضفة الغربية من دجلة العوراء وهي تقع شمال مدينة فورات..)) [من تأريخ فن العمارة في البصرة ودولة ميسان: ص١٠١-١٠٢، بحوث للدكتور منذر البكر، جمع ودراسة: د. حامد الظالمي، دار الفيحاء للطباعة والنشر - العراق، سنة ٢٠١٤).

ويذهب آخرون إلى أن الأبلة هي ليست أَبلوس الواقعة على الخليج وليس الحالية القريبة من المعقل بل أن الأبلة هي العشار ونهر الأبلة هو نهر العشار. إذ يقول الأستاذ كاظم فنجان الحمامي في كتابه على ضفاف شط العرب ص٢١٥-٢١٦: ((اختلفت الآراء في تحديد موقع نهر الأبلة ومساره وبرأيي أن نهر العشار الحالي هو المُرشَّح المقبول لتمثيل نهر الأبلة، فالعشار تسمية ضريبية وتُعزى إلى تجمّع العَشّارين عند مدخل النهر لاستفتاء ضريبة العُشر (١٠٪) من التجار ولا يسمحون للسفن بدخول النهر، إلاّ بعد تفتيشها وتعشيرها.

ولا يوجد مصدر تأريخي يوضّح ارتباط اسم العشار بمدينة الأُبُلة، سوى كتاب (سُنن أبي داوود) الذي يكشف لنا الغبار عن هذا اللّبس في التسمية إذ قال أبو داود السجتاني في (باب في ذكر البصرة): قال: حَدَّثنا محمد بن المثنى عن إبراهيم بن صالح قال: انطلقنا حاجّين، فإذا رجل، فقال لنا: إلى جنبكم قرية يُقال لها الأُبُلة، قلنا نعم: قال: مَنْ يضمن لي منكم أن يصلي لي في مسجد العشار ركعتين، أو ربما أربعاً، ويقول هذه لأبي هريرة؟ فقد سَمِعتُ رسول الله« ﷺ » يقول (إنّ الله يبعث من مسجد العشار يوم القيامة شهداء لا يقوم مع شهداء بدر غيرهم).

ويذكر (ناصر خسرو) أن المسافة بين نهر الأُبُلة ونهر المعقل هي فرسخ واحد ولو حسبنا المسافة بين نهر العشار ونهر المعقل الآن لوجدنا أنها تقترب من سبع كيلومترات وتساوي فرسخاً واحداً وهذا يعني أن نهر العشار هو خليفة نهر الأُبُلة.

وأن بقايا أطلال القصور القديمة المُقامَة حصراً على طول امتداد نهر العشار والتي ما تزال شاخصة حتى الآن إضافة إلى وجود محلة السيف، والتي يرمز اسمها إلى مستودعات مخزين البضائع المستوردة والمُصَدَّرة وهي دليل على وجود ملامح ورواسب تأريخية لنهر الأبلة في حوض نهر العشار.

دورها من ناحية البر غرباً تطيف بها البادية بشكل قوس ولها الناحية بـاب يُقـال لـه باب البادية.

وقد تَحدَّث لسترنج فقال: وللبصـرة ثلاثة جوامع أحدها عـلى البـاب الغـربي في وجه البادية وهو القديم وجامعٌ ثانٍ في الأسواق وهو بهي جليل عامر ليس بـالعراق

في حين تُقدّم لنا محلة المشـراق الواقعة على ضفة نهر العشار دليلاً ملموساً على أن مـا يُسـمى حاليـاً بنهـر العشار هو نهر الأبُلة نفسه، إذ إن معظم المصادر التأريخية تؤكد أن سَهَل بن عبدالله التستري دُفِـنَ في محلة المشـراق على ضفاف نهر الأبُلة.

وقالت العرب، ما بين نهر الأبلة ونهر المعقل حلة، وهي إشارة إلى تقارب وتوازي نهـر الأبلـة ونهـر المعقلة الذي حفره معقل بن يسار المازني، حيث كان النهران يجريان صوب القِبلة لمسافة أربعة فراسخ ثـم يلتقيان ويكوّنان قناةً واحدة تسـير مسافة فرسخ واحد ناحية الجنوب، وهـذه الحقيقـة تؤكـدها تحركـات سـرايا صاحب الزنج وتجحفله في المعقل في المنطقة الواقعة شمال مدينة الأبُلة استعداد للهجوم على المدينة المُحَصَّنَة بالأسوار العالية وباشـر بالهجوم من محورين.))

وذَهَبَ الدكتور حسـين المصطفى هذا المذهب، فقال في كتابه ((تكوين البصـرة الحديثـة، الصـادر عن مركز تراث البصـرة، سنة ٢٠١٦، ضمن سلسلة موسوعة البصـرة الصغيرة، ص٣٢-٣٣)) ما يـلي: ((فالأبُلة ميناء على شط العرب) أقدمُ تأسـيساً من البصـرة الإسلامية، وقد قام القائـد عتبـة بـن غـزوان بطرد الحامية الفارسـية منها حينما حَرَّرت قواته الميناء، واستمّرت الأبُلة تمارس نشاطها حتى القرن الثامن الهجري، واختلف المؤرخون والكُتّاب في تحديد موقعها الحالي، والموقع الأكثر دقة أن نهر العشار هـو نهـر الابلة وأن منطقة العشار هي المكان المُقترَح لميناء الأَبُلّة. التي كانت معسكراً وميناءً للفـرُس قبـل دخـول القوات الإسلامية التي لا تستطيع الوصول إلى مركز المدينة في العصور اللاّحقة))، وعند زيـادة الرحّالـة (ناصـر خسـرو) إلى المدينـة في عـام ٤٤٣هـ-١٠٥٢م ذكـر أنـه شـاهدَ الأبُلـة ((بقصـورها وأسـواقها ومساجدها وأربطتها، وهي من الجـمال بحيـث لا يمكـن حـدّها أو وصـفها)) وعنـد تطرّقـه إلى مراكـز الاستيطان في البصـرة ذكر أسماء عشـرينَ ناحية تمتد من جنوب البصـرة وحتى شمالها...) يُنظـر: ناصـر خسـرو (سفرنامه)، ترجمة: يحيى الخشاب، القاهرة، سنة ١٩٦٣، ص١٦٧-١٦٨، ويُنظر: (الأبلة ونهرها العشار) د. مصطفى جواد، مجلة سومر، سنة ١٩٥٣، المجلد الأول / ١٦٢-١٦٦، ومحمد طارق الكاتب: شط العرب وشط البصـرة والتأريخ ١٩٧١، وأمل عبد الحسـين السعدي: الأبلة في العصـر الإسـلامي حتى سنة ٢٥٧هـ، سالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة بغداد، سنة ١٩٧٦.

مثلة على أساطين مبيضة وجامعٌ ثالثٌ على طرق البلدة[1]

وفي البصرة [ثلاث] أسواق فيها الدكاكين والخانات وهذه الأسواق تُضاهي أسواق دمشق وبغداد وهي مملوءة بالسِّلَع والحاجِيات. وفيها دارٌ للكتبِ عامِرة أنشأها ابن سوار وأوقفها، وهي حافلةٌ ومُجهَّزة بأعظم الكتب والمخطوطات[2].

أما جامع البصرة الكبير فلم يُجدِّده إلاّ الخليفة علي«عليه السلام» وكان أعظم جامع في الإسلام ولم يُشيد جامعٌ أوسع منه وقد سُمِّيَ بجامع الإمام علي«عليه السلام» حيث إنَّ الإمام هو الذي عَيَّنَ قبلته[3]

---

(١) النص هو ((وذكر المقدسي أن بالبصرة ثلاثة جوامع: أحدها على الباب الغربي في وجه البادية وهو القديم، وجامع ثان في الأشواق بهيّ جليل عامر آهلٌ ليس بالعراق مثله على أساطين مبيَّضة، وجامعٌ ثالث على طرف البلدة)) وليس على طرق البلدة كما ذكر البازي، يُنظر: بلدان الخلافة الشرقية: ص٦٥.

* الأصَح ثلاثة أسواق والنص عن لسترنج ((وفي البصرة ثلاث أسواق في الدكاكين والخانات وهذه الأسواق كأسواق بغداد سعة)) ص٦٥

(٢) النص عند لسترنج ((وذكر المقدسي فيما ذكر من دور العلم: دار كتب كانت في المئة الرابع (العاشرة) إنشأها ابن سوّار ووقفها، وأنشأ أيضاً دار كتب مثلها في مدينة رامهرمز بخوز ستان، وأجرىٰ في الدارين على مَنْ قصدهما ولزم القراءة والنسخ وكانت دار الكتب في البصرة حافلة بجمهرة كبيرة من الأسفار ١٢٠ ص٦٦)).

(٣) لأنّه أول خليفة زار البصرة وأقام فيها وصلّى بمسجدها بل هو الذي عَلَّم كميل بن زياد الدعاء المعروف بدعاء (كميل بن زياد) وهو كما يُقال دعاء الخضر«عليه السلام» فَعلَّمه إيّاه في البصرة كما تذكر المصادر (ضياء الصالحين فصل دعاء كميل بن زياد)، وقد تكون التسمية (تسمية المسجد باسم الإمام علي«عليه السلام» جاءت لأنّه قام بتعديل إنحراف قبلته كما في تأريخ الطبري ٣/ ١٥٠، وكذلك فتح الباري، طبعة بيروت، ط٢، دار المعرفة، د.ت، ٦/ ١٦٠، وقال ابن بطوطة الذي زار البصرة سنة ٧٢٧هـ ((وكنتُ رأيت عند قدومي البصرة عليها على نحو ميلين منها بناءً عالياً مثل الحصن فسألتُ عنه فقيل لي: هو مسجدُ علي بن أبي طالب«عليه السلام» وكانت البصرة من اتساع الخطة وانفساح الساحة بحيث كان هذا المسجد في وسطها وبينه وبينها ميلان وكذلك بينه وبين السور الأول المُحيط بها نحو ذلك فهو متوسط بينهما... وهذا المسجد من أحسن المساجد وصحنه متناهي الإنفساح ←

وكانت البصرة تتصل بالبطائح التي ينبت فيها القصب ويخرج أهلُها السمك من الماء كانوا يُقصُّون القصب والبردي وكانت البطائح تصل فيها طرق نهرية تسير فيها الزوارق وفي منعطفاتها الدكاكين[1] التي كانت تُبنىٰ من أكواخ وعلىٰ أراضٍ عالية عن الماء كما كان يختبئ فيها اللصوص.

ومن أشهر أهوار البصرة القديمة هور (بحصىٰ) وهور (بكمصُىٰ) وهور(بصرياثا) وهور (المُحمَّدية) وهو أعظم الأهوار وفيه منارة تُسمّىٰ منارة حسان نسبةً إلىٰ حسان النبطي وهو مهندس بصري معروف في أيام الحَجّاج[2].

مفروش بالحصا الحمراء التي يؤتىٰ بها من وادي السباع... ولهذا الجامع سبع صوامع إحداها الصومعة التي تَتَحرَّك بزعمهم)).

رحلة ابن بطوطة (في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار): محمد بن عبد الله بن بطوطة ت ٧٧٩هـ، دار الفكر للنشر، بيروت، تحقيق: محمد عبد الرحيم، ط١، سنة ٢٠٠٣، ص١٠٢-١٠٣. والنص الذي ذكره حامد البازي عن جامع البصرة هو ليس لسترنج، بل هو لابن بطوطة نقله لسترنج ص٦٢-٦٣.

(١) الدكاكين هنا ليس معناها الدكان (يعني محل البيع) بل تعني الطُرق المائية التي فيها أماكن للإختباء بسبب وجود البردي والقصب وكذلك لم يفهم لسترنج تلك الكلمة، والنص في كتاب لسترنج هو ((والبطائح إنّ خلت من القصب سمّاها العرب الهور أو الهول، ويصل فيما بينهما أزقة تسير فيها الزواريق، أما السفن النهرية الكبيرة فإنها تجنح أسفل القطر علىٰ ما جاء في ابن رسته (ويحمل بعض ما فيه من الزواريق فتمر في شبه أزقة قصب تصل ما بين الأهوار وبين هذه الأزقة مواضع- مُتخذة من قصب أشبه بالدكاكين- عليها أكواخ من قصب يكتنون بها من البق. وفيها مسالح يعمل رجالها علىٰ تطهير المجرىٰ وحماية الملاّحين لأن في البطائح مكامن طبيعية يختبئ فيها اللصوص)) ص٦٢.

(٢) النص ليس لسترنج بل هو لابن سرابيون، إذ قال: (وقد سرد ابن سرابيون أسماء أربعة من هذه الأهوار التي تحمل الماء إلى البصرة الاول: هو بحصّىٰ والثاني هو بكمصُىٰ- والثالث هور بصرياثا والهور الرابع المُحمَّدَية وهو أعظم الأهوار وفيه كانت المنارة المُسمّاة منارة حسان...)) ص٦٢ والآن أهوار البصرة هي هور الحويزة وهو الحمار وهور زجري وهور العز وهور الشافي والمَسحَب والصَلاَّل. وقد عَقَدَ البلاذري فَصلاً طويلاً عن الأنهار التي تم حفرها في البصرة إذ قال: ((فلّما ولِّي معاوية بن أبي سُفيان ولّىٰ عبدالله بن دَرّاج مولاه خراجَ العراق واستخرجَ له من الأرضين بالبطائح ما بَلَغَتْ غِلَّتُهُ خمسة آلاف دِرهَم وذلك أنه قَطَعَ القصب وغَلَبَ الماء بالمسنيات ثم كان حسان النبطي ←

وتتصل البصرةُ أيضاً بقرية مهيجران على نهر مِهيجران المشهور وتكثر في هذه المنطقة الفواكة عدا التمور وأهل هذه المنطقة أُناس طيبون ومن أشهر رجالاتهم المتأخرين المرحوم محمد زكي البصري الذي ولِدَ في القرية نفسها سنة ١٨٩٤ ونَشَأَ في أسرةٍ متواضعة وتلقّى تعليمه الإبتدائي والإعدادي في البصرة ثم في كلية الحقوق ببغداد وقد شارك في معركة سلمان باك[1] كضابط احتياط وقد جُرح في ساقهِ

مولى بني ضُبَّة وصاحب حوض حسان بالبصرة الذي تُنسب إليه منارة حسان بالبطائح فاستخرج للحَجَّاج أيام الوليد وهشام بن عبدالملك أرضين من أراضي البطيحة (يُنظر: فتوح البلدان: لأبي العباس أحمد بن يحيى البلاذري ت٢٧٩هـ، القاهرة، سنة ١٩٠١، ص٢٩٠.

(١) في هذه المعركة سقط ١٥ ألف قتيل من جنود العثمانيين وجنود القوات البريطانية، بدأت معارك (سليمان بك) بكارثة شديدة أصابت القيادة الإنكليزية فان الماجور (رايلي) رئيس فرقة الطيران الإنكليزية اضطر إلى السقوط بطائرته فأخذه الأتراك أسيراً، وقد قام رايلي باستطلاع أرض المعركة قبل سقوطه فحدد خرائط الجيش العثماني وهي التي ساعدت الجنرال طاوسهند على إدارة الحركات الحربية في الجبهة، ففي ٢١ تشرين الثاني سنة ١٩١٥ أي قبل الهجوم الإنكليزي اسقطت رشاشات الفرقة ٥١ العثمانية طائرة رايلي... وفي مساء هذا اليوم باشرت القوات الإنكليزية زحفها فسار في الطليعة الرتل (ج) المؤلف بقيادة أمير اللواء (هوتن) آمر لواء المشاة الإنكليزي السابع عشر الذي كان يُشكّل المقدمة وسار وراءه الرتل (أ) بقيادة (ديلامين) آمر اللواء السادس عشر والرتل (ب) بقيادة (هملتون) آمر لواء المشاة الثامن عشر، وتبعتها قوات خيّالة احتياطية مُؤلفة من لواء خيالة بقيادة آمر اللواء (روبرتس) ومعه بطارية مدفعية ولواء المشاة الثلاثين بقيادة السر (تشارلس ملس) وبعد إلتفاف جزء من القوات البريطانية خلف خطوط القوات العثمانية بدأت المعركة الشرسة جداً فتحوّل القتال من المدفعية إلى المبارزة بالسكاكين، وكانت القوات العثمانية قد تَحصَّنت بإثني عشر خطاً دفاعياً وبفرقتين عسكريتين هما الفرقة ٤٥ والفرقة ٥١ ولواء من الخيّالة العثمانية. وكانت الفرقة ٣٥ من الجيش العثماني على الاحتياط... ولم تغرب شمس يوم ٢٢ تشرين الثاني ١٩١٥ حتى ارتد الإنكليز على أعقابهم تاركين المحلّات التي احتلوها، ... ثم أصدر الجنرال طاوسهند أوامره إلى قواته بأن تستعد للهجوم العام الذي قرر اجراءه في صباح اليوم الثاني إلّا أن القواد أبلغوه في منتصف الليل أنه ليس في قدرتهم القيام بهذا الهجوم لأن معارك ذلك اليوم أفقدتهم القسم الأكبر من جنودهم... والمعارك التي جرت يوم ٢٢ تشرين الثاني كانت شبه مجزرة خسر فيها الفريقان أكثر من ١٥ ألف جندي.

←

فأُرسِل إلى الآستانة وعُين هناك موظفاً في محطة حيدر باشا ثم رجع إلى العراق بعد هدنة الحرب العظمى الأولى. واشترك مع المحامي عمر فوزي وأُنتخب عن البصرة في المجلس التأسيسي سنة ١٩٢٤.

مارس التدريس في كلية الحقوق ببغداد وحاضر في قانون العقوبات وفي سنة ١٩٣٥م انتخب رئيساً لمجلس النواب العراقي كما شارك في وزارة ياسين الهاشمي كوزير للعدلية: مات في ٢٦ كانون الثاني سنة ١٩٣٧ وقد رثاه الشيخ باقر الشبيبي بقصيدة نُشرتْ في جريدة البلاد بعددها رقم ٨٢٣ وفيها قوله:

على مهلكم لا تدفنوه فإنّه بقية مَنْ ضحى لكم في هنائه
عزاء أساتيد الحقوق فإنكم أَحقّ وأولى في فروض عزائهِ

وكذلك كان اتصال البصرة بمدينة العمارة التي نشرت جريدة الزوراء في عددها ٢٥٦ الصادر في ١٢ ربيع الآخر سنة ١٢٨٩هـ وعددها الصادر برقم ٢٩٠ في ١٣ شعبان سنة ١٢٨٩هـ بأن العمارة مضت في التقدم في الأبنية والعمارات بسرعة.

وكانت العمارة قد تَكوَّنت سنة ١٢٧٨هـ ١٨٦١م حيث كان يَسكُنها أولاً قومٌ من عشيرة اللُّر الفيلية تُدعى –دوازوه– وبعض العشائر البدوية.

وقد بُنيت العمارة أولاً بالطين، ولما عُيِّنَ المُتصرف المُسمَّى – أبو گذيله– أنشأ لها جسراً من الجَسَّاريات – الدوبات.

وكانت خسائر الإنكليز ٤٠٠٠ مقاتل والعثمانين إبادة الفرقة ٥١ بكاملها لذلك عقد القائد نور الدين باشا اجتماعاً فقرر الإنسحاب ليلاً إلى نهر ديالى وحصيلة المعركة النهائية التي انهزم فيها العثمانيون الذين شاركوا بـ(٣٥٢٦٠) جندياً وعاد منهم (٢٦٠٣٩) جندياً منهم (٦٠٠٨) قتلى والبقية أسرى وخسائر الإنكليز في الهجوم الثاني (٦٨٢) قتيلاً و(٣٦٧٤) جريحاً و(٢٣٧) مفقوداً. (ينظر مجلة الأسرار وهي مجلة اسبوعية تصدر في بيروت، العدد ٤١ في ٩ كانون الأول سنة ١٩٣٩ ص٤-٢٢ وهو عدد خاص عن معركة سلمان باك. ويومياتها).

ثم لما جاء القائمقام حسين بك الذي شَوَّقَ الأهالي إلى التعمير فأخذوا يبنون بيوتهم من الآجُر كما عمّروا الأسواق.

وكان ممَنْ سكن العمارة عشيرة الواعد التي حدثت بينها وبين الحكومة العثمانية سنة ١٢٨٩هـ اصطدام جعلها تميل مع شيخها – موزان المحمد– إلى إيران ثم رجعت العشيرة إلى العمارة بعد أن حُلَّت الأزمة.

وكذلك كانت تَتَصِل البصرة بعبدان – عبادان – وهي التي سمّاها ياقوت ليان روذان ومعناه بالفارسي وسط الأنهر[1]. وقال عنها المقدسي بأنها منطقة سَبخَة في زاوية منها على البحر في عبادان وفي زاوية أخرى عند فيض دجيل سليمانان وكان المقدسي في المائة الرابعة للهجرة قد وصفها فقال ما وراء عبادان من قريةٍ، ولكنها اليوم ليست على البحر وإنما هي قائمة على شط العرب.

وتَتّصِل البصرة أيضاً بأبي الخصيب التي تبعد عن البصرة عشرين كيلومتر ومساحتها ٢٦٩٠ كيلومتر مربع وهي منطقة البساتين والجداول والنُهيرات وتقع على نهر أبي الخصيب الذي حفره عامل المنصور[2] أبو الخصيب مرزوق سنة ١٤٠هـ – ٧٥٨م.

وكانت المدينة تُنار بالفوانيس وتُسقى من ماء النهر إلى سنة ١٩٣٧ حيث تأسست

---

(١) عندما رجعت إلى معجم البلدان: لياقوت: مجلد٣/ ص٢٩٠-٢٩١ وجدته يقول: ((والعَبّاد الرجل الكثير العبادة وأما إلحاق الألف والنون فهو لغة مُستعملة في البصرة ونواحيها إنهم إذا سَمَّوا موضعاً أو نسبوه إلى رجل أو صفة يزيدون في آخره ألفاً ونوناً كقولهم في قرية منسوبة إلى زياد ابن أبيه زيادان وأخرى إلى عبد الله عبد اللّيان وأخرى إلى بلاد بن أبي بردة يلالان.... والعجم يُسمُّونها ميان روذان لما ذكرنا من أنها بين نهرين ومعنى ميان وسط وروذان الأنهُر...)) وهو ليس كما قال البازي ليان روذان بل ميان روذان.

(٢) أبو الخصيب مرزوق من موالي أبي جعفر المنصور وقد تَولّى عمل الجباية وغيرها في العراق والشام وأصبح فيما بعد قائداً للجيش في بعض الفترات حيث أرسله المنصور على رأس جيش إلى هذه المنطقة فَحَفَرَ فيها نَهر أبي الخصيب.

فيها مشاريع الكهرباء والماء. وكان نفوس المدينة حسب تعداد سنة ١٩٢٣م (١٣٥٠) نسمة ثم أصبح نفوسها حسب تعداد سنة ١٩٤٧ (١٦٥٠) نسمة ثم حسب التعداد الأخير ١٩٥٧ (٣٠٠٠) نسمة.

وكانت بعد سنة ١٩١٤ مديرية ثم تحوّلت سنة ١٩٢٢ إلى قائمقامية ولم يكن هناك طريق مُعبَّد بينها وبين البصرة إلى سنة ١٩٢٤ حيث شُقَّ الطريق. أما أهم القبائل التي تسكنها فهي الدواسر والمُطور والبوفرحان وبيت غانم.

كذلك كانت البصرة تتصل بالمَذار[1] وهي بلدةٌ إسلاميةٌ جليلة وتُعرَف بقصبة وعُرِفَتْ أيضاً بدستميسان وفيها مسجدٌ عامر عظيم فيه ضريح عبدالله بن علي بن أبي طالب«عليه السلام».

---

(١) قال ياقوت في معجم البلدان مجلد ٤/ ٢٣٢: ((المَذار بالفتح وآخره راء وهي في ميسان بين واسط والبصرة وهي قصبة ميسان بينهاو بينن البصرة مقدار أربعة أيام وبها مشهد عامر كبير جليل عظيم قد أُنفق على عمارته الأموال الجليلة وعليه الوقوف وتُساق إليه النذور وهو قبر عبدالله بن علي بن أبي طالب ويُقال إن الحريري أبا محمد القاسم بن علي صاحب المقامات قد مات بها وأهلها [كلهم شيعة غُلاة طغام أشبه شئ بالأنعام وفيه قال الشاعر

أيّهـــا الصُّلصُـــل المُفِـــذُ إلى المـــد فَـــع مـــن نهـــر معقـــل فالمَـــذارِ

وكان قد فتحها عُتبة بن غزوان في أيام عمر بن الخطاب بعد البصرة قال البلاذري: ولما فتح عتبة بن غزوان الأبُلة سار إلى الفرات فلما فَرَغَ منها سار إلى المذار فخرج إليه مرزبانها فقالته فهزمهُ الله وعَرق عامّة مَنْ سعة وأخذ مرزبانها فضربَ عنقه ثم سار إلى دستميسان وكانت بالمزار وقعة لمصعب بين الزبير على أحمد بن سُميط النخلي)

ولابد أن نذكر هنا طائفية ياقوت الحموي بشتمه للشيعة، وكذلِك نذكر أن دستيمسان هي منطقة آخرى بعد المزار وليس هي المزار نفسها كما ذكر البازي، وان نذكر أن عتبة بن غزوان بعد أن فتح الأبُلة فتح الفرات وهو ليس نهر الفرات بل هي منطقة آسمها الفرات ثم سار إلى المزار ودستيمسان، وقد ذكرنا في إحدى تعليقاتنا أن دولة ميسان كانت تتألف من ثلاث مناطق هي الأبلة (أبولوس) و(الفرات) و(ميسان) أوكرافاس والمزار جزء من دولة ميسان تلك.

وفي منطقة ميسان العزير[1] النبي ويُسمَّى عِزرا وقد ذكره القزويني فقال إنه كان

(١) قبر عزرا في العزير

منطقة العزير تقع شمال البصرة جنوب منطقة العمارة على الضفة اليمنى لنهر دجلة سُميت هذه المنطقة باسم أحد الأضرحة المتواجدة فيها وهو قبر النبي عزير«عليه السلام» كما يعتقد الناس، ولكن الأمر غير ذلك فالنبي العزير لم يدخل العراق مطلقاً، إذ عاش ومات في فلسطين ولكن تسمية هذه المنطقة جاءت عن طريق اعتقاد الناس بأن القبر هو للنّبي العزير«عليه السلام». عندما ذهبت إلى تلك المنطقة ودخلت الضريح قرأت عبارات وأدعية مكتوبة باللغة العبرية ولحسن حظي اني أُجيد شيئاً منها وجدت ان اسم صاحب القبر هو عزرا وليس العزير وعندما نبحث في تأريخ بني إسرائيل وفي فترة سبيهم إلى العراق نجد أن شخصاً قد تواجد معهم اسمه عزرا الكاتب، ولكن لماذا هذا اللقب دون غيره، هذا الرجل في الحقيقة هو الذي قام بكتابة التوراة في بابل والتي تسمى التوراة البابلية أو العراقية وهو الذي أضاف أسفاراً جديد للأسفار الخمسة التي كتبها موسى كما يُعتقد والمسمى البنتاتوش والسفر المهم الذي كتبه هو سفر استير الملكة زوجة الملك احشويروش واستير هذه إمرأة اسرائيلية تزوجها الملك الفارسي الذي أسقط بابل عام ٥٣٨ ق.م وان عزرا كان رسولاً بين بلاد فارس والإسرائيلين في العراق يوصل الأخبار، وقد توفي في هذه المنطقة الحدودية حالياً بين إيران والعراق، ولمكانة استير عند الإسرائيلين ولتقديسها أضاف عزرا سِفراً بإسمها للتوراة يُبين أعمالها وأفضالها للإسرائيلين. عند دخول الملك قورش الفارسي إلى بابل أطلق على الإسرائيليين كلمة يهود.

يقول ول ديورانت في كتابه قصة الحضارة: (في عام ٤٤٤ ق.م دعا عزرا وهو كاهن عالم اليهود إلى اجتماع عام وخطير وشرع يقرأ عليهم من مطلع النهار إلى منتصفه (سفر شريعة موسى) وظل هو وزملاؤه اللاّويون سبعة أيام كاملة يقرأون عليهم ما تحتويه ملفات هذا السِفر ولما فرغوا من قراءتها أقسم الكهنة والزعماء والشعب على أن لا يضيعواهذه الشرائع ويتخذونها دستوراً لهم يتبعونه ومبادئ خليقة يسيرون على هديها ويطيعونها إلى أبد الآبدين. في حين ان كتاب العهد قد قُرئ على اليهود مرَّتين كاملتين في يومٍ واحد على أن قراءة عزرا لكتابه احتاجت إلى أسبوعٍ كامل للإضافات التي أضافها عزرا على البنتاتوش القديمة)

وَوَرَدَ ذكر عزرا عند الفيلوف اسبينوزا في كتابه (رسالة في اللاهوت والسياسة) والذي خَصَّصه لكيفية كتابه التوراة ونقده لذلك. ودور عزرا الكاتب في هذا الأمر وحجم الإضافات التي أضافها إلى التوراة القديمة. وَوَرَدَ ذكر عزرا كذلك في التلمود الذي أشار إلى الموت الذي داهم عزرا في بلدة زمزوم على دجلة وهو في طريقه إلى سوسه. وهذا ما ذكرناه سابقاً. ولكن قبر عزرا أُهمل فيما بعد وتحَوّل إلى خرائب فأمر أحد السلاطين من العثمانيين ببناء الضريح وإعماره ثم أخذ هذا الضريح يتَهدَّم فقام والي

←

معموراً يقوم بخدمته اليهود وعليه وقوف وتأتيه النذور، وعندما تَحدَّثَ لسترنج عن هذه المنطقة قال إنّ بالقرب منها تلول يُقال لها – البجة[1]– ترقى آثارها إلى العصرين الساساني والإسلامي.

وكذلك كانت تتصل البصرة بالكويت التي كان أهلُها ولا يزالون لهم العلاقات الطيبة مع البصرة بل أنهم من البصرة والبصرة منهم. ومما تجدر الإشارة إليه أن مساحة الكويت ١٥ ألف كيلو متر مربّع أما مساحة المنطقة المحايدة فهو ٥٧٠٠ كيلو متر مربع، وتقع في الزاوية الشمالية الغربية من الخليج العربي وبين خطي عرض ٢٨ درجة و٣٠ درجة شمالاً وخطي طول ٤٦ و٤٨ درجة شرقاً. وكان أول مستوصف أُنشيء في الكويت سنة ١٩١٣ وفي عهد الشيخ مبارك أما المستشفى الأميري فقد افتُتِحَ رسمياً سنة ١٩٤٩. وافتُتِحَ مستشفى الولادة الجديد وأُوجد بنك الدم سنة ١٩٦١. وأُنشئ الصندوق الكويتي للتنمية الإقتصادية حسب القانون رقم ٣٥ لسنة ١٩٦١ وكانت أول حكومة استفادت منه هي حكومة السودان.

وأصبحت الكويت عضواً في الصندوق الدولي للنقد في ٢١ مايس سنة ١٩٦٢، كما أصبحت عضواً في منظمة اليونسكو في ٢٤ أيلول سنة ١٩٦٢. وصَدَرَ قانون

بغداد أحمد باشا في النصف الثاني من القرن الثامن عشر بإعادة بناء القبر وأقام عليه ضريحاً فوقه قبه من القاشاني الأزرق، وتُهدّم القبر كذلك سنة ١٩٠٤ فأُعيد بناؤه مرة أخرى ثم أُلحقت به بناية تتألف من طابقين تحتوي أماكن للنزلاء، وخلف السياج الذي يحيط بالبناية والضريح تَكَوَّنت بلده العزير التي كانت تعيش على واردات الزوار القليلة. ويُعد القبر من القبور المهمة والمقدسة لدى اليهود لأنَّ صاحبه كان كالأنبياء بالنسبة لهم لأنه اعاد كتابة قوانين موسى«عليه السلام» وأعاد بناء عقيدتهم من جديد لذلك اعتبروه بمقام الأنبياء.

(١) النص ليس في حديثه عن عزرا كما ذكر حامد البازي«رحمه الله» بل أن النص هو ((ما مشهد الإمام عبدالله بن علي قائماً على البقعة وهو يُزار وبالقرب منه تلول يُقال لها (البجة) ترقى آثارها إلى العصرين الساماني والإسلامي ويُظن أنها تمثل مدينة (المذار) القديمة أما قبر العزير فما زال قائماً في موضعه القديم)) وهذا الكلام للمُتَرجِم وليس لسترنج، ينظر: هامش١، ص٦٤.

النقد الكويتي في ١٩ تموز سنة ١٩٦٠ واكتشفت مياه الروضتين سنة ١٩٥٠، وكانت أول مجلة تصدر في الكويت هي مجلة الكاظمة أصدرها الأستاذ أحمد السقاف سنة ١٩٤٨ ثم أصدر الأستاذ السقاف سنة ١٩٥٢ مجلة الإيمان وهي لسان حال النادي الثقافي القومي العربي. وكان أول سفير في القاهرة الأستاذ عبد العزيز حسين وأول سفير لها في العراق الشيخ أحمد عبد اللطيف الحمد.

أحداث البصرة

ذَكرتْ جريدة الزوراء في عددها ١٣٩٨ الصادر في الخامس من ذي القعدة سنة ١٣٠٦هـ أن السيد سعيد أفندي[١] قائمقام نقيب أشراف البصرة قد استغنى فخلفه ولده السيد رجب – والد السيد طالب باشا – وقد نال رجب باشا وسام المجيدي من الدرجة الأولى. وكانت الزوراء قد ذكرت أيضاً إنّ هدايت باشا[٢] المُشير قد وَصَلَ البصرة وفَتَّش جهاتها ورأى أنَّ القشلة التي كان قد بدأ بأساسها في محلٍّ رطبٍ يجب نقلها إلى محلٍّ صالح ومرتفع. وقد شيدت في محلٍّ مرتفع تَبرَّع به الوجيه سالم البدر[٣] وصالح دانيال. وكذلك ذكرت الزواء سنة ١٢٩٩هـ بأنَّ الزبير

(١) هو محمد سعيد نقيب أشراف البصرة، كان من الطاعمين للفقراء والمساكين (يُنظر: تأريخ العراق بين احتلالين: ٨/ ٤٩).

(٢) في سنة ١٣٠٠هـ – ١٨٨٢م وظَلَ هداية باشا إلى البصرة وفتَّش جهاتها ورأى أن القشلة التي كان قد بُدئ بأساساتها كانت في محلٍّ رطب فأمر ببنائها في محل مرتفع وقد تبرَّع بها سالم البدر أحد وجوه البصرة وصالح دانيال، يُنظر: (تأريخ العراق بين احتلالين: ٨/ ص٧٠، وينظر: المُجمل في تأريخ البصرة: ص٣٠٠).

(٣) عائلة آل البدر من أسرة عربية كانت في منطقة عنتر من نواحي الشرش تنتمي لقبيلة كعب ولتوسع تجارتها نَزَحَتْ هذه العائلة إلى البصرة ومن أفرادها سالم البدر التاجر الذي تبرع بقطعة الأرض التي بُنيت عليها القشلة، ومنهم كاظم البدر المولود سنة ١٢٨٢م من تجار البصرة وولده جواد البدر، وولده الثاني جعفر البدر المولود سنة ١٩١١ الذي تَخرجَّ في دار المعلمين وبعد أن عمل معلماً وفي الإدارة في متصرفية البصرة ترأس الحزب الوطني الديمقراطي في البصرة ثم عمل في التجارة.

←

والشطرة كانتا ناحيتين فصارتا قضائين ثم قالت ولقد تَأَسَّسَتْ في البصرة ماكنة ثلج لتساعد الأهالي على مقاومة حر الصيف وذلك بعد أن تَأَسَّست في بغداد ماكنة ثلج.

ومن أحداث البصرة ظهور مرض التيفوئيد الذي ظهر سنة ١٣٣٤هـ - ١٩١٦م وكان الأتراك يسمّونه - لكله لي حما - وقد انتشر بين السكان بسرعةٍ فأمرت الحكومة العثمانية موظفيها أن يلقّحوا

أما في البصرة فقد انتشر هذا الوباء ولكن الحكومة البريطانية كانت قد خافت على قواتها العسكرية من المرض فَشَدَّدت الرقابة على السكان وطعّمتهم بالحُقن والأدوية وكانت الحقنة تُسمّى - جرنقة- وكان قبل ذلك قد ظهر وباء الهيضة في البصرة ووصل إلى منطقة العزير وحدثت عِدة أصابات فكان أن تعمل الجمعيات المسيحية والفرنسية على مكافحته.

ومن أحداث البصرة الغلاء الذي قيل إنّ سعر الوَزنَة من الحنطة الداودية بلغ ١٠٠ قرش وحنطة الكلك ٩٠ قرشاً والعراقية ٨٠ قرشاً وكيلو اللَّحم ٣ قروش و٣٠ فلساً وكيلو الرز الشنبة ٤٥ بارة - أقل من خمسة فلوس.

وكذلك من الأحداث قتل فريد بك[1] وكان في نهار الجمعة ٢٠ حزيران سنة

[يُنظر: جعفر البدر مؤسس الحزب الوطني الديمقراطي في البصرة دطالب جاسم الغريب، د.ت ومطبعة].

وجاء في تأريخ العراق بين احتلالين ٨/ ٧٠ ((سافر المشير هدايت باشا إلى البصرة وفَتَش جهاتها ورأى أن القشلة التي كان قد بدئ بأساساتها كانت في محلٍّ رطبٍ فاقتضى بناؤها في محلٍ مرتفع صالح فأمر ببنائها وقد تَبَرَّع بها سالم البدر أحد وجوه البصرة وصالح دانيال))

(١) ذكر سليمان فيض هذا الحدث بتفاصيله في مُذكَّراته ص١٢٩-١٣٧ ومنه قوله: ((شكَّل محمود شوكت باشا الوزارة الإتحادية الجديدة فأسندَ وزارة الداخلية إلى طلعت والحربية إلى أنور باشا والبحرية إلى جمال والمالية إلى جاويد وَوَزَّع الوزارات الأخرى بين أقطاب الاتحاديين، وهكذا عادوا إلى الحكم أشد بأساً من ذي قبل، وبدأوا ينتقمون من أعدائهم الواحد تلو الآخر، ولما كان السيد طالب يُعتبر عدوهم الألد في العراق، لذا عقدوا العزم على التخلص منه، فكَلَّفوا فريد بيك ←

متصرف الناصرية للقيام بهذه المهمة، بالنظر لما عُرِفَ عنه من قوةٍ وجُرأة وشراسة وكانت الخطة المرسومة لهذا الغرض هي أن يُنقَل فريد بك إلى البصرة كقائد لحمايتها. فيلقي القبض على السيد طالب بحيلةٍ ما وإلاّ فيغتاله في رابعة النهار، أما فريد بك فقد مَهَّد للقيام بمهمته هذه بالإتفاق مع عجمي السعدون عدو السيد طالب اللدود على تنفيذ الخطة مشتركاً.

وقصة هذا العداء ترجع إلى بضع سنين خلت حين ألقى والي البصرة القبض على (سعدون باشا السعدون) والدعجمي بتهمة الإغارة على الزبير وسلب مواشيها بينما كان – أي سعدون- في ضيافة السيد طالب مما أدّى إلى اعتقاد عجمي بأنّ للسيد طالب ضلعاً في المؤامرة التي أسفرت عن نفي أبيه إلى حلب ووفاته فيها، فأقسم إلاّ أن ينتقمن من السيد طالب عندما تسمح الفرصة.

قَدِمَ فريد بك إلى البصرة في ٩ مايس سنة ١٩١٣، وتولّى قيادة الجيش فيها بيد من حديد، فعينَ عاطف بك قائداً للجندرمة وهجراتي بك معاوناً له، وكلاهما اتحاديان متطرفان ثم فاوض قائد البحرية الإتحادية لتوحيد الجهود فرَّحب هذا العرض وهكذا أصبحت القوى العسكرية في البصرة كلها في قبضة فريد وكان والي البصرة الجديد علاء الدين الدروبي قد وصلها في ٢ ميسان بدلاً من علي رضا باشا الركابي

وفي ٦مايس كان عجمي ورجال قبيلته قد اقتربوا من الزبير ونزلوا بأرض تُسمّى البرجسية ضربوا خيامهم فيها وفي ٩ حزيران احتل قصر النقيب في الشعيبة وأقام فيه بينما عسكر رجاله من حوله بانتظار الإيعاز من فريد بك وكان الاتصال بين فريد وعجمي يجري بواسطة محمد العصيمي أحد وجهاء الزبير.

وبعد أيام قام السيد طالب بزيارة فريد بك مجاملة بعد طلب علي رضا باشا الركابي فذهب إلى حيث يقيم فريد بك في الثكنة ومعه إثنا عشر من رجاله المسلمين فوجد الضباط العرب متجمهرين في مدخل الثكنة فاستقبلوه استقبالاً حارّاً وحين أراد الدخول منع حراس الثكنة رجاله من مرافقته.

في منتصف ليلة ٢٠-٢١ حزيران سنة ١٩١٣ وهي الساعة المعينة لتنفيذ المؤامرة يُمنَحُ الضباط العرب إجازات ويَتولّى الخفارة في التكنات ضباط اتحاديون، ثم يزحف الجيش بكامل اسلحته ويحتل جزءاً من محلة القبلة مع حلفائه حيث قصر السيد طالب النقيب وبعد إجراءات احترازية عديدة ذكرها [سليمان فيضي] ويكمل قائلاً في ١٩ حزيران تَوجَّه فريد بك وبديع نوري وعبدالله الفالح السعدون إلى الفاو في مهمة تفتيشة على أن يعودوا في اليوم التالي وفي صباح ٢٠ حزيران خرج من دار السيد طالب رجل بملابس رَثَّة يحمل فراشاً قذراً على رأسه وسار الهوينى في طريقه إلى العشار، وبعد نصف ساعة خرج ثانٍ بنفس الهيئة والاتجاه ثم تبعهما ثالثٌ ورابعٌ وإلتقى الأربعةُ في دارٍ قديمة مهجورة تشرف على رصيف نهر العشار وراحوا يراقبون الرصيف من النافذة بالتناوب وعندما آذنت الشمس بالمغيب لاحَتْ للعيان الباخرة (مرمريس) التي تقل فريد فاقتربت من الرصيف فلمّاثَبَتَ البَحّارة السلالم الخشبية نَزَلَ إلى

←

١٩١٣م الموافق لشعبان ١٣٣١هـ وكان آمراً لموقع البصرة وكان معه بديع نوري مُتصرف الناصرية وقد مات فريد بك حالاً ومات الثاني بعد بضع ساعات. وكان فريد بك يريد أن يقضي على الحركة القومية والوطنية في البصرة والتي كان يَترأّسَها المرحوم طالب باشا النقيب ولكن أحرار العرب وعلى رأسهم طالب باشا أعطوه درساً قاسياً.

الساحل فريد بيك يتبعه الآخرون حِينئذٍ فتح الرجالُ الأربعة أفرشتهم القذرة وأخرجوا منها بنادقهم وخرجوا لمُلاقاة القائد حتى إذا ما اقتربوا من موكبه إنهالوا عليه بوابلٍ من الرصاص ثم وَلّوا الأدبار... ثم اختفوا في منعطفات الطُرق الضيقة، ومنها إلى بساتين النخيل فَلفَّهم الليلُ بسواده فَسَقَطَتْ جثث الثلاثة (فريد بك، وبديع نوري وأحد الجنود)

مَرَّت نصفُ ساعةٍ فوصلت الأنباء بمقتل فريد بك، ولما علم حمد السعدون بمقتل فريد بك أرسل رسالة إلى عَجمي السعدون يطلب منه عدم دخول البصرة وأرسل بقية رجاله للتفتيش عن القاتلين وصادف أن إلتقت مفرزةٌ من الجيش بأربعة من رجال حمد فألقوا القبض عليهم ظَنّاً منهم بأنهم القتلة واقتادوهم إلى البصرة اعتقاداً بأن العداء بين حمد السعدون وعبد الفالح كان السبب في القتل...)).

وجاء خبر مقتل فريد بك في (تأريخ العراق بين احتلالين) ٨/ ٢٣٨-٢٣٩ كالآتي((أَطلَقَ بعض الأشقياء رصاصاً على فريد بك آمر موقع البصرة، وبديع نوري بك الجابري مُتصرف الناصرية [وهو أخو ساطع الحصري] فمات الأول حالاً وأما الثاني فَتُوفِّي بعد بضع ساعات من نهار الجمعة ٢٠ حزيران سنة ١٩١٣ ولم يُعرَف الجناة، وجاء في ثروت فنون عدد ١١٥٢ في ٢٩ رجب سنة ١٣٣١هـ أُغتِيل قائد البصرة فريد بك بوحشيةٍ مع المُتصرف في لواء المنتفق بديع نوري بك والمرحوم ولِدَ في أرض روم ودَرَسَ في المدرسة الإبتدائية في مسقط رأسه وجاء إلى استنبول فَتخَرَّج في سنة ١٣١٤هـ من المدرسة الحربية وفي سنة ١٣١٧هـ أكمل مدرسة الأركان فَتخَرَّج برتبة رئيس وبعد مدة أُرسِل للعراق وقضى حياته العسكرية فيه برتبة زعيم وكان غيوراً متفانياً ومُخلصاً فهو جندي ثمين وأن الغدر به بصورة مُفجِعة من دواعي الألم عليه، وجاء عن بديع نوري أُغتِيل مع فريد بك عند مرورها من جسر العشار من أشخاصٍ مجهولين فاستشهد من أثر الجُرح الذي أصابه كما أن فريدبك استشهد حالاً إثر ضربه. وكان فاضلاً كاملاً وهو من أبناء المملكة الأفذاذ، وهو ابن هلال الچلبي تَخَرَّج من المدرسة الملكية وعُهدت إليه قائممقاميات في (روم ايلي) ونال مكتوبية (أدرنة) ومديرية التحرير بولاية استنبول وحَصَلَ على منصب مديرية البلدية في فاتح ثم مُتَصرفاً في لواء المنتفق)).

ومن الأحداث أيضاً الشتاء البارد الذي مَرَّ على البصرة حتى ماتت أكثر المزروعات حتى أخذ الفَلاَّحون يَقصُّون سعف النخيل ويرتِّبوه على شكل أخصاص وأَغطية للمزروعات حيث كان الوَفرَ يَنزلُ ليلاً فيغمر المزروعات ويُجمّدها حتى فُقِدَتْ المواد الغذائية من الأسواق مع فقدان الثقة بين الناس حتى يُقال إنّ شخصين تضاربا بالخناجر من أجل قرص خبز كما وأنَّ شخصين في بغداد تحاكم من أجل ثلاثة فلوس وكان ذلك سنة ١٢٧٧ هـ.

وكذلك انتابت البصرة سنة ١٢٧٩ هـ نزلات صدرية كانت مصحوبة بسعالٍ حيث جاءت عن طريق إيران وقد أُصيب أهالي البصرة بها حتى لم يبقَ بيت إلاّ وفيه أصابة وهَرَعَ الناس إلى الأدوية والعقاقير من ورد لسان الثور والزعتر والزنجبيل والدارسين كما أكثروا من تناول مُخضر السِلق وكذلك الحُمُّص المطبوخ والمسلوق وشراب مائه – لبلبي – كما كَثُرَ الطلب على العدس والماش للطبخ ودام هذا الوباء أكثر من شهرين.

وفي شهر جمادى الأول من سنة ١٣٢٥ه حدث في العراق فيضانٌ عظيم واشتد الخطر على بغداد حتى هَرَعَ جميع أهاليها إلى التراب ليعلموا منه سداً وقد خُرِّبت جميع ضواحيها وأخذ الناس يمشون في الأزقّة والأسواق وهم يحملون المصاحف داعين الله على أن يخلصهم من الغرق.

أما في البصرة فقد غَرَقَتْ منطقة كردلان والتنومة ومناطق أبي الخصيب والقرنة – المذَار – وكان الماء في دجلة يسير بسرعة الجواد في الطِراد.

وقد شاهدت البصرة ماءً أحمراً غامقاً يحمل كميّات كبيرة من الطين والغرين والأخشاب وغصون الأشجار والشوائب الأخرى وقد وجِدَتْ في المياه حيّات جبلية كبيرة كانت لا تقدر على مقاومة الماء كانت تخرج إلى الساحل وتصعد على الأشجار الكبيرة وكانت تنفح وتُصوّت كما وجدت حيّات راكبة على بعض القطع الخشبية العائمة وقد استفاد أهل البصرة من هذه الأخشاب كما وأنَّ المياه بعد

هبوطها اخضـرت الأرض وظهر البهار كما ظهرت أثمار تشبه الخيار والبطيخ تناولها البصـريون بشهية وقد حاولوا زراعتها بواسطة حبوبها ولكنها لم تُخضـر أبداً.

ومن أحداث البصـرة أيضاً موت الدواب الذي أَصابَ البصـرة سنة ١٣٥٢هـ وكان وباءً عظيماً قد أهلكَ العددَ الكبير منها حتىٰ قلَّ اللحم وفُقِدت المـواد الدهنيـة وتَعطَّلت القوافل وسـير حركة التجارة والتنقل. وكان هذا قد جاء عن طريق بغداد ومن جهة إيران ثم بعد إصابة دوابها انتقل إلى الجنوب فَوَصَلَ البصـرة بعد حـين وكان أهالي البصـرة قد استعدوا لهذا المرض وطعَّموا دَوابَّهم. وبـالثوم فكـان عـدد الدواب التي أُصيب لا يزيد عن ثلاثين ألفاً من الرؤوس بينما فقدت بغداد أكثر مـن ربع مليون رأس.

وكان قبل ذلك بسنين قليلة قد أصاب العراق ومنهـا البصـرة طـاعون عظـيم[1] ١٣٤٨هـ حتىٰ يُقال إنه مات نصف الناس ونصف الطيور ونصف الكلاب ونصف الوحوش.

ومن أحداث البصـرة ما نَشـرته جريدة الزوراء في عددها رقم ١٠٢٧ الصادر في شعبان سنة ١٢٩٩ ما نصه: من مدة لم يعين مدرس لمكتب الرشدي في البصـرة ممـا

---

(١) أصاب الطاعون البصـرة مرات عديدة منها سنة ١١٠٢هـ إذ وقع فيها وفي نواحيها وبالقبـان وأفنىٰ منها خلقاً كثيراً كما في (الإيجاز في تأريخ البصـرة والإحساء ونجد والحجـاز: ١/ ٥٤٣) وكـذلك في سنة ١١١١هـ وقع الطاعون العظيم والموت الذريع في البصـرة ونواحيها ولم يعُهد مثلـه لأنـه أفنىٰ البصـرة (المصدر نفسه ص٥٥١) وفي سنة ١١٨٦هـ وقع فيها وفي بغداد والكويت ولم يُبقِ من أهلها إلاّ القليل وقد أحصي مَنْ مات فيها من أهلها فبلغوا ٣٥٠ألف ومـات مـن أهـل الـزبير سـتة آلاف نفس (المصدر نفسه ٢/ ٣٠) وفي سنة ١٢٤٧هـ وقع الطاعون العظيم الـذي عَـمَّ العـراق والسـواد والمجر وسوق الشـيوخ والبصـرة والزبير والكويت وما حولها وأصبحت جثث الناس في بيـوتهم لا تجد مَنْ يدفنها وأنتنت البلدان من جيف الإنسان وبقيت الدواب والأنعام سائبة حتىٰ مـات أكثرهـا و.....) (المصدر نفسه ٢/ ١٤٤)، فالأدق سنة ١٢٤٧هـ وليس كما ذكـر البـازي ١٣٤٧ هـ ولَعلَّـه خطأ طباعي.

أدّىٰ إلىٰ تَفرُّق طلاّبه وسَدّه ولكن الآن وَرَدَ له مدرس فافتتح ومما تجدر الإشارة إليه أن درجة نجاح التلميذ كانت ٤٥ لجميع الدروس عدا الخط والرسم فهي ٢٠ درجة، أما درجة الصفر الحالية فكانت تقابلها درجة ٤ والتلميذ ينجح إذا ما حَصَلَ علىٰ أكثر من نصف مجموع درجات الدروس وليس نصف درجة كُلِّ درَسٍ. كما كانت هناك بعض الاستثناءات وخاصّة درس الإملاء التركي الذي كان يجب علىٰ التلميذ أن يحصل علىٰ أكثر من نصف ٤٥ أي ولو علىٰ ٢٣ درجة.

وكان الامتحان يجري من ١٠ شعبان إلىٰ أول رمضان دون الالتفات إلىٰ موسم الحر أو البرد أما العطلة فشهرٌ واحد وهو شهر رمضان ثم يعود الطالب للمدرسة بعد عطلة عيد الفطر.

وطريقة الامتحان كانت تجري علىٰ الطريقتين التحريرية والشفوية والتحريرية تَتكَّون من ثلاثة أسئلة لكل سؤال خمس درجات والشفوية علىٰ نوعين للنوع الأول عشرة درجات وهو صاحب الأسئلة السهلة وللنوع الثاني ٢٠ درجة فيه الأسئلة الصعبة والطويلة.

وكانت الأسئلة الشفوية تجري بطريقة القُرعَة – يا نصيب – حيث تُوضَع الأسئلة مكتوبة علىٰ ورقة ملفوفة وموضوعة في كيسٍ ثم يُنادي علىٰ الطالب الذي بدوره يُدخِل يده في الكيس ليسحب السؤال الذي يجب أن يُجيب عليه. أما هيئة الإمتحان فتتألف من مدرس الدرس المُختص ومدرس ثاني يُقال له المُميز وثالث يُسمّىٰ المُفتِّش.

أما عند آنتهاء الدوام فكان الطلاب يصطفون حسب محلاّت بيوتهم، حيث يخرج أولاً مَنْ بيته بعيد ثم يليه مَنْ هو أقرب منه وهكذا يخرج أخيراً مَنْ بيوتهم قريبة من المدرسة. وفي كُلِّ صباح كان الطلاب قبل دخولهم للصف في الإصطفاف يهتفون – بادشاهم جوق بشا– أي يعيش سلطاننا كثيراً. كما كان هذا الهتاف يجري قبل الإنصراف للبيوت وعندما يعلن – البرزنجي – أي البوقي إنتهاء دوام المدرسة.

وكان المدرسون يُشَجِّعون الطُلاّب باعطائهم – أفرين – أو ما يُسمّى – عافرين – وهي لفظة تركية معناها أَحَسنت والذي يحصل على أربع – عافرمات – تُعطى له درجة – تحسين– وصاحب ثلاث تحسينات تُعطى له درجة – تقدير – ثم الذي يحصل على تقديرين تُعطى له درجة – تلطيف – وأخيراً يُعطى لصاحب التلطفين شريط كلبدون من النوع الجيد ويُخيَّط على كتف سترته اليسرى وهو أعلى وسام مدرسي

والمعروف عن أكثر معلمي العهد العثماني أنهم بُلداء بل جُهّال وقد بلغوا البَلاهةَ والغباوة حيث أكثرهم من رجال الجيش المتقاعدين والشيوخ الذين كان أكثرهم ينام في الصف حتى قال فيهم الشاعر أحمد بك الشاوي:

الجهل جمعه بدا ... ئرة المعارف مستدير
أعضاؤها ورئيسها ... في الجهل ليس لهم نظير

وقال الرصافي:

معارفُ بغداد قد جاءها ... مديرٌ من الطيش في مَسرحِ
حمارٌ ولكنه ناطقٌ ... صَبيٌّ ولكنه مُلتحِ
فيا أيّها العلم عنها ارتحل ... ويا أيها الجهل فيها اسلحِ

وإذا علمنا بأن في المدرسة الرشدية كانت تُدرَّس اللغة الفرنسية والهندية ومسك الدفاتر وقواعد عربي ولغة تركية وجغرافية وتأريخ مع وجود مثل هؤلاء المدرسين عَلمنا إلى أي حد وصل التعليم.

ولقد تأسَّست في البصرة مدرسة أهلية باسم تذكار الحرية – يادكار حريت[1]–

(١) في ٢٧ تشرين الثاني سنة ١٩٠٨م– ١٣٢٦هـ تم افتتاح مدرسة تذكار الحرية (يادكار حريت) التي أسَّسها المحامي الموصلي الأصل سليمان فيضي، وقد حضر حفل الإفتتاح الوالي وجمهور غفير من الموظفين والأهالي وانتخب العلاّمة عبد العزيز التكريتي لتدريس اللغة العربية والدين والمستر مانوئيل لتدريس الإنكليزية ونوري محمد للخط والمدير هو سليمان فيضي والمعاون أحمد سالم

وقد تَبَّرع أهالي البصـرة مقدماً (٨٦) ليرة ذهبية واستؤجرت للمدرسـة دارٌ في محلـة

والمستر اندرية لتدريس الفرنسية ثم أخلفه إلياس هرمز والمحامي عمر فـوزي لتـدريس التركيـة... ومجموعة من الضباط لتدريس مواد أخرىٰ، وأن إدارة المدرسة تستوفي من الطالب الغني ٤٠٠ فلس شهرياً ومن متوسط الحال ٢٠٠ فلس ولم تستوف من الفقـير أجـراً بـل كانـت تُجهّـزه بالكتـب مجانـاً (مذكرات سليمان فيضـي: ص٧٩-٨٣)، تقديم: فتحي نجده صفوة، وتحقيق: ابنه باسـل فيضـي، شـركة مطبعة الأديب البغدادية، ط٤، سنة ٢٠٠٠.

ونص سليمان فيضـي هو ((علىٰ أثر إعلان الدستور وإطلاق الحريات قويت لدي الرغبة في العمل في خدمة الأمة العربية عن طريق الصحافة والتعليم إثـارة الـوعي القـومي بـين النـاس، ولقـد وجـدتُ في البصـرة ميداناً فسيحاً لهذا النشاط، إذ كانت تفتقر إلىٰ المدارس اللاّزمة وكان أهلهـا غـافلين عـن تعلـيم أبنائهم وتثقيفهم فَتَقَدَّمت إلىٰ السلطات المحلية بطلب تأسـيس مدرسة إعدادية أهليـة تبـدأ أولاً بصـفين ويكون اسمها (تذكار الحرية) يكـون التـدريس فيهـا باللغـة العربيـة وتُـدَّس فيهـا التركيـة والإنكليزيـة والفرنسـية كلغاتٍ أجنبية علىٰ غرار المدارس العربية الأهلية في بيروت ولدىٰ مقابلتي للوالي، قال لي: إنـه يحب التعليم ويُجبذ إنشاء هذه المدرسـة إلاّ أن اسـمها العـربي وتدريسـها باللغـة العربيـة يتعارضـان مـع القوانين المرعية لذلك اقترح عليّ أن أجعل اسـمها (يادكـار حريـة) وأن لا أتنـاول بالـذكر في عريضـتي موضوع اللغة وأنه – أي الوالي – سـيغض الطرف عن هذه المخالفة فلا يبحث عنها في كتابه إلىٰ الوزارة، وعند حصولي علىٰ إجـازة كـان لابـد مـن المـال لتنفيـذ المشـروع فَتَجَّمعـت تبرعـات بمبلـغ ٨٦ لـيرة واستأجرتُ داراً وهيأتُ لها الرحلات والأدوات اللاّزمة وأرسلت بطلب الكتب المقررة من بيروت، وقد احتفظتُ بإدارة المدرسة لنفس وعيّنت الحاج أحمد السالم معاوناً... وبعد أيام قلائل مـن أفتتـاح المدرسـة زارها أحمد باشا الزهير وتبَّرع لصندوقها بمئة ليرة ذهبية... وبلـغ مجمـوع طلاّبهـا في السـنة الثانيـة ١٣٠ طالباً.

ولما ضاقت الدار بالطلاب انتقلت المدرسـة إلىٰ بنايـة جديـدة للأوقـاف في محلـة السـيف (مدرسـة السـيف الإبتدائية للبنين). وبعد عام واحد راجعني معتمد فرع جمعية الإتحاد والترقي وأخبرني بأن مركز الجمعية في استانبول قد كُلِّف الفرع بفتح مدرسة في البصـرة ولمـا كانـت ماليتـه لا تسـاعده علىٰ القيـام بهذاالمشـروع فقد التمس مني أن أجعل مدرستي تحت نظارة الجمعية، فتقوم هي بإدارتها مالياً وتحـتفظ لي بشـرف التأسـيس مع بقائي مديراً لها براتب شهري قدره خمس ليرات وبعد جـدالٍ طويـل لم أرَ بُـداً مـن القبول وسارت الأمور بادئ الأمر كالمعتاد، غير إني فُوجِئـت بطلـب الجمعيـة بتبـديل اسـم المدرسـة إلىٰ (مدرسة الإتحاد والترقي) وجعل التدريس فيها باللغة التركية فلم أقبل واشتدَّ النـزاع ووصـل الأمـر إلىٰ استقالتي....)

الباشا ثم لما زاد عدد الطلاّب انتقلت المدرسة إلى بناية مدرسة السيف والمشغولة اليوم من قِبل مدارس الأوقاف.

وكان مدير المدرسة المرحوم سليمان فيضي ومعاونه الحاج أحمد السالم والمعلمين المستر أندريه للفرنسية ثم جاء بعده إلياس هرمز كما كان عمر فوزي للغة التركية وعبدالعزيز التكريتي للعربي والدين ونوري محمود للخط والمستر مانوئيل للإنكليزية.

ثم تَبَرّعَ الضباط العرب للتدريس مجاناً وكان منهم أحمد رشدي الذي أصبح في العهد الوطني آمراً للقوة النهرية وعبد الرزاق حلمي أحد مُتصرفي البصرة القدماء وسامي الأورفه لي ورأفت الأرضروملي.

وفي ٢٧ تشرين الثاني سنة ١٩٠٨ جرت حفلة افتتاح المدرسة التي حضرها والي البصرة وعددٌ كبيرٌ من الأهليين والتي تَبَرَّع فيها يوسف باشا المنديل بعشر ليرات وبَعد أيام تَبَرَّع أحمد باشا الزهير بمائة ليرة. وكانت أجور المدرسة مجيدين من الطالب الفني شهرياً ومن الطالب المتوسط الحال مجيدي واحد أما الفقير فمجاناً.

ولقد اهتمت الحكومة التركية لهذه المدرسة لما رأت من إقبال الناشئة عليها حيث بلغ عدد الطلاب في السنة الثانية من تأسيسها ١٧٠[1] طالباً.

وخاف العثمانيون من الوعي الشعبي فاحتلوا المدرسة بالقوة وبعدة حُجَّج غَيَّروا اسم المدرسة فَسمُّوها مدرسة الإتحاد والتَرقِّي وهو الحزب التركي الذي كان يضمر للعرب شراً.

وفي السنة الثالثة أَغلقت الحكومة المدرسة لأنّ طلاّبها تَفرَّقوا حتى بلغ عددهم ٣٠[2] تلميذاً وقد حُوِّلت بناية المدرسة إلى نادي حزب الإتحاد والتَرقِّي.

وكان من طُلاّب المدرسة الحاج مصطفى الطه السليمان وشاكر النِعيمة وأحمد

(١) قال سليمان فيضي ١٣٠ طالباً وليس ١٧٠ كما ذكر البازي

(٢) وهذا الرقم غير صحيح كذلك.

نوري ومحمد شاكر العبد السيد وعبد المجيد بديع وعبد الحميد بديع وعيسى طه سعدون الشاوي وتوفيق الحاج عذار ومحمد محمد خلف العبد الواحد وعبد الجبار الملاّك ويوسف هارون ومحمد شريف المنصور وغالب توماس وعبد العزيز المنصور ونجيب كرومي ومحمد أحمد السامرائي وعبد العزيز المنديل وأحمد غلوم ونوري عمر فوزي ومهدي داغر.

وفي سنة ١٩١٠ تأسَّستْ في البصرة مدرسة أهلية مسائية لتعليم اللغة التركية[١] وكان مديرها عمر فوزي المحامي يساعده المحامي سليمان فيضي كما كان محمد رؤوف العطار معلماً للرياضيات ودامت المدرسة دورة واحدة فقط.

وكان المرحوم الآلوسي قد ذكر في كتابه مساجد بغداد بأن جامع الفضل في بغداد من جوامع بغداد القديمة في جانب الرصافة. وقال إن سليمان باشا قد جَدَّده عندما كان والياً على بغداد سنة ١٢١٠هـ ثم قال ويُقال إنّ في هذا الجامع قبر محمد الفضل وهو بن إسماعيل بن جعفر الصادق.. ثم قال: ومحمد الفضل والسيد سلطان علي أخوان، وأنا بدوري أُناقش الآلوسي لأنّه تطرّق إلى أحد البصريين وهو سيد سلطان[٢] علي الذي هو أبو الحسن علي بن يحيى بن ثابت بن حازم بن علي

---

(١) قال سليمان فيضي في مذكراته ص٨٧(في شباط سنة ١٩١٠ أَسستُ بالتعاون مع المحامي عمر فوزي، مدرسة مسائية لتدريس اللغة التركية استجابة رغبة الكثيرين من موظفي الحكومة والشركات وعَيَّنت فيها محمد رؤوف العطار معلماً للرياضيات وفي خلال أشهر قلائل تيسر لطلابها إتقان التركية فأغلقناها بعد أن تم القصد من تأسيسها).

(٢) هو السيد أبو الحسن بن يحيى بن ثابت بن حازم بن أحمد بن علي بن رفاعة الحسن المكي نزيل اشبيلية الرفاعي الحسيني... السيد الشريف سلطان العارفين ولِدَ في البصرة عام ٤٥٩هـ وتُوفي أبوه السيد يحيى النقيب وله سنة واحدة وكفله أخواله الأنصار وبنو خالته آل الصريفي الأمراء المشهورون في البصرة وشَبَّ على التقوى وأخذ العلم والطريقة عن جدة لإمه الشيخ الكامل موسى أبي سعيد البخاري الأنصاري شيخ البطائحيين ولازال يتردد إلى البطائح بأمر الشيخ منصور بتلك السنة فزوجه بأخته.. فاطمة الأنصارية فأعقبَ منها أولاداً مباركين أعظمهم شيخ ←

بن رفاعة الحسن المكي الرفاعي الحسيني. كانت ولادته في البصرة سنة ٤٥٩ هـ وكان عمره سنة واحدة عندما تُوفي أبوه السيد يحيى النقيب[1] فكان أن تكفَّلة بنو خالته آل الصيرفي أمراء البصرة كما تَكفَّله أخواله الأنصار.

وقد دَرَسَ على جده لأمه الشيخ موسى بن الشيخ سعيد الأنصاري شيخ البطائحيين، ثم سَكَنَ البطائح سنة ٤٩٧ هـ وهناك تزوج بفاطمة أخت الشيخ منصور التي أَنجبت منه عدة أولاد أشهرهم السيد أحمد الرفاعي صاحب الطريقة المشهورة ثم هاجرَ إلى بغداد سنة ٥١٩ هـ بعد الفتن التي وقعت في منطقة واسط وسكن دار الأمير مالك برأس القرية. ولما عَلِمَ الخليفة بقدومه أكرمه وأراد أن يُقرِّبه ولكنه تَمَرَّض وبعد أسبوعٍ من مَرَضه تُوفيَ السيد سلطان علي، وقد بنى الأمير مالك مشهداً برأس القرية للسيد سلطان علي وأصبح من ذلك اليوم مزاراً. ومن هنا يظهر أن السيد سلطان علي ليس بأخ محمد الفضل كما يذكر الآلوسي خطأً.

ومن أسرة السادة الرفاعية في البصرة السيد إبراهيم بن السيد بدر بن السيد مبارك آل سيد رجب حيث ينتهي نسبه إلى السيد سلطان علي. وكان رحمه الله من المشاهير الذين جمعوا الكتب النفسية والمخطوطات حيث أُرسلت بعد وفاته إلى

الوقت إمام الهدى السيد أحمد الكبير الرفاعي... وكانت إقامة السيد أبي الحسن على صاحب الترجمة بقرية حسن من البطائح... إلى أن جاءت سنة ٥١٩ هـ فوقعت الفتن الكثيرة بواسط وكان إمام أهل السّنة والمشار إليه بين طوائف الصوفية والزهاد ورجال العترة المحمدية... فأجمع الناس على سفره لبغداد فتوجّه ونزل بيت الأمير مالك المسيب برأس القرية محلة ببغداد ثم مرض وبعد أسبوع من مرضه توفي فعمل له الأمير مالك مشهداً برأس القرية، وهو إلى الآن يُزار ويتُبرك به)). (تأريخ العراق بين احتلالين: ٢/ ٣٤٢-٣٤٣).

(١) في سنة ٤٥٠ هـ دخل البصرة يحيى بن ثابت بن حازم المكي جد الصوفي المشهور أحمد الرفاعي، وقد ولِد ونشأ بمغرب بغداد فولاّه الخليفة القائم بأمر الله العباسي نقابة الأشرف، وتُوفي في البصرة سنة ٤٦٠ هـ-١٠٦٨م يُنظر: (الأعلام: للزركلي: ط٥، دار العلم للملايين، بيروت، سنة ١٩٨٠. ٨/ ١٤٠).

ولده السيد رجب الذي كان يقيم في الهند فكان مصير هذه الكتب الضياع بعد وفاة السيد رجب سنة ١٢٨٢هـ. وقد عُينَ السيد إبراهيم الرفاعي لنقابة البصرة سنة ١٢٤٨هـ ثُم عُزِلَ منها لآختلافه مع والي البصرة وصار رئيساً للعلماء وأخذ يُدرّس الفقه إلى أن كانت سنة ١٢٥٤هـ حيث عُين لقضاء البصرة وبَقيَ مدةً ثم استُعفيَ، وفي رجب سنة ١٢٦٦هـ صار مُفتِياً للبصرة، وصادف أن زَارَ البصرة سنة ١٢٦٣هـ مسؤول الحضرة القادرية فكان أن يحل في بيت السيد إبراهيم وكان أن يمدحه بقوله:

سَمي خليل الله وابن بنيه ... رأيتك لما زرت كالبدر إذ يسري
فسريت ظلماء الهموم من الحشى ... ومن ذا رأى ظلماً تسير مع البدر

تُوفي في ١٧ ربيع الأول سنة ١٢٧٦هـ. وكان السيد مبارك جد السيد إبراهيم هو أخ السيد يوسف عز الدين الذي مرقده في محلة عز الدين في البصرة [١]. وجدّه السيد رجب ومرقده في سبيليات[٢] كما وأن والد السيد رجب هو السيد شمس

(١) مَحلَّة مُتصِلة مع بستان (گصب) ومحلة الصفاة مع توابع محلة المشراق وهي من المحلاّت القديمة في البصرة وفيها ضريح السيد يوسف عز الدين (أبو حمزة) الرفاعي، وقبل الحرب العظمى (العالمية الأولى) كانت تحيط هذه المنطقة ساحة كبيرة فيها بعض القبور وبعدها اتخذها الجيش العثماني ميداناً لتدريب الجيش النظامي ثم آتخذت محلاً لبيع الأطعمة (سيف) وجرش الشلب (مُسمَّيات البصرة محلاّتها – أُسرها – أعلامها) من القرن الأول الهجري إلى نهاية القرن الرابع عشر الهجري، عبدالله رمضان آل عيادة الرفاعي، دار تموز، دمشق، ط١، سنة ٢٠١٥، ص٨٣.

(٢) يقع هذا المرقد إلى الجنوب من جامع السبيليات في قضاء أبي الخصيب واللوحة المثبتة على الضريح كُتِبَ عليها:

هو السيد رجب بن السيد شعبان بن محمد درويش بن محمد صالح بن عبد الرحمن بن عبدالله نقيب البصرة بن حسن بن حسين أبو الفضل بن يوسف عز الدين نقيب البصرة بن رجب الكبير نقيب البصرة بن السيد رجب الكبير نقيب البصرة بن السيد شمس الدين محمد ابن السيد عبد الرحيم بن السيد سيف الدين عثمان بن السيد حسن بن السيد محمد عسله بن السيد علي أبو الفوارس بن علي أحمد المرتضى بن أبي الفواضل علي بن رفاعة الحسن المكي بن أبي رفاعة المهدي بن أبي القاسم محمد بن ←

الدين الظاهر والذي يُسمّيه العوام ظاهر[1] ابن علي والذي مرقده في منطقة الجبيلة قُرب المعقل.

ووالد شمس الدين هو السيد هو السيد أحمد الرفاعي الذي والده هو السيد سلطان علي كما ذكرنا والذي هو ابن السيد يحيى نقيب البصرة والذي مرقده في السبيليات.

ومن أحداث البصرة تَعيين خليل بك القائد العسكري الذي هَزَمَ الإنكليز في معركة سلمان باك والياً للبصرة. ولم يذكره أيُّ مؤرخ ضمن ولاة البصرة باعتباره لم يَتَسلَّم ولاية البصرة رسمياً. والحقيقة أنّ معركة سلمان باك جرت في ٢٢ تشرين الثاني سنة ١٩١٥ ودامت أربعة أيام انهزم بعدها الإنكليز في الكوت مما قوّى نفوذ خليل بك فصدر الفرمان في ٦ ربيع الأول سنة ١٣٣٤هـ أي ١٢ كانون الثاني

موسى الحسن بن أحمد الصالح بن موسى أبو سبحه بن ابن المرتضى بن الإمام موسى الكاظم«عليه السلام».

وقد أخطأ حامد البازي، فصاحب الضريح في السبيليات هو السيد رجب من أحفاد السيد يوسف عز الدين وليس هو للسيد رجب الكبير والد يوسف عز الدين

(١) أما ما يقوله حامد البازي عن أن ظاهر بن علي الذي مرقده في الجبيلة فهذا غير دقيق، إذ إن المرقد الموجود في الجبيلة هو للسيد حسن الجبيلي البصري بن عبد الله بن السيد علم الدين علي المرتضى- النسّابة بن السيد جلال الدين عبد الحميد بن السيد فخار شمس الدين بن السيد معد بن السيد فخار بن السيد أحمد بن أبي الغنائم بن السيد حسين الشيتي ابن السيد محمد الحائري بن السيد إبراهيم المُجاب بن السيد محمد العابدين الإمام موسى بن جعفر عليهم السلام، هذا ما كُتِبَ عليه. والسيد حسن الجبيلي هو الجد الخامس للعالم الزاهد الفقيه السيد هاشم الحطاب النجفي والسيد هاشم هو بن محمد بن عويد (عواد الصغير) بن محمد (عواد الكبير) جد السادة العواديين في العراق وكان السيد حسن الجبيلي سيداً جليلاً صاحب مضيف عامر نزح من البحرين إلى البصرة واستقرَّ في منطقة الجبُيلة، والعامة تطلق عليه (ظاهر بن علي) وهو اسم القيم القديم لمرقده. ينظر: البصرة ولاتها ومتسلموها مراقدها ومزاراتها الدينية: للشيخ حسن ثجيل الناصر، والأستاذ عبد العظيم إسحاق راضي، مكتبة المرتضى في البصرة، مطبعة الكفيل كربلاء، سنة ٢٠١٥، ص٢٣٨-٢٣٩.

سنة١٩١٦ بتعيينه والياً على بغداد والبصرة تقديراً له، وفي ذلك قال الشاعر عبد الرحمن إبراهيم المصري.

يا قائداً جيش العراق لك الثنا ... والحَمدُ والشكران والإطراءُ
بك لا بغيرك تُستَرَدّ بلادُنا ... وبسيف عزمك تُمحَقُ الأعداءُ
فأليك فأل الخير أنشد قائلاً ... ولديه بالعام الجديد وفاء
يأتي الخليل على يديه مؤكِداً ... أَرّخ تعود البصرة الفيحاء

وخليل بك هو الذي حاصر الإنكليزي في الكوت وفي زمانه فُتِحَ شارعٌ كبير في بغداد سُمّيَ شارع خليل يك وهو الذي أُبدل الآن باسم شارع الرشيد. وكان هذا الشارع يبدأ من الدباغنحانة العسكرية إلى باب المُعظَّم وكان يوم افتتاحه ٢٣ تموز سنة ١٩١٦-٢٢ رمضان سنة ١٣٣٤هـ وهو يوم إعلان الدستور العثماني. وكان قد كُتِب اسم خليل باشا على لوح من الكاشي وبُني علي جدار جامع السيد سلطان على المُطِل على الشارع.

ويُرجِع البعض أسباب الحرب العظمى الأولى إلى أسباب منها خط حديد بصرة بغداد استانبول. وقد افتتحت محطة سكة حديد بغداد بتأريخ السبت ٢٧ تموز سنة ١٩١٢، ووُضِع الحجر الأساس لِلسكَّة في جانب الكرخ وكان رئيس الأشغال الألماني –مايسز باشا – قد دعا والي الولاية جمال بك وجميع القواد والقناصل والأشراف للإشتراك في الإحتفال كما وحضره أربعون مهندساً من أمم مختلفة.

وبتأريخ الأول من نيسان سنة ١٩٣٦ اشترت الحكومة العراقية جميع طُرق السِكك الحديدية في العراق والتي كانت قبل ذلك مُلكاً للحكومة البريطانية. وقد سافر أول قطار على الخط القياسي العريض بين البصرة وبغداد في الساعة الثامنة من يوم الخميس الخامس والعشرين من شباط سنة ١٩٤٨ الموافق ٢٧ محرّم سنة

١٣٨٨هـ*

ومن مقاطعات البصرة مهيجران[١] التي تَحدَّثنا عنها في أول المقال وهي سُمِّيت بذلك لأنها موضع هجرة آل راشد وهي تضم أكثر من ١٢٠٠ جريب من النخيل كما وأنها تشتهر بالعَنَب على نوعية الأبيض والأسود. والمقاطعة هذه كانت مُلكاً لفيصل بن حمود وقد قُسِّمت أخيراً بين عددٍ من الملاّكين الذين استغلو أكبر نهر مهيجران وغزارة مياهه فباتوا يُسكِّرونه (لصيد السمك)

ومن المقاطعات أيضاً يوسفان[٢] وهي تقع على نهر يوسفان الأول حيث هناك نهر يوسفان الثاني ويوسفان الثالث. وكانت هذه المقاطعة تضم أكثر من ألفي جريب من النخيل وهي من أملاك مهنا المغامس وهي مقاطعة غنية بالرمان والعنب والخوخ.

وهناك مقاطعة حمدان[٣] المُسماة بنهر حمدان الذي كان يوماً ما يسقي لوحده أكثر من ألفي جريب من النخيل ويُقال إنّ هذا النهر حفره شخص من آل حمدان.

كما وأن هناك أنها في هذه المقاطعة ولكنها تدخل مقاطعة اليهودي وكوت السيد سلمان ونهر المقيبرة ونهر الصقاقرة أو ما يُسمى – محلة الصقاقرة- نسبةً إلى الصقر أو آل الصقر.

وأهل حمدان مشهورون بالجد والعمل وكان كل الرحّالة من القدماء أو غيرهم والذين زاروا مناطق جنوب البصرة قد أثنوا على أهالي هذه المناطق كما قالوا عن

---

* التأريخ ليس دقيقاً الأدق ١٣٦٨هـ.

(١) من قرى مهيجران: بلد محزم، قنطرة حرب، قرية السادة، فَيَّه العرب، بلد السيد جبل شمس بلد سلامة، كوت المظفر.

(٢) من قرى يوسفان: الفَيَّه، فَيَّة يوسفان، فَيَّة النعمة، صوباط السيد.

(٣) من قرى حمدان: حمدان بلد، كَوت الفرج، الجزيرة، كوت ثويني، حمدان البز، كوت جفال، كوت مبارك، المعاريف، الجديدة، البردية، كوت الصلحي، كوت سرحان، كوت فارس، بلد نجدي، الرومية، كوت المفتي، كوت رعيد، محيلة الصگاروه.

المنطقة بأنها غابة نخيل وقد تَخلَّلتها أشجارُ الفواكه وكان نيبور[1] الألماني الذي زار البصرة سنة ١٧٦٥م وناصر خسرو الذي زار البصرة سنة ١٠٤٥م[2] وتكسيرا[3] الذي زَارَ البصرةَ سنة ١٦٠٤م قد كتبوا الشيء الكثير عن غِنى هذه المنطقة

---

(١) يُنظر: ما كتبه كارتن نيبور عن البصرة في كتابه (رحلة إلى شبه الجزيرة العربية وإلى بلاد أخرى مجاوره لها) وهو بمجلدين، طبعة مؤسسة الإنتشار العربي، ترجمه: عبير المنذر، ط١، سنة ٢٠٠٧، ص(١٨٣-٢٠١)، إذ يصف تلك المدينة التي دخلها يوم ٢ أغسطس سنة ١٧٦٥م أنها مدينة خربة بائسة وقذرة (تكثر في البصرة القنوات الصغيرة المتفرّعة من النهر الكبير التي تساعد على الحفاظ على نظافة المدينة غير أنني لم أدخل مدينة أكثر قذارة من هذه إذ يستعمل معظم الناس المياه الملوثة في مطابخهم...)

(٢) الأصح أنه زارها سنة في ٢٨ ديسمبر سنة ١٠٥١م وليس كما ذهب حامد البازي سنة ١٠٤٥م وهو ما ذكرناه سابقاً.

وناصر خسرو قد ولِدَ في سنة ٣٩٤هـ في قصبة (قباذيان) من أعمال بلخ في أسرة غنية تنسب للإمام الرضا«عليه السلام» وقد اهتم والدة بتربيته وتعليمه فحفظ القرآن الكريم وهو لم يبلغ التاسعة من العمر ودرس اللغة العربية وآدابها وعلوم الدين وعلوم الفلك والحساب وتَضلَّع في الفلسفة إلى أن أُطلق عليه الحكيم وتوفي سنة ٤٨١هـ متخفياً في مدينة غاريمكان الواقعة قرب مدينة برخشان فَدُفِن هناك وقبره اليوم مزار للإسماعيلين الذي يُعد أحد حججهم وله مصنفات منها زاد المسافرين ورسالة (المستوفي في الفقه الإسماعيلي) و(إكسير أعظم) في الفلسفة، ومما يُذكر أنه أول مَنْ اطلق تسمية شط العرب على الشط المتُكَوّن من ملتقى دجلة والفرات بدل التسمية القديمة دجلة العوراء. ينظر: المجُمل في تأريخ البصرة: علاء لازم العيسى، ص٢٩١-٢٢٠.

(٣) قال تكسيرا أو (بيدرو تيخيرا) عن البصرة في ١٧ حزيران ١٦٠٤: ((أما الأراضي الواقعة على الضفة أي الضفة الغربية من شط العرب فهي خَصبة ومزروعة وفيها بساتين نخيل شاسعة وبساتين فاكهة وحدائق، وهناك انعطافه كبيرة عند مصب النهر الذي يعود إلى مساره ليتجه هنا من الغرب إلى الشرق... وعلى كل شاطيء من هذه الشواطيء شاهدنا قطعاناً وأسراباً لكثيرة وطيور أوز وبط ودجاج وبهائم أخرى و....)) رحلة بيدرو تيخيرا من البصرة إلى حلب عبر الطريق البري (١٦٠٤-١٦٠٥) ترجمة وتعليق: د. أنيس عبد الخالق محمود، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط١، سنة ٢٠١٣ ص٣٠-٣١، والرحالة (بيدرو تيخيرا) ولِد في لشبوبة البرتغالية سنة ١٥٧٠م وينتسب لعائلة يهودية وكان يحاول في رحلته البحث عن اليهود وأحوالهم ومناطق سكنهم.

وزراعتها.

كما وأن الرحّالة الفرنسية مدام ديولافوا التي زارت البصرة سنة ١٨٨١م قالت واجعلوا الجميع على أنَّ أشجار الموز والأرز والتبغ والليمون وجميع الفواكه كانت تغطي كل أراضي هذه المناطق. زيادة على ذلك الحنطة التي كانت تصدّرها البصرة بكثرة وإلى سنين قليلة من هذا العهد كانت بيادر الحنطة وسنابلها تملأ بساتين البصرة بل طرقاتها وبيوتها وسطوح منازلها حيث كان الملاّكون يجبلون السنابل إلى قرب بيوتهم وفي الطرقات لتدوسها الدواب أو المارّة وهكذا تفصل الحبوب عن السنابل.

ومن مقاطعات البصرة منطقة أبي مغيرة[1] التي يسقيها نهر أبو مغيرة وتضم هذه المنطقة أكثر من ١٧٠٠ جريب نخيل كان أكثرها مُلكاً للشيخ بندر السعدون أو لسيف الراشد والحقيقة أنّ اسم الشيخ بندر كان يتردد كثيراً في حوادث البصرة وكان الأتراك يكتبونه – شيخبندر – حتى قال الأستاذ العزاوي إنّه يكون اسمه شاه بندر، ولربما أن الاسم الأعجمي – شاه بندر – والذي حُرِّف إلى شهبندر هو اسم شيخ بندر ثم حُرِّف حسب منطوق الأتراك والأعاجم. وأهل منطقة أبي مغيرة كانوا متماسكين فيما بينهم بعمل الجميع للخير ووحدة الكلمة والمنفعة حتى أنهم لمّا أَحسُوا بظلم وإجحاف العثمانيين في مقدراتهم في الخرص والضرائب تمردوا سنة ١٢٧٢ هـ على الحكومة العثمانية وأعلنوا العصيان وبقوا منعزلين عن الحكم العثماني إلى سنة ١٢٧٧ هـ حيث اصطدم بهم القائم مقام حسام الدين أفندي والي البصرة ولكنه لم يَتَمكَّن منهم ثم اصطدم معهم الوالي محمد منيب باشا[2] سنة ١٢٧٨ هـ وبعد

(١) أبو مغيرة: سُمِّيت بهذا الإسم نسبة إلى والي البصرة (المُغيرة بن شعيبة) الذي عينهُ عمر بن الخطاب سنة ١٥ هـ، وهناك مَنْ يرى أن هذه المناطق لم يسكنها الناس إلاّ بعد فترة من هذا التأريخ والإنتساب هنا غير صحيح.

(٢) في سنة ١٨٦٠ – ١٢٧٧ هـ تم تعيين الوزير منيب باشا حاكماً على البصرة وقد اهتم بالأنهار والأراضي وهو الذي طبق نظام الجريب فارتاح له الناس، وفيها أعلى فيحان العبد عصيانه على الحكومة العثمانية حيث تحَصَّن وجماعته في قرية (أبي مغيرة) وبعد محاصرته واستسلامه أمر منيب ←

مقاومة شديدة ومعارك طويلة وجهد كبير خضعت المنطقة للحكومة. وكان أهالي المنطقة قد عرفوا معنى الحرية والإكتفاء الذاتي فكانت منطقتهم يانعة بالأثمار، كما وأن فلاحيها اقتنوا الأبقار والخيول والماعز والدجاج فكانت المقاطعة غنية بمحصولاتها الحيوانية أيضاً من حليبٍ ودهنٍ وزبد وبيضٍ ولحوم زيادة على الحبوب والمُخضرات.

ومن مقاطعات البصرة أيضاً نهر خوز[1] وهي على نهر يُعرف باسمها والذي يَسقي أكثر من ٨٠٠ جريب [2]من النخيل. ومن توابع هذا النهر الفرع المُسَمّى نهر أبي الحمد [3] وعليه يقع ضريح أبي الحمد وهو صالح أبو الحمد بن السيد عبد

باشا بقطع رأسه وتعليقه بأحد ميادين البصرة ينظر: النصرة في أخبار البصرة: للأنصاري ص ٥٨، والتحفة البنهانية: ص ٣١٩، وموسوعة تأريخ البصرة: باشا أعيان: ١/ ص٢١٤، وكتاب المُجمل في تأريخ البصرة: علاء العيسى: ص ٢٩٢، وجاء في كتاب تأريخ العراق بين احتلالين ٧/ ١٣٩ ((كان مُتصرف البصرة محمد منيب باشا قد كتب له المرحوم الشيخ أحمد نوري الأنصاري القاضي (تاريخ البصرة) مختصراً في ١١ شوال سنة ١٢٧٧هـ ((المقصود النصرة في أخبار البصرة وهو تقرير عن تأريخ البصرة)) مُبيناً حالتها الماضية وما تحتاج إليه من إصلاح، والكتاب على اختصاره مفيد نافع. فاهتم المُتصرف في أمر إصلاحها وعَيَّنَ محمد منيب باشا متصرفاً على البصرة سنة ١٢٧٧هـ أيام السلطان عبد المجيد، وكان منيب باشا قد أعلن أن المحافظة على الأملاك والمحاصيل وجباية الميري من وظائف الحكومة فلا يحق لأحدٍ التدخل في أمرها وطرد عشائر المنتفك من التدخل واستحصل بقية جباية الميري وتبَّت لأهل البصرة أملاكهم وأمنهم في أوطانهم وقمع الفتن. وفي أواخر سنة ١٢٧٨ هـ تعين منيب باشا رئيساً لمجلس الأعمار في بغداد وعهد إليه بمهمة السداد في الجزائر واصلاح مستنقعاتها وتخليص البصرة من وخامة الهواء))

(١) من قرى نهر خوز الدوغة، أبو گوصرة، الجِعلة، الطفيح، أبو الحمد، الطريزاوية.

(٢) الجريب وحدة قياس تُستَعمل في بساتين البصرة وتساوي ٣٩٦٧ متر اً مربعاً.

(٣) هو السيد صالح أبو الحمد بن السيد يوسف عز الدين بن السيد رجب الرفاعي. وقيل هو مرقد الصحابي ضمرة بن حليمة السعدية أخ رسول الله «صلى الله عليه وآله» ومن قادة الإمام علي «عليه السلام» في حرب الجمل استشهد ودُفِن في هذه المنطقة (مشيجيجة)، وعن هذا الرجل كتب الواقدي وكذلك كتب المجلسي في بحار الأنوار ٥/ ٣٤٨ وكذلك كتب عنه شاذان القمي في كتابه الفضائل ص ٣٠، ولكن المصادر تشير إلى أنّ الذي استُشهد مع الإمام علي «عليه السلام» يوم الجمل هو هذا ابن أبي هالة ←

الرحمن ومرقده في مقبرة الرفاعية بالزبير بن السيد عبدالله نقيب البصرة. ومما تجدر الإشارة إليه أن ابن أبي الحمد هو السيد محمد درويش الذي مرقدة في محلة المشراق بالبصرة.

ومن نهر الخوز يَتفرَّع نهر قاع المصلاوية ونهر المشايخ الذي وضع عليه جسر لعبور الناس وذلك سنه ١٩٢٣م. ثم من نهر خوز يتفرّع الإعيوج وعليه جسر كبير بُني سنة ١٩٢٣ أيضا... والمنطقة أكثرها كانت تابعة إلى سيف الراشد

ومن مناطق البصرة أيضاً يوسفان وكانت سنة ١٩٠٩ م قد صَدَّرت ١٥٠ كيساً من الحنطة و٢٣ كسياً من الشعير و٨٢ كيساً من الذرة و٢٠٠ كارة صغيرة من التمر

وكانت قرية حمدان قد صدَّرت في نفس السنة ٢٠٦ أكياس من الحنطة و١٠٣ أكياس من الشعير و٩٣ كيساً من الذرة و٢٩٠ كارة صغيرة من التمر.

أما أكثر هذه المناطق تصديراً سنة ١٩٠٩م فكانت أبي مغيرة، فقد صَدَّرت ١٩٢كيساً من الحنطة و١٠٤ أكياس من الشعير و٩٩ كيساً من الذرة و٣٢٦١ كارة صغيرة من التمر و٢٠٠٠ كيس من الخلال المطبوخ بما فيه الجبجاب كما باعت أكثر من ٢٠٠٠ وقية دهن وكميات كبيرة من الدجاج والبيض و٦٠٠ معزة.

وبعد عشرين سنة فقط أي سنة ١٩٢٩م أصبحت هذه المناطق تُكثِر من بيع الفواكه بينما انعدم عندها بيع المنتوجات الحيوانية والحبوب مع زيادة قليلة فقط في تصدير التمور.

وأما اليوم فإن أكثر أهالي هذه المناطق تشتري المنتجات الحيوانية من الأسواق كما وأن بعضها تشتري الحبوب وحتى الفواكه ولم يبقَ بأيديهم سوى التمر فقط وهذا ما يُؤسَف له.

التميمي ربيب رسول الله «ﷺ» قال عنه عبد البر في الاستيعاب ٤/ ١٥٤٦ كان فصيحاً بليغاً وصف النبي «ﷺ» فأحسن وأتقن وقد قتل مع علي «عليه السلام» يوم الجمل وقال عنه ابن الأثير في (الكامل في التأريخ) ٣/ ١٤٩ ((قُتِل هَند بن أبي هالة الأسيدي أَمهُ خديجة بنت خويلد زوج النبي «ﷺ» مع علي يوم الجمل)).

إنّ الفلاح البصري كسلان وبعضهم كان قديماً يَتَحَجَّج بكثرة الفيضانات أو قِلّة المياه واليوم وقد استُخدِمت مكائن السقي فما العذر إذاً..

ولقد تَحدَّثَ لي أحدهم وهو من المُعتّمرين بأن منطقة نهر خوز صَدَّرت سنة ١٩١١م أكثر من ٥٠٠ كيس من العرنوص و٣٠٠٠ كيس من الرمامن وخاصة الأسود منه والذي كانت تشتهر به. كما وأن أهالي المنطقة تبرعوا بمائة كيس رز ومائة كيس حنطة و٥٠٠ حِلاّنة تمر للجيش العثماني الذي ذَهَبَ من البصرة وحارب في معركة القطعة (الگطعة). كما وتبرَّع آل الصقر للمتطوعين الذين سَمَّوا أنفسهم بالمجاهدين وكان على رأس أسرة آل الصقر حمد العبدالله الصقر والد عبدالله الصقر. وعبدالله الصقر بن حمد بن عبدالله الصقر آل حمد والذين سكنوا البصرة منذ سنة ١٣٠٠هـ ١٨٨٠م وتنتمي أسرتُهم إلى آل زائد أكبر عشائر منطقة الكويت وكان السيد عبدالله قد ولِدَ في الكويت سنة ١٩٠٦ وتَعلَّم هناك ثم جاء مع والده إلى البصرة واشتغل بالتجارة وكانت له علاقة مع إمارات الخليج واليمن وعدن والهند وكانت أسرة الصقر تستورد الأخشاب على ظهرِ سِفن شراعية خاصة بها كما كانت لها علاقة بالشركات البحرية.

كما كان السيد عبدالله الصقر من دُعاة النهوض بالأمة العربية فكان يَحملُ روحاً عربية قومية مبنية على أساس الدين الإسلامي.

كما وأنّ أهالي محلة جسر العبيد بالبصرة ساهموا كثيراً في رد الهجوم الإنكليزي على البصرة وكانت لفتوى عالِم المحلَّة السيد عبدالله الخليفة[1] الفضل الأكبر في دفع

(١) وهم أسرة علوية تُنَسب إلى الإمام موسى بن جعفر «عليه السلام» وتأريخ وجودها منذ هجرة العلاّمة السيد خليفة من وطنه الإحساء وذلك من قبل أكثر من قرنين تقريباً وكان السيد خليفة من أكابر العلماء المعروفين بسعة الاطلاع والخير والإصلاح وكان إلى جانب ذلك ذا ثروة وأحوال حسنة وأقام في البصرة زماناً كان فيه موضع التجلة والاحترام من عموم البصريين على اختلاف طبقاتهم ثم سافر إلى النجف الأشرف وخلف بمكانه ولده العلامة السيد محمد وأدركته المنية هناك فخلفه ولده المذكور وكان مثالاً عالياً للفضيلة ومكارم الأخلاق مجتهداً في إقامة المراسيم الدينية وبث الأحكام الشرعية ثم خلفه من بعده أخوه العلاّمة الجليل السيد باقر وكان أديباً ألمعياً حسن البيان ←

الشباب للقتال ضد الإنكليز. والسيد عبد الله هو ابن السيد محمد علي بن السيد محمد بن السيد خليفة الإحسائي البصري وينتهي نسبة إلى الإمام موسى بن جعفر «عليه السلام». وكان جده خليفة قد نَزَحَ من الإحساء. ويُقال من منطقة قارة ولذا يُسمى بالقاري أيضاً –وسكن البصرة أولاً. وسافر إلى النجف وتَرَكَ ولَده في البصرة ثم تُوفيِّ هناك فخلفه أخوه محمد ثم تُوفيِّ محمد فجأة من بعد أخيه باقر ثم بعد وفاة باقر جاء ابن أخيه السيد محمد علي الذي أيامه لم تطل فخلفه ولده السيد عبد الله.

وِلدَ العلاَّمة السيد عبد الله الخليفة سنة ١٣٠٠هـ وتَعلم في النجف وأَخَذَ عن الشيخ عبد الكريم الجزائري والشيخ محمد كاظم الخرساني والشيخ ضياء العراقي والإمام أبو الحسن الموسوي وشيخ الشريعة الأصبهاني. وَرَجَعَ إلى البصرة وسكن الخليلية –جسر العبيد– وكان مجلسه من المجالس المشهورة بالعلم والسياسة والدراية وحَلَّ المشاكل حتى سُمّي الديوانية وفي الحرب العظمى الأولى افتى ضد الإنكليز فَهَرَعَ الناس إلى حمل السلاح وكان السيد في مقدمتهم، تُوفِيَ في السابع من محرّم سنة ١٣٧٤هـ –١٩٥٤م.

سريع الانتقال عمَّر طويلاً وسافر في أيامه الأخيرة إلى النجف ومات فيها وخلفه ابن اخيه العلامة السيد محمد علي ولم تطل أيامه، أما خليفة آل سيد خليفة اليوم (هذا الكلام في النصف الأول من القرن العشرين) فهو العلامة السيد عبدالله بن العلامة السيد محمد علي المتقدم ذكره، ولد في البصرة عام ١٣٠٠هـ وسافر به أبوه إلى النجف، فنشأ فيها نشأةً كريمة وتلقّى دروسه هناك على جماعةٍ من رجال العلم والدين المشاهير كالشيخ عبدالكريم الجزائري والشيخ ضياء الدين العراقي والأستاذ محمد كاظم الخرساني وشيخ الشريعة الأصفهاني والإمام السيد أبو الحسن الموسوي وكان يَتَرَدَّد إلى البصرة لإدارة بعض أملاكه والنظر في شؤونها ولما أتم دراسته العالية. قَطَنَ البصرة وهو اليوم قائم بالمراسيم الدينية والإصلاحية من تعليم وإرشاد."(كتاب حاضر البصرة: الذي أصدره عبد المجيد حسن الغزالي صاحب مجلة الهدف، سنة ١٩٤١م، طبع في مطبعة المعارف، ص ٢١٩–٢٢٠).

الفصل الرابع

البصرة في القرنين الأخرين[1] سنة ١٧٢٠-١٩٢٠م

١- ماذا تعرف عن يوم ٢٢ تشرين الثاني سنة ١٩١٤؟

٢- الدورق وكارون ومناطق عربية والفلاحية

٣- الشيخين الجيليلين المجموعي والكروي

٤- السيدين العلاّمتين ناصر البحراني ومحمد الشبرّ

٥- أمين صندوق البصرة صبري أفندي

٦- الرحالة نيبور يلبس الملابس العربية في البصرة

٧- اليهود في البصرة وتلاعبهم بمقدّرات الناس

في ٦ تشرين الثاني سنة ١٩١٤ دَخَلَ الطرّاد الإنكليزي أودن مياه شط العرب وكانت تتَقَدَّمه رافعات الألغام وخلفه بواخر نقل الجنود والذخائر وأخذ يطلق النار على البطرية التركية في الفاو[2] وبعد ٤٠ دقيقة فقط من الاصطدام التركي الإنكليزي

---

(١) مجلة التاجر (الصادرة عن غرفة تجارة البصرة)، العدد ١٤، كانون الثاني سنة ١٩٦٩، السنة الثانية، ص (٢١-٣٠).

(٢) جاء في مجلة الأسرار الصادرة في بيروت، والتي تبحث في أسرار الحرب العالمية الأولى، العدد ٢ سنة ١٩٣٨، في ١٥ نيسان، ص١١ ((والعثمانيون قد أهملوا حشد القوات الكافية للدفاع عن البلاد العراقية بصورة خاصةٍ والديار العربية بصورة عامة وأهملوا تحصين قلاعهم البحرية ومنها قلعة الفاو، وهي بناية متهدمة يحيط بها جدار من الرمل وليس فيها من وسائل الدفاع سوى أربعة مدافع من الطراز القديم لا تصلح حتى لرد هجمات عصابات صغيرة.

وفي صباح السادس من تشرين الثاني سنة ١٩١٤ وقفت مدرعات من الأسطول الإنكليزي أمام هذه القلعة وأنذرت قائدها بوجوب الإستسلام في مدة لا تزيد على الساعتين إلاّ أن القائد برهان الدين ←

سَكَتَت البطرية التركية وعند ذلك تقدَّمت بواخر نقل جنود الإنكليز – فايرفلاي وأو ماديا – وفاريلا– ومعها بعض الزوارق المُسلَّحة وأنزلت ٦٠٠ جندي مشاة و١٠٠ جندي بحّار ومعهم رشاشات ماكسيم وبطرية ساحلية وحضيرة مدفعية جبلية وكان محل نزولها قرب محطة البرق في الفاو وكان الطرّاد – اسبيكل– قريباً منها ليحميها وكذا احتلَّت هذه القوة الصغيرة المواقع التركية دون مقاومة.

ثم وَصَلَ القائد البرطاني – السر آرثر يارث[1]– في تأريخ ١٤ تشرين الثاني

وهو من الضباط القدماء، أراد أن يقاوم فأمر بإطلاق القذائف على المدرعات الإنكليزية فكان أن انفجر خمس قذائف فقط إذ إن الإنكليز أسكتوا المدافع التركية وبعد نصف ساعة من الزمن اضطرت حامية القلعة، إلى الإنهزام إلى مواقع (الزين) وآحتلَ الإنكليز هذه القلعة بعد ظهر اليوم نفسه

اكتفى الإنكليز في ذلك اليوم بما غنموا وانصرفوا إلى إعداد مراكز هم الحربية وجاءتهم في اليوم نفسه خمس بواخر تنقل الجُند والأعتدةِ الحربية وفي اليوم التالي أخذت بواخر أخرى تصل إلى الميناء فبلغ عدد القوات الإنكليزية التي احتشدت هناك فيلقاً كاملاً يزيد بمجموعه على عدد القوات العثمانية في جميع البلاد العراقية.

أما القوات التركية فلم تكن تزيد على أربعة ألاف جندي ضعيفة العُدّد والعُدَّة، ولذلك أسرع إلى موقع (الزين) قائد الغرفة الـ ٣٨ أمير الآ لاي صبحي بك وانصرف إلى تنظيم وسائل الدفاع وتحمّس سكان هذه المنطقة من أبناء العشائر العربية فتطوعوا في صفوف الجيش العثماني، وأول مَن اندفع إلى التطوع عجيمي باشا السعدون شيخ مشايخ عرب السعدون المشهورة بالقوة والبطش فأوفد العدد الكبير من القبائل التابعة له لمساعدة العثمانيين.

وفي ١٥/ ١١/ ١٩١٤ احتلَّت القوات البريطانية سيحان وفي ٢٣/ ١١/ ١٩١٤ احَتلَّت البصرة.

(١) جاء في مجلة الأسرار ص١٢ من العدد نفسه (ولما استعّد الإنكليز عند مدخل الفاو وبدأوا عند فجر اليوم الخامس عشر من تشرين الثاني سنة ١٩١٤ هجومهم على المراكز العثمانية بقيادة (باريت) فاشتبك الفريقان بمعركةٍ شديدة في موقع (سيحان) وكانت القوات العثمانية مؤلفة من الالاي ٢٣ وبقية أفراد الفرقة ٣٢ ووحدات الخيّالة وكان الفوز في بداية هذه المعركة للأتراك إلاّ أن الباخرتين الحربيتين الإنكليزيتين وكانتا في النهر ما لبثتا أن صبتنا قذائفها بشدة على القوات العثمانية وفي ١٧ تشرين الثاني احتلَّ الإنكليز سيحان ثم تَعَقَّبوا العثمانيين إلى قرية (ساحل) وهي تبعد خمسة أميال عن الشمال الغربي من سيحان وهنا نشبت معركة أخرى استمرت خمس ساعات وآنتهت بآنهزام ←

ومعه الفرقة الهندية – ١٨ – واستلم القيادة العامّة وفي اليوم الثاني من وصوله اصطدم بالأتراك الذين انسحبوا فَعزَّز الإنكليز مواقعهم بالطرّاد – لورانس – الذي كان مُسلَّحاً بثمانية مدافع.

ولقد اجتمع القائد البريطاني مع قواده وقرَّروا الزحف على البصرة[1] وفي ١٧ تشرين الثاني تَقدَّمت القوة البريطانية من جهة البر بمساعدة القوة البحرية المُؤلَّفة من الطرّادين الأودن واسبيكل وكانت من أهم المعارك التي دارت بين البصرة والفاو معركة القطعة (الكُطعة). وكانت القوات التركية والعربية المتكوّنة من المجاهدين قد هاجمت القوات البريطانية على خط طوله سبعة أميال يمتد من ضفاف شط العرب إلى الصحراء وقد تَوقَّفَ الإنكليز ومُنوا بخسائر فادحة وكان النصر للعرب المجاهدين ومعهم الأتراك الذين لم يغتنموا الفرصة في هذا الانتصار ليضغطوا على الإنكليز وإنما اكتفوا بالنصر المؤقت فَضيعوا فرصةً حربية ثمينة وكان ذلك في ١١ تشرين الثاني سنة ١٩١٤. وبعد أربعة أيام فقط أي في يو ١٥ تشرين الثاني هاجم الإنكليز القوات التركية والعربية وقاموا بحركة انزال على الساحل وحدثت معركة (الكُطعة العظيمة) التي تَعَرَّضَ فيها المجاهدين العرب إلى نيران المدفعية الإنكليزية من البواخر في شط العرب وقد انهزم في هذه المعركة الأتراك بعد مقتل القائد التركي سامي بك كما قُتِلَ من الإنكليز – بيرد وود– مساعد

العثمانيين.

(١) وهكذا توالى الفشل على القوات العثمانية حتى شعرت القيادة بعجزها عن متابعة القتال فَعقَدَ القائد العثماني اجتماعاً في مقر الولاية، ولما كان الوالي غائباً استشار القاضي الذي يقوم مقامه وأجمع الرأي على ضرورة إجلاء القوات العثمانية من البصرة وفعلاً أخلاها العثمانيون في ٢١ تشرين الثانيسنة ١٩١٤ بعد أن أغرقوا ثلاث بواخر في النهر لسد الطريق النهري. وفي ٢٢ تشرين الثاني تمكَّنت الباخرتان الحربيتان الإنكليزيتان (شبيكل) و(أدون) من عبور النهر بسهولة ورفع الحواجز التي وضعها العثمانيون وتبعتها باخرتان نقلتا الجنود إلى البصرة، وفي صباح ٢٣ احتلَّت القوات الإنكليزية هذه المدينة.

السير برسي كوكس قائد الحملة الإنكليزية.

ثم أخذت فلول الجيش التركي تصطدم مع بعض أفراد العشائر ومع أهالي المنطقة فَحَدثَت الفُوضى وكان الإنكليز قد أرسلوا سماسرتهم ليبثوا الرعبَ في قلوب الأهليين وليرشوا المختارين وهكذا انهزم الأتراك وبعد ستة أيام أي في ٢٢ تشرين الثاني ١٩١٤ الثالث من مُحَرَّم ١٣٣٣هـ دَخَلَ الإنكليز مدينة البصرة. وأخذ الأتراك بعد ذلك مواقعهم في القرنة حيث تحصَّن قائد الفرقة ٣٨ وكانت لديه ثلاثة مدافع و١٠٠٠ جندي وطبعاً هذه القوة غير كافية لمقاومة الإنكليز فاضطَرّ القائد صبحي بك[1] للتسليم ومعه قواته وأُخذ أسيراً إلى الهند حيث توفِّيَ هناك.

---

(١) اتخذ والي البصرة صبحي بك في ذي القعدة سنة ١٣٣٣هـ ١٩١٣ قراراً بحجز أملاك الشيخ مبارك الصباح في الفاو مدعياً أنه لم يدفع عنها الرسوم الأميرية المُستحقَّة وفي شهر ذي الحجة وصل كتاب من صبحي بك إلى شيخ الكويت مبارك الصباح يرجوه أن يتبرع بمقدار ثلاث ألآف منّاً من التمر فتبرّع الشيخ مبارك بذلك المقدار (تأريخ الكويت حسن الشيخ خزعل ٢/ ٩٥- ٩٨.)

وفي ٢٩/ ٩/ ١٩١٤ وصلت شط العرب الباخرة الحربية البرطانية (ا سبيكل) وألقت مراسيها قُبالة المحمّرة وكانت الباخرة الحربية البريطانية (أودن) قد غادرت النهر وألقت مرساها عند حاجز الطمي... وفي الثالث عشر من تشرين الاول أعلم والي البصرة صبحي بيك القنصل البرطاني بأن على (اسبيكل) أن تغادر شط العرب في مدة ثمانية أيام وأن أية محاولة للمرور فيه بعد مضي المدة المُقَرَّرة ستجابه بالقوة المُسلَّحة... وفي يوم ٢٠/ ١٠ / ١٩١٤ أرسل والي البصرة صبحي بيك رسالة إلى الشيخ خزعل يناشده فيها أن يسمح لقوات سرية عثمانية بالاستيلاء على السفينة اسبيكل بطريقة مباغتة إلاّ أن الشيخ رفض ذلك). ينظر: بلاد ما بين النهرين بين ولائين السير ارنولد ويلسون، ترجمة: فوائد جميل، تقديم ومراجعة: الدكتور علاء نورس، بغداد، ط٢، سنة ١٩٩١، ص٣٧، وكذلك البصرة في عهد الإحتلال البريطاني: د.حميد أحمد حمدان، (١٩١٤ – ١٩٣١)، منشورات مركز دراسات الخليج العربي البصرة، ط١، سنة ١٩٧٩، ص ١٢٨.

وجاء في مجلة الأسرار العدد نفسه ص١٤ ((والقرنة من القرئ المُهمة من الوجه العسكري ففيها ملتقى نهري الفرات ودجلة واستيلاء الأعداء على هذا الموقع شديد الخطورة وهو يقطع كل خط اتصال بين القوات العثمانية والبصرة ويساعد الإنكليز على السيطرة على المواقع الحربية. ولكي تمنع القيادة العثمانية احتلال الإنكليز لهذا الموقع قررت ما يلي:

←

وقد نَشرت جريدة الزوراء في عددها ٢٤٩٥ في ٧ صفر سنة ١٣٣٣هـ ٢٤ كانون الأول سنة ١٩١٤ تعيّن سليمان العسكري بك المقدّم من أركان الحرب والياً للبصرة وقائداً لفرقتها. وقد سار هذا القائد وجميع قواته التي كانت على شط العمارة وهي تَتكوَّن من ١٨٠٠ جندي ثم عزَّزهم بقواتٍ من العشائر والمجاهدين.

ثم صَدَرت الأوامر العثمانية بتعيين سليمان عسكري[1] قائداً عامّاً للجبهة العراقية

أولاً: تأليف مقدمة خط الدفاع الأولى في الجهات الممتدة إلى قلعة صالح مركز القيادة

ثانياً: تقديم قوات دجلة إلى خط يمتد من المزيلة إلى الروطة لتأليف المقدمة الثانية لخط الدفاع.

ثالثاً: تعزيز حامية المزيرعة بقوة إضافية من قوات الإحتياط الموجودة هناك.

رابعاً: تنفيذ هذه الأوامر قبل صباح اليوم الخامس من شهر كانون الأول سنة ١٩١٤

خامساً: على القوات الثبات في المراكز والدفاع عنها.

وهذه القوات التي أُعدِت للدفاع في تلك المناطق مؤلّفة من خمسة آلاف جندي أشداء إلاّ أن الأعتدة الحربية كانت تنقصهم.

وفي الساعة الثالثة من صباح ٧ كانون الأول سنة ١٩١٤ تقدّم الأسطول النهري الإنكليزي إلى المزيرعة وأمطرها بالقذائف فلم تتَمكَّن المدفعية العثمانية من مقاومة الهجوم فآضطرت إلى السكوت وانتقلت المعركة إلى البر فقاومت الحامية المؤلفة من بلوكين من المشاة قوات القائد (باريت) الإنكليزي، وآنتهت المعركة بسقوط نصف القوات العثمانية قتلى وآخرون استلموا وتابع (باريت) الهجوم فسقطت القرنة وحاميتها المؤلفة من ٤٠ ضابطاً هم بقايا الفرقة ٣٨.

(١) جاء في مجلة الأسرار، العدد ٢، ص١٥ ((رأت القيادة الألمانية العليا في توغل الإنكليز في العراق مالا يتفق والسياسة التي رسمها الألمان لتوطيد نفوذهم في الشرق فأوعزت برلين إلى ممثليها في البلاد العثمانية كي يشتغلوا في سبيل إقصاء الإنكليز عن العراق، فاجتمع هؤلاء بأنور باشا ونظروا في الموقف واجتمعت الكلمة على ما يلي:

أولا: استبدال قائد قوات العراق

ثانيا: استبدال قائد الجيش الرابع

ثالثاً: إيجاد جبهةَ حربيةَ جديدةَ لتخفيف ضغط القوات الإنكليزية

رابعاً: تعزيز دور الإستخبارات

فاستدعى أنور باشا القائد سليمان بك العسكري وخاطبه بقوله: (جاويد باشا قائد قواتنا في العراق أظهر ضعفاً متناهياً في إدارة الحركات الحربية وهو يرى أن الموقف سيزداد خطورة إذا لم تجهزه بقواتٍ ←

جديدة، ولما كانت البلاد بحالة لا تساعدها على توفير النجدات المطلوبة رأينا أن نوليكم هذه القيادة مع توليه ولاية البصرة، فانصرف سليمان بك العسكري لوضع خطة لتنظيم جيشه وفي الأول من كانون الأول سنة ١٩١٤ أُقيل القائد جاويد باشا، وبعد ثلاثة أيام سافر سليمان بك إلى بغداد ليَتسلَّم مهام منصبه الجديد. وكان للإنكليز ١٠ ألف جندي في البصرة والاستعدادات الإنكليزية تزداد إذ وصلت ثلاث بواخر بخارية يوم ٢٥ تشرين الثاني وخمس أخرى يوم ٢٨ تشرين الثاني تَحمل الجنود، وَسَعَت القوات الإنكليزية إلى تأمين طرق المواصلات ففي الأسبوع الذي احتلَّ فيه الإنكليز البصرة مدّوا خطوط سكك الحديد ودفعوا السفن الحربية في النهر لتأمين الطرق النهرية.

وجاء في العدد الثالث من مجلة الأسرار ص٨ (نَظَّم سليمان العسكري الجيش عن الشكل الآتي:

أولاً: فرقة دجلة: وهي مُؤلَّفة من قوات دجلة ويضاف إليها ثلاثة طوابير من المشاة وبطارية للقذائف أقبلت من اسطنبول وصلب وعُهِدَ بقيادتها إلى الضابط حليم بك

ثانياً: فرقة العشائر وهي مكوّنة من عشائر ألبو محمد وفوَّضَ أمرها إلى ثلاثة من الضباط العثمانيين وقد قسمّها إلى ثلاث مجموعات وجعل مقرها الرئيس في التل الأخضر الواقع في الهواء تحيط به المياه والبردي والقصب وهو على بعد عشرة أميال من القرنة. وعددها ١٩ ألف مقاتل ومنها ألف خيّال

ثالثاً: رتل الحويزة وهو مؤلف من فوجين من المشاة وسرب من الخيّالة ونصف فرقة من المدفعية وفرقة من العشائر يبلغ عددها ثلاثة آلاف شخص. وتولى أمر هذا الرتل محمد فاضل باشا الداغستاني.

رابعاً: رتل الناصرية ويقوده الضابط علي بك وتألف هذا الفوج من تسعة أفواج من المشاة وكتيبة خيّالة وأربع بطاريات مدفعية صحراء وبطارتين جبليتين وعلى ثمانية آلاف محارب من العشائر العربية والكردية.

حَشَدَ سليمان بك العسكري هذه القوات بجوار موقع (المزيبلة- عران) للزحف على الأهواز والإلتفاف على الجيش البرطاني الأيمن وإجباره على التقهقر.

فأصبحت القوات البريطانية في موقع الهجوم، إلاّ أن سليمان بك العسكري مالبث أن دَبَّر خطةً أخرى تقتضي في شهر شباط ١٩١٥ بمهاجمة البصرة من طريق الساحل العربي

وفي العدد الخامس من مجلة الأسرار الصادرة في بيروت سنة ٣/ ٢/ ١٩٣٨ ص٨ (أن هذه التدابير لم تفد سليمان بك العسكري شيئاً، إذ قام القائد الإنكليزي (دربي) بالهجوم في الأول من كانون الثاني سنة ١٩١٥، وفي ٢٠/ ١/ ١٩١٥ وقعت بين الفريقين معركة شديدة في المزيرعة على ضفة دجلة اليمنى دامت عشر ساعات وآنتهت بخسارة القوات العثمانية التي بُليت بخسائر فادحة بلغت ٤٥٠ قتيلاً، وفي الوقت نفسه أُصيب سليمان بك العسكري بشظية من مقذوفات المدفعية الإنكليزية فجُرح. فآجتمع بأركان حربه وهو على فراشة وكلَّف محمد فاضل باشا الداغستاني بإعداد حملة للزحف إلى البصرة ولكن القائد

←

الجنوبية وفي ٣ كانون الثاني سنة ١٩١٥ تولّى القيادة وجَعَلَ مقره في العزير.

(باريت) أطلَقَ هجوماً مضاداً بقيادة (روبنسون) لمقاومة الداغستاني فأنزل بالقوات العثمانية خسائر بليغة، وكاد الجيش العثماني أن يُفنى لو لم تبادر القبائل العربية إلى نجدته. إذ ضربوا مؤخرة الجيش البريطاني وحصروه بين نارين مما ضمن الفوز للقوات العثمانية فدحرت الإنكليز وبلغت خسائر الإنكليز ٤٥٩ قتيلاً وغنموا المدافع والرشاشات وأن خسائر القوات العثمانية لم تزد على ٦٠ قتيلاً.

وفي هذه الأثناء تمت إقالة القائد البريطاني (آرثور باريت) وتم تعزيز القوات البريطانية فأصبحت مؤلفة من اللواء ١٧ واللواء ١٦ واللواء ٣٠ واللواء ١٨ وقد جاء من الهند واللواء ١٩ وقد جاء من مصر وأصبحت فيلقاً واحداً بإمرة الجنرال (جون نكسن)

وكان الفريق سليمان بك العسكري، قائد القوات العثمانية في العراق في بغداد لإجراء عملية جراحية له بعد إصابته بتلك الشظية في فخذه وكان لا يزال ملازماً فراشه لما وَرَدَتْ له من جواسيسه أنباء استعداد الإنكليز لها جمة قواته، فلم يكن منه إلاّ أن اعتزم العودة إلى الجبهة ليدبر الحركات العسكرية بنفسه، ولكن الأطباء منعوه... وحُمِلَ إلى الجبهة على محفة وطاف في المعسكر والجنود يحملونه عليها.

ومعركة الشعيبة كانت من المعارك المهمة، إذ أعدَّ سليمان بك العسكري قوات غفيرة في الناصرية استعداداً للمعركة الحاسمة التي قرّرَ فيها البطش بالقوات الإنكليزية إذ حشد ٢٠ ألفاً من أفراد القبائل العربية والكردية ومن قواته... وفي فجر ١٢/ ٤/ ١٩١٥ برأت المدفعية العثمانية إطلاق قذائفها بشدة على الحصون الإنكليزية فقابلتها القوات الإنكليزية بالمثل، وتَقدَّم المُشاة فاشتبكوا والإنكليز بمعركةٍ شديدة كان الفوز في بدايتها للعثمانيين الذين قاموا بحركة التفاف على القوات الإنكليزية في غابة (البرجسية) ولكن القوات البريطانية عزّزت موقفها يوم ١٣/ ٤ و١٤/ ٤ وصَبَّت القوات البريطانية نار قذائفها على القوات العثمانية وتضعضعت قوة العثمانيين وعندما علم سليمان بك العسكري خطورة الموقف دعا قادته إلى التراجع لإنقاذ مَنْ تبقى من الجيش ولكنه بقي مكانه وقواته تتراجع فطلب من ضباطه التراجع ولكنهم لم يغادروا إلاّ وهو معهم ولكنه أمرهم بالتراجع وبقي وحيداً في مقرة ولما اقترب خيالة الإنكليز منه وباتوا على مقربة منه أمر مرافقه بالتراجع وأطلق على نفسه النار، وبعد دقائق من وفاة سليمان بك العسكري دخلت طلائع القوات البريطانية المخيم فرأت القائد جثة هامدة فأدَّت له التحية العسكرية فأبلغت الخبر قائدها العام فأقبل إلى المخيَّم يحيي جثمان القائد الراحل ويأمر بدفنه في احتفالٍ عسكري مهيب وصباح يوم ١٥ نيسان سنة ١٩١٥ دُفِنَ سليمان بك العسكري.

وكانت خسائر الإنكليز ألف قتيل وجريح، أما خسائر القوات العثمانية فكانت ثلاثة آلاف قتيلٍ وجريح و٨٠٠ أسير.

وفي الحقيقة أن سليمان عسكري بك كان قائداً ماهراً وكان يؤمن بالنصر حتى يُقال أنه كان يُفكِّر من أي طريق يكون تقدمّه لآحتلال الهند. ومن خططه أنه جعل قوةً صغيرة أمامه من الجيش لتتشاغل مع الإنكليز على الساحل من دجلة ثم قام بحركة إلتفات نحو المحُمَّرة عن طريق كارون ثم جمع قواته وسار إلى الشعبية. ثم تَعرَّضَ به الإنكليز في الروطة يوم ٢٠ كانون الثاني سنة ١٩١٥ فهزمهم ولكنه جُرِحَ في المعركة ونُقل إلى بغداد للتداوي وكان يُصدر أوامره من المستشفى. ثم أَصدَرَ أوامره للهجوم على الإنكليز في جبهة كارون فكان أن حدثت في الثالث من آذار سنة ١٩١٥ معركة بالقرب من مدينة – الأهواز – ناصرية العجم فانهزم الإنكليز واستولى العثمانيون على – مدفع بين النهرين وكانت القوات العثمانية قد عُزِّزت بفوجين ومدفعين. وكذلك أَمَر بمهاجمة الإنكليز من جهة نهر دجلة فَتَمكَّن من إيقاف زحف الإنكليز وكان الرتل العثماني المركزي – مركز قولي – قد قام بأعمال باسلة أَذهَلتَ الإنكليز.

ثم جَمَعَ سليمان العسكري بك مجموعة من جنود وعشائر وكانوا عشرينَ ألفاً من النظامِين والمجاهدين، وفي ١٢ نيسان سنة ١٩١٥ تقَدَّم بهم لاحتلال البصرة فحدثت معركة الشعبية وكان القائد لا يزال جريحاً وهو يصدر أوامره من على مركبته وقد دامت المعركة يومين بلياليها ولم يساعده الحظ فانهزم جيشه وانتحر هو بعد الهزيمة وكان ذلك في ١٤ نيسان سنة ١٩١٥ حيث انسحب العثمانيون من منطقة البصرة ومنطقة كارون.

– كارون –

ونريد أن نعرف ما هي منطقة كارون [1] ؟: إنها منطقة تُسقى بواسطة نهر كارون

(١) أ– نهر كارون أحد أهم أنهار منطقة عربستان ومن أنهار هذه المنطقة:

طوله حوالي ١٣٠٠كم وهو من روافد نهر شط العرب ولكن شط العرب أعمق منه، وفيضان نهر الكارون يكون قبل فيضان دجلة والفرات فيسبب ارتفاعاً في مياه شط العرب، وإذا اتفق وأن حَدَثَ ←

فيضان كارون مع فيضان الرافدين أصبح فيضان شط العرب خطيراً.

ومع أن نهر الكارون ينبع من قلب جبال البختيارية فأنه لا يتكّون من منبعٍ واحد بل من عدة منابع، أهمها تأتي من مرتفعات كوهي كاربوش وهو المنبع الأصلي ومن مرتفعات ديزي سكوره ويدعى باسم خراسان ثم منبعه الثالث وهو من سفوح مرتفعات تخثي شاه ويُدعى هذا المنبع باسم ايبي ديز، ويشق كارون وديااناً ضيقة تدعى (دربند) ويسير ملتوياً مخترقاً جبالاً شاهقة وهو تارة يضيق وتارة يتسع وذلك لمسافة ٦٠٠كم قبل أن يدخل تسير (شوشتر) وحدود عربستان ويدخل سلسلة تلال حجرية رملية وسلسلة من الشلاّلات قرب الأحواز، ثم يسير ملتوياً في سهول عربستان الرسوبية ليصب في شط العرب عند المحمّرة.

قيل إن اللفظة (كارون) محرّفة من (كره رنك) أي الجبل المُلوَّن، وهو الجبل الذي ينحدر مع سير هذا النهر والعرب سمّته قديماً بدجيل الأحواز، ويشتهر كارون بعذوبة مياهه، وله عدة روافدة أهمها (نهر ديز) والذي يُسمى أيضاً بكارون الأسفل وهو ينبع من جبال كوه كارو ثم يدخل إلى منطقة عربستان وتكون (دسفول) على الضفة اليسرى منه ومن أشهر فروع نهر كارون (نهر دبيس) ويُسمى هذا النهر بنهر المينا يسكنه فخذ من قبيلة كعب ويُسمى كعب دبيس وكعب الميناو.

ب- نهر شاوور: ويقع شرق نهر الكرخة ويتكّون من منبعين يقعان على أربعة كيلو مترات من مدينة (السوس) ومن ربوة عالية حيث تكون مياه أحد المنبعين حارة والأخرى باردة ولا يفصل بين المنبعين إلاّ حاجز صخري سمكه حوالي المترين، وعند جريانه تصب فيه عدة عيون، لذلك كلما ازداد طوله ازدادت مياهه وأهم الأراضي التي يسقيها (العشارة – القوماط – الحسيناوة) ويجري حتى يصل الأحواز، وقسمٌ منه يصب في نهر الكرخة بواسطة فرعه (العشار) ويوجد عليه سدّان أحدهما تم تشيده عام ١٩٣٥ وهو سد (فيريه) والثاني سنة ١٩٣٧ وهو سدّ (الونج)

جـ – نهر الكرخة: ويُسمى أيضاً نهر (الوس) والعرب هناك يسمّونه نهر (السويب) ويتكَوَّن هذا النهر من ثلاثة منابع رئيسة تقع على سفوح جبال (بشتكوه) الغربية إذ يقطع مسافة داخل هذه المنطقة حتى يدخل سهول عربستان ليصب في هور الحويزة. ويقع على جرفه قبر النبي دانيال.

د- نهر الجراحي: وهو نهر قوي الجريان يجرف مع تياره الكثير من الأتربة والصخور التي يمر عليها سيره وينبع من منطقة بهبهان ويصب في هور الفلاحية (الدورق) وتسكن على ضفافه قبائل عربية وهذا النهر يُسمى قديماً نهر (تيري) ويصب فيه نهر (رامز) وهو يبعد عن مدينة الأحواز حوالي ٣٨كم وقال عنه جرير:

سيروا بني العم فالأحواز منزلكم ونهر تيري ولم تعزفكم العربُ

وبنوا العم هم من القبائل العربية التي كانت تسكن هذه المنطقة قبل الفتح وكان الشاعر عبد الصمد

←

الذي يُقال إن اسمه الفارسي – كوه رنك – أي الجبل المُلوَّن وذلك نسبةً إلى الجبل الذي ينبع منه.

ولقد أَطلَقَ العرب قديماً على هذا النهر آسمٌ – دجيل الأحواز – وهو اسمٌ مأخوذ من تصغير دجلة وأرادوا أن يميزوه عن نهر الدجيل الذي هو في أعالي بغداد فألحقوا له اسم الأحواز.

وينبع نهر كارون من – زرد كوه – بختياري وهو جبلٌ أصفر في منطقة البختيارية ويمر بنهر محمود كروان ثم يخترق منطقة الجبال فيفصل منطقتين من الأراضي تُسمّى الأولى هفلنك والثانية جهارلنك ولنهر كارون روافد عديدة أهمها نهر السوس وهذه الروافد تتحد مكوِّنة نهراً واحداً يسقي أراضي الحويزة.

وعلى نهر كارون عدة جسور منها جسر الكرخة وجسر دسيول ولكن أطولها جسر شادروان الذي بناه أردشير. ومن هذه المنطقة أيضاً الدورق[1] وهي منطقة

بن المُعذّل قد هجاهم بقوله:

بني العبد المقيم بنهر تيري ... لقد نهضت طيوركم نحوساً

حرام أن يبيت بكم نزيلٌ ... فلا يَمسِ لامكم عروساً

هـ – ومن الأنهار الأخرى. (نهر الصخيري) و(نهر السليمة) و(نهر عجيرب)

وهناك تفرعات من نهر شط العرب تدخل عربستان هي:

١. الدربند	٢. المنبوحي	٣. البريم	٤. المعموري	٥. خميسة
٦. الثمار	٧. المنبعات	٨. السليك	٩. سياب	١٠. الجين
١١. القصبة	١٢. الحبزان	١٣. الحدة	١٤. ابي جذيع	١٥. شاخورة
١٦. سعيدان	١٧. جيخوب	١٨. البقيعي	١٩. الرمضان	

ينظر: كتاب (الأحواز)، الصادر عن اتحاد النساء في العراق – فرع البصرة، دار الرشيد، سنة ١٩٨١، ص٢٨-٣٣.

(١) في سنة (١١٦٠هـ – ١٧٤٧م) في عهد الشيخ سلمان بن سلطان الكعبي زحف بنو كعب على مدينة الدورق وحرَّروها من سلطة الإفشار وأبدلوا اسم الدورق إلى (الفلاحية)... وقد أصبحت الفلاحية بعد ذلك مركزاً لحكم الكعبيين وتكنة كبيرة لجيوشهم البرية ومدافعهم وقد تم تغيير اسم ←

مأهولة بالعرب وكان اسمها القديم – سرق – وقد ذُكرت في كتب المؤرخين العرب فقال عنها المقدسي في كتابه – أحسن التقاسيم – بأنها كورة تتاخم العراق... ثم قال ومن مدنها آزر واندبار ودز[1].

وقال الحموي في معجم البلدان إنها مدينة بخوزستان[2] وإن نهار الدورق حفره

مجموعة من المناطق العربية إلى الأسماء الفارسية ومنها:

أ. أحواز	←	أهواز	ب. المحمّرة	←	خرمشهر
ت. الخفاجية	←	سوسنگرد	ث. خور موسى	←	بندر شاهبور
ج. الحميدية	←	فرج آباد	ح. الفلاحية	←	شادگان
خ. الخليفة	←	رامشهر	د. القصبة	←	رود كنار
ذ. عبادان	←	آبادان	ر. جزيرة الحاج صلبوخ	←	مينو
ز. شط العرب	←	أروند رود	س. بندر معشور	←	بندر ماء شهر

كتاب (الأحواز) ص٣٩.

(١) النص في كتاب أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم: لشمس الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد البنّاء الشامي المقدسي، طبعة ليدن مطبعة بريل، سنة ١٩٠٩، ص٤٠٧ (وأما الدورق فإنها كورة تتاخم العراق على القرنة ومن مدنها آزر، أَجَم نجسابان، الدز اندبار، ميراقيان ميراثيان)

وكان المقدسي قد وصف البصرة في ص١١٧ فقال (وهي شبه طيلسان قد شُقَّ إليها من دجلة نهران نهر الأبلة ونهر مَعقل فإذا اجتمعا مَدّا عليها، وهي من النهر إلى الباب نحو ثلاثة أميال وبها ثلاثة جوامع أحدهما في الأسواق بهي جليل عامر آهل ليس بالعراق مثله على أساطين مبيَّضة وجامع آخر على باب البادية وهو قديمٌ وآخر على طرف البلد. وأسواقها ثلاث. قطع الكلاء على النهر وسوق الكبير وباب الجامع وكلُّ أسواقها حسنة والبلد أعجبُ إليّ من بغداد لرفقها وكثرة الصالحين بها... وعبادان مدينة في جزيرة بين دجلة العراق ونهر خوزستان على البحر ليس وراءها بلد ولا قرية إلاّ للبحر وفيها رباطات وعُبّاد وصالحون وأكثرهم صُنّاع الحُصر من الحلفاء غير أن الماء بها ضيق والبحر عليها مُطبق)

وكان قد وصف إقليم خوزستان في ص٤٠٤ فقال: (وكان يُسمى هذا الإقليم سبع الكور وتعارف الناس ذلك فأتبعناه في ذلك إذ لم نجد له مخالفاً فأولها من قبل جبال السوس ثم جنديسابور ثم تُستر ثم عسكر مكرم ثم الأهواز ثم رام هرمز ثم الدورق..)

(٢) والنص في معجم البلدان لياقوت الحموي مجلد ٢ ص٣٢١ (دَورَق بفتح أوله وسكون ثانية وراءٍ بعدها ألف بلد بخوزستان وهو قصبة كورة) ولم يذكر ياقوت ما جاء عند البازي ولعلّ البازي نقله ←

أردشير بهمن. وذكر المؤرخون بأن الدورق على نهر ذات رستاق واسع وسوق كبير وخصائص وخيرات. وهي حَسنة الموضع ومعدن الخيش. وكانت سوق الدورق مُتشَعِّبة ومملوءة بالبضائع والسِلع حيث يمر بها الحُجّاج من كرمان وفارس. وهناك فرع من نهر مزبور يمر بالدورق كما يجري بقربها نهر يسير إلى المُحمّرة وتسير في ذلك البواخر حيث تتصل المنطقة بالمُحمَّرة ليتموَّن الأهالي منها.

وكان أول مَنْ أعاد تعمير الدورق الشيخ سليمان [1] من أمراء البو ناصر من كعب وذلك سنة ١٧٤٧م-١١٦٠هـ حيث أصبحت مركزاً لإمارتهم العربية. ويُطلَق على الدورق أيضاً اسم الفلاحية وقد أدى الإهمال إلى أن تكون أكثر هذه المناطق أهواراً سُمِّيت بهور الفلاّحين. وكان الإيرانيون بعد احتلالهم للمنطقة سنة ١٩٢٥ قد أبدلوا اسم الدورق فَسمُّوها – شادكان – وهو الإسم الرسمي لها الآن.

وتحتوي المنطقة على آثار عربية واسلامية وقِلاع وحصون كما أنها تشتهر بالعبي (عباءة) الدوركية[2] وهي تُمون إمارات الخليج العربي وهي تُغزَل بواسطة الأظافر حتى أن العباءة الدوركية كانت تُلف وتُوضَع في كيسٍ صغير للتبغ.

كما يكثر في هذه المنطقة البطيخ والطيور كما تشتهر بالروب واللَّبن حتى قيل

من كتاب آخر بالواسطة أو سقط المصدر عنده.

(١) كان الكعبيون يحلمون بالسيطرة على الدورق ويأملون في حكمها ثم أنهم يخشون (نادرشاه) ولما عِلموا بمقتله سنة (١١٦٠هـ – ١٧٤٧م) تحركوا إليها بعوائلهم وآثاثهم ودوابهم وهاجموا جموع الأفشار وأخرجوهم منها، وكان ذلك في زمن الشيخ سليمان وعندما نزحت كعب إلى الدورق (الفلاحية) بقيت منها في القبان ثلاث قبائل وهي النصار والدريس وآل بوكاسب الذين أسَّسوا إمارتهم في المحمّرة فيما بعد ومن ذلك الوقت انقسمت كعب إلى قسمين قسم الفلاحية وقسم المحمّرة وكانت رئاسة (البوكاسب) إلى (مرادو) ثم خلفه عليها ولده الأكبر الحاج يوسف الذي بُنيت المُحَمّرة في عصره سنة ١٢٢٩هـ-١٨١٢هـ،(يُنظر: الإيجاز في تأريخ البصرة والإحساء ونجد والحجاز، ٢/ ٥، ويُنظر: تأريخ إمارة كعب، تحقيق: علي نعمة الحلو ص٣٤)

(٢) وهناك نوع آخر من العبي وهي المسمّاة (الچاسبية) نسبة إلى أنها صنعت لچاسب بن شيخ خزعل.

أحسن روب هو روب الدورق، ومن رجالات الدورق الذين سكنوا البصرة الحاج محمد بن جاسم بن ملا محمد بن ملا جاسم بن الحاج محمد بن أحمد بن منصور بن حسان بن سيف بن كمر العتيك – الكعبي الدوركي – من بني كعب بن وائل الحارث العتيك بن الأسد بن عمران بن عمر مزيقة بن ماء السماء وهو والد الحاج عباس الدوركي التاجر البصري العصامي المحسن المعروف والذي له مساهمة كبرىٰ في المشاريع الوطنية والخيرية ومن التجار المعروفين بالصدق والاستقامة. ومنهم الآخ الدكتور كامل الدوركي[1] أحد شباب هذا الوطن المخلص في عمله والذي عرفته البصرة ابناً باراً يعمل في سبيل رفع المستوىٰ الصحي وخاصة بين الطلاّب حيث أنه طبيب صحة[2] الطلاب بالبصرة وله فضل كبير في سير الإشراف علىٰ عمليات التطعيم وفحص الطلاب لتخليصهم من الأمراض.

ويذكر لسترنج في تأريخ بلدان الخلافة الشرقية[3] بأنّ من أهم توابع فيض دجلة – شط العرب – نهر الرّيان وعليه أو علىٰ مقربةٍ منه مدينتا المفتح والدسكرة ولا يعلم موضعها الصحيح الآن.

وأسفل هذا النهر نهر بيان وعند قمته بلدة بيان وهي علىٰ بُعد خمسة فراسخ من الأُبُلة وموضعها اليوم مدينة المُحمَّرة وكان قدامه قد ذكره في تأريخه باسم النهر الجديد وهو ما يُسمّىٰ اليوم بنهر كارون.

وفي رجعة للبصرة لا نريد أن ننسىٰ قصيدة ذكرها الشيخ محمود المجموعي[4]

---

(١) كان قد رشح في انتخابات المجلس الوطني عام ١٩٨٠ وهو شخصية معروفة في البصرة

(٢) كان الأهالي يطلقون عليها (ساحة الطلاب) تسهيلاً بدلاً من (صحة الطلاب)

(٣) النص في كتاب لسترنج ص٦٩ (وكانت أهم الأنهار في شرقي فيض دجلة علىٰ ما ذكر ابن سرابيون نهر الرّيان وعليه أو علىٰ مَقربة منه مدينتا المفتح والدسكرة ولا يُعلم موضعها الصحيح وإن كانت الأولىٰ ذات شأن بحيث غلبَ اسمها علىٰ الفيض فَسُمي دجلة المفتح)

(٤) المجموعي هو: محمود عبد الكريم بن عثمان بن عبد الرازق بن الشيخ محمود المجموعي البصري الشافعي، ومن جهة أمه يتصل بالقاضي أحمد نور الأنصاري قاضي البصرة ولِدَ سنة ١٢٧٧هـ –

←

إلى السيد أحمد باشا بن السيد محمد سعيد بن السيد طالب بن السيد درويش النقيب وذلك سنة ١٣٠٩هـ وكان بعض قاصدي بيت الله الحرام بحاجة إلى مساعدتهم لأداء فريضة الحج فكان أن يبعث الشيخ المجموعي بقصيدته يستعطف أحمد باشا ليساعد الحجاج وفي مقدمة القصيدة نثر جاء فيه.

هذا والرجاء أن تأمروا مَنْ يأخذ لنا – حتى – ويعني به – تذكرة – مجاناً إلى جدة بمركب مظفر الذي تحت نظارة آغا جعفر قصدنا فيه من مكانٍ بعيدٍ فقير يريد الحج ونحن قصدنا زلال فضلكم وإنْ سبق غيرنا يمنع ذلك لأن المورد العَذب كثير الزحام. كما وأَنَّ الشيخ المجموعي أَرسَلَ سنة ١٣٠٩هـ ١٨٩٠م بقصيدة يهنيء فيها النقيب المذكور بعيد الفطر المبارك منها قوله:

زمان الهنا وافى فارغم حُسّاداً وألْبَسَتَ من برد المَسرة أبراد

١٨٦٠م وهو عالم ووفقيه، وبعد دراسته في البصرة وبغداد على مجموعة من رجال العلم أصبح إمام وخطيب جامع الكواز سنة ١٢٩٤-١٨٧٧هـ ودرس الشعر والعروض وألَّف في علوم الفقه والتفسير ومن مؤلفاته المطبوعة.

١. البرهان الجلي في المحاكمة بين المغربي والموصلي
٢. رفع الإتباس عن الإختلاف في الكاس
٣. التحفة البصرية وهي نظم الدّرر البهية
٤. شرحَ أبيات الدمنهوري في الزحاف وعلل الزيادة سماة (شفاء العلل)
٥. منبع البركات في شرح نظم الورقات
٦. تسهيل اللطيف الخبير في شرح التيسير في فقه الشافعية
٧. نظم القطر في النحو
٨. نظم متن الجزرية في فن التجويد
٩. نظم كتاب الهداية في الفقه.

وأصبح إمام جامع المقام في العشار سنة ١٣١٢هـ-١٨٦٤م وإمام جامع الزبير سنة ١٣٤٤هـ وتوفي سنة ١٣٧٥هـ-١٩٥٥م. (معجم شعراء البصرة: عبد الباسط الدرويش، ٢/ ٢٤١-٢٤٢، ادار الرافدين للنشر والطباعة، ودار الفيحاء، بيروت، سنة ٢٠١٧.)

وتهت على أبناء جنسي لأنني ... مَدَحتُ هُماماً يشبه البحر إن جادا
سليل المعالي أحمد الفضل في الورىٰ ... لبيت العُلاء المجد والفخر قد شادا
ألآ هكذا مَنْ كان للمالِ باذِلاً ... ومُتَخِذاً عند الإله زاداً
وبصرتنا لما غدا واحد العُلا ... به فأخرت شاماً ومصراً وبغدادا
تهنيك في أجر الصيام وعودكم ... لعيد عليكم عاد دهراً وآبادا

وكان المرحوم المجموعي من المُولعين بتأريخ وسيرة الشيخ حبيب الكروي[1] وهو من علماء البصرة الذين تُوفوا في نهاية القرن الثالث عشر للهجرة وهو ابن قاسم آغا الكروي وكان المرحوم قد ولِدَ سنة ١٢٣١هـ وقرأ العلوم علىٰ علماء منهم الآلوسي صاحب تفسير – روح المعاني– وكان الكروي قد مَدَحَ هذا التفسير بقوله:

إنْ كان محمود جار الله قد جُمِعَتْ ... له المحامد كشافا بتبيان
فإن محمودنا الحبر شهاب له ... روح المعاني وكان الفخر للثاني

وكان الكروي أديباً شاعراً فقيهاً وعليه آختِير للتدريس في ناحية الزبير سنة ١٢٨٧ هـ فكان مجلسه يضم الأدباء والفقراء يتطارحون الشعر والمسائل ومن شعره

---

(١) حبيب الكروي زاده البغدادي. من علماء البصرة وهو من القيسيين ولِدَ في البصرة سنة ١٢٣١ هـ ودرس علىٰ أبي الثناء الآلوسي صاحب تفسير روح المعاني ثم طُلب الشيخ حبيب الكروي للتدريس في مدرسة الدويحس فلبىٰ الطلب ودَرَّس الفقه والحساب والنحو والصرف وكان يشغل القضاء في الزبير وكان أديباً وشاعراً ومن شعره:

يا ندمىٰ بَرَحَ الوجدُ بنا ... فأعطفوا يوماً علىٰ مأسوركم
ظلمة الهجران حالت بيننا ... فأنظرونا نقتبس من نوركم

وتوفىٰ الكروي في منتصف سنة ١٢٩٥ هـ – ١٨٧٨ هـ ودُفن في مقبرة الحسن البصري في الزبير وكان تدريسه للعلوم الدينية في مدرسة الدويحس من ١٢٨٧ هـ – ١٢٩٥ هـ ١٨٧٠ هـ – ١٨٧٨ هـ (ينظر: معجم الشعراء في البصرة: د.عبدالباسط خليل الدرويش، ص١٢٤، وتأريخ قضاة البصرة: للمؤلف نفسه ١/ ١٢٤)

الغزلي:

يانـــدامى بَـــرَحَ الوجـــدُ بنـــا فـــاعطفوا يومـــاً عـــلى مأســـوركم
ظلمـــة الهجـــران حالـــت بيننـــا فانظرونـــا نقتـــبس مـــن نـــوركم

وفي اليوم الخامس عشر من شهر المحرّم سنة ١٢٩٥هـ تُـوفِّي الشـيخ الكـروي وشـيع جثمانه تشـييعاً مهيباً ودُفن في مقبرة الحسن البصـري. ويرجـع الكـروي إلى عشـيرة الكروية وهي من – القيسـية – وكانت تسكن سفح جبل حمرين وتنقسم إلى قسمين الأول يدُعى بالكروية الجديدة والثاني بالكروية العتيقة. ويُقـال إن الكرويـة الجديدة تَكوَّنت من أفخاذ تُدعى بالمصاليخ، وتقول المصادر إن من أهم رؤوسـاءهم – بايزيدبك – وهو ابن حسـين ناصـر بن الأمير حازم الذي كان له أربعة أولادهـم حسـين ومنه فخذ البو حسـين وعَلاَّن ومنه فخذ البوعلاّن، وغازي ومنه البو غازي ومحيسن ومنه ألبو محيسن. ونخوة الكروية – جيس – وكانت سكناهم المهمة منطقة – كروة لي – من السعدية كما يسكنون مناطق عديدة أهمها ناحية قـره تبـة في منـاطق الكاووري والخلاّوية والمحمولة والإحيمر وبردان.

ومن القيسـيين في البصـرة اليوم أخوتنـا السـيد نجـم الـدين القيسـي معـاون رئيس نقليات السكك بالمعقل والسـيد سعيد الكروي ناظر محطة المعقـل والمهنـدس مصطفى القيسـي مدير معمل الأصباغ الوطنية في البصـرة وجميعهم مـن الرجـال المُخلِصين للوطن ومن أصحاب الصفات الحميدة والأخلاق الفاضلة.

ويُذكّرنا مجلس المرحوم حبيب الكروي ومكوثه في البصـرة بالفقية المُلَقَّب – جمل الليل [1] – وهو أبو عبد الرحمن زين العابدين وكان قد وَصَلَ البصـرة سـنة ١٨٠٧ م

(١) كان ابن سند بما جُبل عليه من رغبةٍ في العلم حريصاً على تتبع أخبار الوافدين إلى البصـرة أو المـارّين بها من العلماء وأهل الفضل والأدب والإلتقاء بهم والأخذ عنهم، فعندما مرَّ العالِم المُحـدِّث السـيد زين العابدين المعروف بجمل الليل المدني ت ١٢٣٥ هـ ١٨٢٠م بالبصـرة وهو في طريق رحلته مـن المدنية المنوّرة إلى بغداد إلتقى به ابن سند وأفاد منه بأن روى عنه (الجامع الصحيح) للإمام البخـاري ←

– ١٢٢٢ هـ ولما كان من العلماء الفقهاء اللغويين ولذا أَعجَبَته البصرة مدينة الخليل والفرزدق ويبويه فاستَقَرَّ بها وصارَ له مجلساً يضم كبار رجالات العلم الذين أخذوا الدرس على يده ومنهم المؤرخ المعروف ابن سند. وقد ذكره ابن سند في مطالع السعود فطنب في مدحهِ ثم قال إنه قصد بغداد فروىٰ عنه العلماء الكبار وكان والي بغداد الوزير سليمان باشا قد أمره بعد وفاة خاله أن يقرأ البخاري.

وكان جمل الليل يريد أن يجمع مالاً يشتري به أملاكاً في المدينة المُنوَّرة يُوقفها على الحرم النَبوي الشريف ولكنه لم يحصل على المال المطلوب فَرَجَعَ إلى البصرة حيث تَمكَّن من أن يجمع المال الذي دفعته أيادي البصريين الكرام لتساهم في مشروع جمل الليل ولكن المَنية عاجلت العلاّمة الكبير فتوفي في حدود سنة ١٨٢٠م – ١٢٣٥ هـ.

ومن علماء البصرة الأفذاذ في أواخر الفترة المُظلِمة السيد ناصر[1] بن السيد

بقراءة أوله وإجازه باقيه وذلك في عام ١٢٢٢هـ – ١٨٠٧ م والظاهر أن جمل الليل قد أُعجب بعلم ابن سند وسِعة حفظة للحديث الشريف حتىٰ أنه كتب في إجازته له معتذراً.

أنا الدخيل إذا عُدت أصول علا فكيف أذكر إسنادي لدىٰ ابن سند

(ينظر: مطالع السعود، ص ١٥)

وفي حوادث سنة ١٢٢٢هـ يذكر ابن سند أنه في سنة مصرع الوزير علي باشا في ١٨٠٧/ ٣/ ١١ وَرَدَ البصرة فبغداد العالِم الذي هو مالك زمام الإسناد والمُحَدِّث الذي ألحقَ الأحفاد بالأجداد و..... مولانا أبو عبدالرحمن زين العابدين المشهور بَجمَل الليل مدَّ الله عليه ومن رحمته أسبغ ذيل

ولما وَرَدَ بغداد في حياة الوزير علي باشا أفاد وأجاد وروىٰ عنه الأكابر والأصاغر طلباً لُعِلوِّ الإسناد وأما الوزير فزاد في إكرامه وبالغ في رَفعه وإعلاء مقامه ومن إكرامه إيّاه الذي لم يوجد منه السواه أنه عزم على إرسال مال كثير إلى طيبة النبي الهادي البشير ليشتري بها أوقاف غلاتها لذلك العالِم. ثم على جهه لاتنقطع فبينما هو على ذلك عازم فاجأه انقضاء الأجل ولم يفِ ابن أخته سليمان بما بذَل.

ومن مؤلفات زين العابدين (راحة الأرواح بذكر الفتاح)، و(مشتبه النسبة)، و(مختصر المنهج) لقاضي زكريا وشرحه. (مطالع السعود ٣٦٦-٣٦٧)

(١) السيد ناصر ابن السيد أحمد ال شبانة (١٢٦٠ – ١٣٣١ هـ) (١٨٤٤-١٩١٢م) هو السيد ناصر بن السيد أحمد بن السيد عبدالصمد آل شبانة البحراني ينتهي نسبه إلى الإمام موسىٰ الكاظم«عليه السلام»

أحمد بن السيد عبدالصمد البحراني من آل أبي شبانة وينتهي نسبه إلى سليل الدوحة النبوية الإمام الكبير موسى ين جعفر«عليه السلام». وقد ولدِ في البحرين ثم سافر مع والده إلى مسقط ثم إلى بلاد العجم ثم جاء لزيارة الإمام الكرار علي«عليه السلام» وحَضر مجالس المحُقِّق الشيخ مرتضى الأنصاري ثم في طريق عودته مَرَّ على البصرة فَيسر الله لأهلها أن يقيم عندهم ليستفيدوا من فيض علمهِ وغزارة فهمه وكان المرحوم وقوراً وحاد الذكاء، وكان والي البصرة ورؤساؤها والوجهاء يجتمعون في دارة للاستشارة ومداولة الأمور ثم للاستفادة من عمله ووعظه.

وكانت له إجازة من العالم الكبير الشيخ مهدي بن الشيخ علي بن الشيخ جعفر النجفي صاحب – كشف الغطاء – ومن أهم مُصنَّفاته كتابه في التوحيد كما له منظومات في الأمانة وذكر بيعة الغدير كما له ديوان ضخم يحتوي على عِدّة آلاف من أبيات الشعر المسبوك القوي في مختلف الأغراض، لم ينجب ولداً في حياته بل أَنجبَ من الأَناث وقد تُوفِّي في سنة ١٣٣٢ هـ ١٩١٤م فكان حُزنُ البصرة عليه عظيماً وقد أرّخ الشيخ محمد حسين المظلوم عالم القُرنة هذه الوفاة بقوله:

ولَدِ في البحرين وأسرة آل شبانة من الأسر العلمية العريقة في البحرين، انتقل مع والده من البحرين إلى مسقط ثم إلى العراق لزيارة العتبات المقدسة وانحدرا في طريقهما إلى البصرة وقد شاءت المقادير لإقامة السيد ناصر حتى غدا زعيماً لأهلها، وله مواقف جريئة إذ يذكر فلاحاً فقيراً ضربه أكبر اقطاعي في البصرة وصدفه جاء هذا الثري لزيارة السيد فآنتفض السيد غاضباً واقتصّ منه لذلك الفقير فما كان من هذا الثري المحتال إلاّ أن يتعذر ويُقبّل يده. قال فيه السيد جعفر الحلي عدة قصائد وكان رحمة الله من طلائع الشعراء في عصره

ومن مؤلفاته كتاب التوحيد ورسالة في مقدمة الواجب ومنظومة في الإمامة ومراثي الإمام الحسين«عليه السلام»، تُوفي في البصرة ٢٢ رجب سنة ١٣٣١ هـ – ١٩١٢ م وليس له عقب ونُقل جثمانه الطاهر عبر الفرات إلى النجف الأشرف ودُفن في إحدى غرف الساباط في الصحن العلوي الشريف مع السيد محمد ال خليفة (أعلام الثقافة الإسلامية في البحرين خلال ١٤ قرناً، الجزء٢، ص٤٣٩ – ٤٤١، د. سالم النويدري، نشر مركز أوال للدراسات والتوثيق، سنة ٢٠١٥م) وينُظر: مشاهير المدفونين في الصحن العلوي الشريف، من إصدارات العتبة العلوية المقدسة، ط٢، سنة ٢٠١٠، ص ٤٤٨.

قلـــت آنصـــبوا علـــما يؤرخـــه الـــدين مـــات بمـــوت ناصـــره

وفي الحقيقة إنّ للتأريخ العلوي في البصـرة شـأناً وأي شـأن مـن يـوم استشـهاد البطلين الهاشميين عبد الله وأبي بكر مع أخيهما الحسـين يوم كربلاء.

وقصة هذين البطلين: إنهما أولاد الإمام الكـرار عـلي بـن أبي طالـب«عليه السلام» مـن زوجته البصـرية ليلىٰ بنت مسـعود النهشـلي[1] إحـدىٰ البصـريات الكـريمات وقـد تَزوَّجها الإمام بعد حرب الجمـل فأنَجبَـت هـذين البطلـين اللَّـذَين تركـا البصـرة وتوجها إلىٰ كربلاء للدفاع عن أخيهما الحسـين فكانا من شهداء يوم الطف.

ومن رجالات الفترة المظلمة المتأخرين في البصـرة صبري أفندي أمين صندوق[2]

---

(١) تَزَّوج الإمام علي«عليه السلام» من ليلىٰ بنت مسعود بن جابر مالك بن ربعي بن مسلم بن جندل بن نهشـل، واتخذ لها بيتاً في بني مازن وقد استقر«عليه السلام» في البصـرة ٧٢ يومـاً. وغـدا هـذا البيـت مشـهداً يؤمـه الزوار، إذ رآه الرحالة ناصـر خسـرو لمـا مـرَّ بالبصـرة في القـرن الخـامس الهجـري (سـفرنامه ص ١٦٥-١٦٦)، ترجمة: يحيىٰ الخشاب، ط٢، الهيئة المصـرية العامة للكتاب، سنة ١٩٩٣) وكانت لـيلىٰ النهشلية قد ولدت لأمير المؤمنين«عليه السلام» (أبا بكر وعبيد الله) وقد استشـهد أبـو بكـر وٱسـمه محمـد الأصغر مع أخيه الإمام الحسـين«عليه السلام» في كربلاء سنة ٦١ هـ، أمـا عبيـد الله فَقتُـل في أيـام حـروب مصعب بن الزبير والمختار بن أبي عبيد الثقفي وقبره بالمذار (كما في الطبقـات الكـبرىٰ: لابـن سـعد: ٣/ ١٩ و٥/ ١١٧ وأبي الفرج: مقاتل الطالبيين ص ٥٦ وص ٨٤، ولكن الشـيخ المفيد عدهُ خطأ مَنْ استشهد في كربلاء (الإرشاد ص ١٣١، ١٧٤)

وأما الشـيخ المجلسـي فقد عدَّهما شخصاً واحداً فقال «ثم تقدَّمت أخوة الحسـين عـازمين عـلىٰ أن يموتوا دونه فأول مَن خرج منهم أبو بكر بن علي«عليه السلام» واسمه عبيد الله وأمه ليلىٰ بنت مسعود بن خالـد بن ربعي التميمية»، (بحار الأنوار ٤٥/ ٣٦) وينظر: (أمير المؤمنين الإمام علي«عليه السلام» في رحاب البصـرة: د.جواد كاظم النصـر الله، شـركة الغدير للطباعة البصـرة، سنة ٢٠١٣، ص ٩٩-١٠٠)

(٢) كتب الأستاذ فخري حميد القصّاب مقالاً مطوّلاً عن (صبري أفندي صندوق أمين البصـرة) في مجلـة التراث الشعبي، العدد الخاص عن البصـرة، سـنة ١٩٨٩ والصـادرة عـن دار الشـؤون الثقافيـة في بغداد، ص ١٧٧ – ١٨٥ وجاء فيه: ((أنه ولَدِ في البصـرة سنة ١٨٧٢ ولـيس في بغـداد وتُـوفيَ عـام ١٩٦٣ وعمر ما يقارب ٩٠ سنة ودُفن في البصـرة فأبوه بصـري وأمـه بغداديـة وكـان بيتـه في محلـة التحسـينية قرب بناية المحكمة، ونشأ صبري محمد آل ملا سلمان نشأة دينة منذ طفولتـه وقـد حفـظ ←

البصـرة المولود في بغداد سنة ١٨٧٢ م والذي عُينَ في البصـرة وتَدرَّجَ في الوظـائف ونظراً لإخلاصه في العمل فقد أصبح أميناً لصـندوق منطقـة البصـرة التـي كانـت تضم كل من لوائي العمارة والناصـرية ومنطقة الكويت والإحساء. وكانت المطربـة حياة قد غَنَّت سنة ١٩١٢ م أغنية الأفندي والتي تقول فيها

الأفندي الأفندي عيوني الأفندي الله يخلي صبري صندوق أمين البصـرة

ولهذه الأغنية قصة حيث أن والي البصـرة يومئذٍ سـليمان شـفيق كـان بينـه وبـين المطربة حياة فتور بسبب حبّهـا لصـبري أفنـدي وعـدم اهتمامهـا بـالوالي عِلـماً بـأن للمرحوم صبري كان محُباً تقليدياً مجلسـياً للطرب فقط وليس لأعـمال الفحـش وفي بقجة – صبري – وهي الحديقة ومكانها اليوم تقام محـاكم البصـرة أي في البصـرة القديمة وفي ليلةٍ ساهرة للأُنس وفي اجتماعٍ طيب حضـرة جمعٌ من وجهـاء البصـرة غَنَّت المطربة هذه الأغنية التي زادت في اسـتياء الـوالي فـأمر بتطبيـق نظـام التجنيـد

القرآن الكريم في الكتاتيب ثم تلقىٰ علومه في المدرسة الرشدية في البصـرة..، وتخرّج فيها وعمره ١٤ سنة وكان من أذكىٰ أصحابه وأقرانه إذ كان ترتيبه الأولىٰ بين زملائه المُتخَرّجين وحصل علىٰ درجـة (علي أعلىٰ)... تم تعيينه مديراً لمال لواء البصـرة ثم إلىٰ وظيفة أرفع وهي (صـندوق أميني) فأصـبح راتبه تسع ليرات لذكائه ونشاطه في العمـل وتـدّرج في وظـائف عديـدة، انضـم إلىٰ حـزب الإتحـاد والترقي ثم استقال منه وانضمَّ إلىٰ حزب الإصلاح البصـري بزعامة السـيد طالـب النقيـب والـذي كان ينادي بالاستقلال، وواكَبَ احتلال البصـرة من قبل الإنكليز في الحرب العظمىٰ الأولىٰ واشترك مع القائد العثماني سليمان العسكري في تنظيم المجاهدين في معركة الشعبية ولكنه اختلف معه)).

ورفض العمل مع البريطانيين عند احتلال البصـرة... ولكن بعد قيام المملكة العراقية عُهـدت إليـه وظيفة قائمقام علي الغربي فَرَفَضَ وآثر الاعتزال نهائياً عن العمل، كان حسن الهندام وسـيم الطلعة فـارع القامة معتدلاً في حياته في طعامه وشـرابه وكان مساعداً للناس محبوباً من البصـريين، وهنا ملاحظـة تـرد علىٰ الأستاذ حامد البازي وهي ان اسم المغنية التي غنت (الأفندي) هي حسنية وليست حياة أو نجاة كـما ذكر البازي وربما كانت الأخيرة قد أدّت الأغنية بعد شهرتها وأن هذه الأغنية لم يكن سببها كما ذكر حامد البازي أن صبري أفندي دفع مبلغ البدل عن ابن المغنية بل الأمر لا يعدو كونه تغزل بهذا الرجل الوسـيم المُهذَّب وهو جزء من الفن الشعبي آنذاك.

الإجباري على ابن المطربة ولكن صبري أفندي دفع ٢٠ ليرة بدل الجندية وخَلَّص ابن المطربة مُتحدِّياً الوالي بذلك.

ثم وفي سنة ١٩٢٨ غنّى المطرب إسماعيل أفندي العراقي أغنية الأفندي مُسجِّلاً ذلك على – إسطوانة – بيضافون كبماني رقمها ١١٧١، والتي على وجهها الآخر أغنية رمانتين بفد إيد ما تنلزم. ثم وبعد الجميع غنَّت صدّيقة الملاية هذه الأغنية التي ظنّها الآخ الأستاذ عبد الحميد الكنين أنها الوحيدة التي غنَّتها وكان ذلك سنة ١٩٣٦. وتُوفي المرحوم صبري أفندي في آذار سنة ١٩٦٢ وكان عمره ٩٠ سنة تماماً.

ومن رجالات الفترة المظلمة المتأخرين الشيخ عبدالكريم السعدون[1] وهو ابن فهد باش السعدون أحد زعماء العرب في جنوب العراق زعماء العرب في جنوب العراق وكان قد دَخَلَ المدارس العثمانية وعمره ١٠ سنوات حيث أنه من مواليد سنة ١٨٧٩مـ –١٣٩٨ ثم دَخَلَ المدرسة الحربية العثمانية وتَخَرَّج سنة ١٨٩٨ – ١٣١٧ هـ فَقَرَّبه السلطان عبد الحميد وعَيَّنه ياوراً له في قصر يلدز وبَقيَ ١٠ سنوات أَنعَمَ عليه برتبة عقيد في أي سواري – سريّه الخَيّالة وذلك سنة ١٩٠٦ –١٣٢٥ هـ ولما رأي الأمور غير صالحة ترك السياسية والجيش وَرَجَعَ إلى العراق حتى كان الحكم الوطني فعُين سنة ١٩٢٧م عضواً في مجلس الأعيان العراقي وبَقي إلى سنة ١٩٣٤. وتُوفي سنة ١٩٤٧.

---

(١) عبدالكريم السعدون هو شقيق المغفور له عبدالمحسن السعدون رئيس وزراء العراق ولِدَ عبدالكريم في المنتفك سنة ١٢٩٨ هـ ونشأ في كنف والده فهد باشا علي السعدون، وقد أتم دراسته في المعاهد العثمانية ورحل إلى الاستانة ودخل المدرسة الحربية وتَخَرَّج منها سنة ١٣١٧ هـ فُعيِّن ياوراً للسلطان عبدالحميد في قصر يلدز وبَقيَ في هذا المنصب مدة عشر سنوات، كان خلالها موضع ثقة واعتماد السلطان وبعد ذلك تَركَ الجيش والسياسة وانصرف لإدارة أمواله، ثم عُيِّن عضواً في مجلس الأعيان العراقي سنة ١٩٢٧ م حتى سنة ١٩٣٤ م وبعد آنتهاء مدة عضويته في مجلس الأعيان سكن البصرة. (حاضر البصرة: عبدالمجيد الغزالي ص ٣٢٤-٣٢٥)

ومن رجالات البصرة العِظام في أواخر الفترة المُظلِمة السيد محمد شبر[1] بن

(١) السيد محمد شبر ونسبه ((يتصل نسبه الشريف إلى الإمام زين العابدين«عليه السلام» بسلسلةٍ ذهبية فهو محمد بن جعفر بن عبد الله بن محمد رضا بن محمد بن محسن بن أحمد بن محمد بن ناصر الدين بن شمس الدين محمد بن محمد بن نعيم الدين بن رجب بن الحسن الشُبّر (وإليه ينتمي كل شُبّري) أبي محمد بن أبي أحمد حمزة بن علي المُلقَّب ب(طلة) بن أبي عبدالله الحسين القُمي بن أبي الحسين بن علي بن عمر (شهيد (فخ) بن الحسن بن أبي الحسن علي الأصغر بن الإمام السجاد زين العابدين علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب«عليه السلام».

ولدَ في حدود سنة ١٢٧٢ هـ ببلدة أصبهان ولما جاوز الثالثة من عمره توفي أبوه فغادر في تلك السنة أصبهان مع أخيه الأصغر وصهره إلى الكاظمية حيث مقر أبيه وجدّه من قبل، وقد قرأ الفقيد على أبيه المبادئ من العلوم العربية والمقدمات ولما توفي أبوه حَلَّ هو في الكاظمية وحضر لدى بعض الفضلاء فأكمل دورة العلوم البيانية وشطراً من علم الأحوال ثم اتصلَ بجماعةٍ من علماء الدين كالشيخ محمد حسين الهمداني والشيخ اسماعيل السلماني والسيد هادي صدر الدين فقرأ عليهم الأصول والدرراية والفقه وارتحَلَ إلى النجف الأشرف فصرف شطراً من أيامه بالبحث والتحصيل والتأليف واتصل أخيراً بسيد العلماء والمجتهدين (الميرزا محمد حسن الشيرازي) في سامراء حيث تمم لديه سلسلة دروسه العالية وحاز منه الشهادة العالية (الإجازة)

سافر الفقيد يريد أبا شهر فَمرّ بالبصرة فاستقبله أشراف البصريين وذلك سنة ١٣٠٣ هـ واحتفلوا بقدومه وآلتمسوا منه البقاء في بلدهم والنزول بجوارهم فلم يجبهم أول وهلة إلى ذلك حتى كاتبوا الميرزا أعلى الله مقامه يُوسّطُونه في الأمر ويسألونه مكاتبة الفقيد بالبقاء فكتابه قدُس سره يؤكد عليه بذلك فحينئذٍ ألقى عصى السير وأقام عندهم بمحلة تعرف (يحيى بن زكريا) وبنى فيها مسجداً ومَجلِساً وفي السنة الخامسة بعد الثلثمائة والألف تَوجَّه مع طائفةٍ كبيرةٍ من أشراف البصريين لحج بيت الله الحرام.

مؤلفاته = كان الفقيد لايفتر عن الكتابة والتأليف وكان يقول:

مَن كان في جمع الدراهم مُولِعاً ... طول الحياة وهمه التصريف

فان الذي أولعت في جمع الطرو ... س وهمي التأليف والتصنيف

وله من مؤلفات مايربو على مئة والسبعين مؤلفاً في علومٍ شتى وفنون متنوعة ومنها (إكسير السعادات في أحكام العبادات في ٢٤ جزءاً جَمَعَ فيه ما شاء فأوعى من الأصول والفروع ومقتدى الأنام في شرح شرايع الإسلام في عِدة أجزاء و.....)) مجلة المرشد، مجلد ٣ جزء أول، ١٣٤٧ هـ الموافق ١٩٢٨، ص ١٥٣ -١٥٥

العَلاَّمة السيد جعفر بن العلاّمة الكبير السيد عبد الله شبر الكاظمي، ولدَ في الكاظمية سنة ١٢٧٠ هـ ونشأ بها وتَلقّى العلم على جماعةٍ من الأعلام منهم خاله والعلاّمة الشيخ محمد حسين الهمداني والمجتهد الشيخ إسماعيل السلماني ثم اتصلَ بالنجف فَدَرَسَ على جملةٍ علماء ثم سافر إلى سامراء واتصل بالمرجع الاكبر آية الله الميرزا محمد حسن الشيرازي وهو الذي اعتمد للسفر إلى البصرة وذلك لأن المرحوم الشبر كان قد مَرَّ بالبصرة سنة ١٣٦٠هـ في طريقة إلى الحج فَتَعلَّق به البصريون، وعند رجوعه من الحج آنهالت الرسائل على المرجع الكبير الشيرازي يطلبون منه أن يقيم المرحوم السيد محمد شبر في البصرة لينتهلوا من علمه، ولقد قَبل المرحوم العَلاّمة الطلب على أن يُقيم السيد محمد شبر في البصرة ولا يقطع صلته بالكاظمية فكان يقضي الشتاء في البصرة والصيف في الكاظمية. ولقد ولدَ ابنه العَلاّمة البار الفقيه السيد عباس شبر سنة ١٩٠٤ – ١٣٢٣ هـ في البصرة بعد استقراره بها إلى أن توفاّه الله سنة ١٩٢٨ – ١٣٤٦ هـ فَشيعَ من قبل البصرين بأَجَلِّ ما يُشيع به رجالُ العِلم والتّقى. وله مؤلفات كثيرة أشهرها إكسير السعادات في أحكام العبادات وهو موسوعة في الفقه، وكتاب مقتدى الأنام في شرائع الإسلام، وكتاب الأصول، وكتاب إيقاظ النائمين

ولقد جاء في الجزء الثاني في المجلد العاشر من كتاب منجم العمران في المستدرك على معجم العمران ص ١٣٣ الطبعة الأولى للسيد محمد أمين الخانجي المطبوع سنة ١٩٠٧ أن العثمانيين تملكّموا البصرة سنة ١٠٤٨ هـ أيام السلطان مراد الرابع[1] ثم

(١) ذكر الأستاذ عباس العزاوي في كتابه تأريخ العراق بين احتلالين ٤/ ٤٩/ حوادث سنة ٩٥٣ – ١٥٤٦ م البصرة تدخل في حوزة العثمانيين، أن حاكم البصرة راشد كان عام ٩٤٥هـ قد أظهرَ الطاعة وانقاد للأمر فأرسلَ ابنه إلى السلطان إلاّ أن مورخي الترك يقولون: إنه نقض العهد فورد الأمر السلطاني إلى والي بغداد بإعداد المعدات الحربية وما يقتضي من جيش لحربه فوجّه الولي عزمه نحوه خلال سنة ٩٥٣ هـ وساق الكتائب عليه بوجه السرعة ثم سار إلى البصرة ولما رأى أن حاكم ←

أخذها العرب سنة ١١٠٧ هـ يعني به شيخ المنتفك مانع ثم أخذها العجم ثم استرجعها العثمانيون ثم تَغلَّبَ عليها العجم ثانياً ثم استرجعها العثمانيون سنة ١١٩٣هـ ثم استولى عليها العجم الوهابيون سنة ١٢٣١ هـ ثم أخذها منهم إبراهيم باشا بن محمد علي باشا خديوي مصر وبقيت في يد المَصريين من سنة ١٢٤٢ هـ - ١٢٥٠ هـ ثم عادت للعثمانيين.

ثم قال عن البصرة الحديثة: كان إنشاء البصرة الحالية في القرن التاسع الهجري وهي من القِدم تشتهر بالتجارة بين أوربا والعراق والعَجم والهند وكانت بها معامل الديباج والأقمشة الحريرية.

ثم قال ومساحة البصرة ١٦٥٠٠ ميل مربع وسكنها ٢٠٠ ألف وأراضيها خصبة لا جبالَ ولا غاباتَ فيها وإنما بنت الدولة العثمانية في زمن رديف باشا سدوداً لدفع الفيضانات وكانت نفقات هذه السدود قد بَلَغَتْ مائة ألف جُنيه وبذلك استفادت أراضيها. ثم قال ينقسم لواء البصرة إلى أربع متصرفيات ٢٢ قضاء و١٥ ناحية أما بندرها فالبصرة، وأشهر مدنها المنتفك وقورنه وعمارة والقطيف والهفوف.

ونحن مع حسابنا للأستاذ الخانجي نقول بأنَّ البصرة دخلت تحت الحكم التركي سنة ٩٤٥ هـ وفي زمن راشد بن مغامس وليس سنة ١٠٤٨ هـ كما يقول لأنها في هذا التأريخ كانت تحت حكم آل أفرا سياب. كما وأن المِصريين لم يحتلوا البصرة فعلياً ولكن إبراهيم باشا محمد علي باشا خديوي مصر بعد انتصاره على الوهابيين أصبَحَ مسامتاً للبصرة بقواته كما يقول الدكتور عبد العزيز سليمان نوّار في ص ١٧٧ من كتابه (داود باشا والي بغداد) وذلك لأنَّ قواته التي فتحت البلاد الوهابية

البصرة أن لا قُدرة له على المقاومة رَكنَ إلى الفرار فدخل الوالي المدينة وقضى على حكومة راشد وسعى في تنظيمها وضبط إدارتها، وبذلك انقادت الأطراف وَدَخَلَ لواء واسط ونواحي الجزائر في حوزة الدولة وصار العراق بحذافيره للدولة العثمانية..

ووَصَلَتْ إلى قُرب أطراف العراق الجنوبية.

ولم يُعرَف عن الجيش المصري أنَّه ساعدَ أهل البصرة ودخلها الأمّرةً واحدة وذلك في زمن ثورة الزنج حيث أنَّ القائد المصري[1] -لولو- جاء معه جيش من المتطوعين المصريين والنظاميين بدعوة نصرة الخلافة العباسية، ويقال إن القائد لولو هو الذي قضى على الزّنج وقَتَلَ قائدهم علي بن محمد حتى قال فيه الشاعر:

كيفما شئتم فقولوا إنما النصر للولو

والحقيقة أن المنطقة الجنوبية من العراق وَقَعَتْ في زمن إبراهيم باشا تحت الحماية المصرية ولكن الجيش المصري لم يدم في مكوثه كما أنه ينزل البصرة لمدة ٨ سنين كما يدعّي الخانجي.

ويُحدِّثنا التأريخ بأن اليهود لعبوا دوراً كبيراً في عهد داود باشا والي بغداد وذكر فيليب حتيّ في ٢/ ٤٤٩ من تأريخ العرب بأن لليهود في بغداد مُستَعمَرَة – محلَّة مستقلة – كانت بدايتها منذ العهد العباسي. وكانوا يعيشون في بغداد والبصرة دون أن تحدث بينهم خلافات، وإذا ما كان عددهم في بغداد في مطلع القرن التاسع عشر ٢٥٠٠ أسرة مثل هذا العدد كان في البصرة أيضاً وهم يشتغلون بأحقر الأعمال التجارية والمصرفية كما كان بعضهم يشتغل بأحقر الأعمال وهم مع ذلك

---

(١) في سنة ٢٦٩ هـ ومن أجل القضاء على صاحب الزنج وصل البصرة صاعد بن مُخلّد كاتب الموفق قادماً من سامراء مع جيش قيل – والقول للطبري – أن عدد الفرسان والرجّالة. كان زهاء عشرة الأف كما وَرّدّ كتاب لؤلؤ صاحب ابن طولون من مصر يسأل الموفق الإذن له في القدوم إلى البصرة لمحاربة الزنج فأذن له بالقدوم فوافاه بعسكره في الثاني من محرّم سنة ٢٧٠هـ وبعد صولات وجولات بين المُوفَّق ومَن ((معه من جهةٍ وصاحب الزنج من جهةٍ أخرى رجحت كفة العباسيين وقُتل قائد الزنج وقال الطبري (وكان خروج صاحب الزنج في يوم لأربعٍ بقيت من شهر رمضان سنة ٢٥٥هـ وقُتل يوم السبت لليلتين خلتا من صفر سنة ٢٧٠هـ فكانت أيامه من لدن خرج إلى اليوم الذي قُتل فيه أربع عشر سنة وأربعة أشهر وستة أيام)) وينظر: تأريخ الطبري: ١١/ ٢٣-٢٤، ٤٧ -٥٣ ويُنظر: المُجمل في تأريخ البصرة: ص ١٩٧.

غشاشون نفعيون لا يؤمنون بالمبادئ ولا الوطنية والقيم الروحية ولقد أجاد بعضهم العربية والتركية والعبرية وكانت رسائلهم كلها رموز ولربما يتأمرون على شخصٍ من غير دينهم للإيقاع به إذا ما شاكسهم في أعمالهم أو اصطدمت مصالحهم به. وكانوا في البصرة مع كُلِّ فاتحٍ وكل أجنبي شأنهم في كُلّ بقاع العالم ومع ذلك فهم متلاعبون يثيرون الحكّام بالرشوة وبذل الأعراض والقيم المعنوية كما كانوا يثيرون الوكيل الإنكليزي في البصرة ويخدمون مصالح شركة الهند الشرقية البريطانية المعروفة بنزعتها الاستعمارية وحتى أنهم أعلنوا تَمَسُّكَهم بالحماية البريطانية مُتمسِّكين باحبولة الإضطهاد التركي المسلم لغير الأديان وهذا كذبٌ وبهتان.

وذكر المُقيم البريطاني – رج – في بغداد عند خروجه من العراق بأن هَمّ اليهود الوحيد الخروج بأموالهم من البلاد لتُعلِن خزينةُ الدولة إفلاسها وحتى تَعمُّ الفوضى والمجاعة، وعلى هذا التفكير الشرير حاسبهم الله فقد ذكر لونكرك في كتابه أربعة قرون من تأريخ العراق الحديث بأنّ أول إصابة بالطاعون ظهرت في بغداد كانت في الحي اليهود القذر وذلك سنة ١٨٣١م [1]. كما كانت جميع الإصابات في البصرة لا تُخطيء المَحلاّت والأحياء اليهودية أكثر من غيرهم بالرغم من ابتعادهم من محلاَّ ت الفقراء وعدم اختلاطهم بغيرهم من أبناء الأديان الأخرى.

ولقد أصَدر كوري –بريطانيا الشرق الأوسط وذلك سنة ١٩٥٦ حيث طُبع في

(١) ورد هذا النص في كتاب (أربعة قرون من تأريخ العراق الحديث) تأليف: المستر ستيفن هيمسلي لونكريك، ترجمة: جعفر الخياط، ولونكريك هو المفتش الإداري في الحكومة العراقية سابقاً، وقد أَلَّف الكتاب سنة ١٩٢٥، والمُترجِم هو مدير التعليم المهني العام سنة ١٩٤١، انتشارات المكتبة الحيدرية وهي نسخة أوفسيت على الطبعة القديمة، ص ٣١٩ ((وكان أول حدوث في الإصابات في البيوت القذرة من محلاّت اليهود في بغداد وفي أوائل نيسان حاول الكثيرون الفرار من المدينة ولكن إلى أين فقد استولت القبائل على الطرق كافة وكانت السُّفن النهرية قليلة ومُكتظَّة وقد تَسرب الطاعون إليها، وقد بلغت الإصابات أشدها منذ اليوم الرابع من نسيان فبات الناس يموتون بمعدل مائة وخمسين في اليوم الواحد)).

لندن وقد جاء في ص ٨٤ منه ما يلي: إنّ اليهودي في الشرق الأوسط لا وطَنَ له وأن هذا الشعور بعدم الاستقرار يدفعه إلى أن يعمل لنفسه ولبني جلدته دونَ أهل البلاد وأن الخيانة عند ليست السلطان أو الملك ورئيس الدولة الشرقية أو الجار المُسلم وإنما الخيانة هي تلك التي تكون مُوجهَّة لإسرائيل فهم يتَطلَّعون إلى أرض الميعاد ولكنهم كانوا في العهد العثماني أضعف من أي يرفعوا سلاحاً في وجه الدولة ولكن الفرد منهم عندما يموت ويريدون أن يضعوه في قبره يعملون له تزكية ثواب معترفين له بأنه – في كل عمره ما نصح مسلماً ولا كسر سبته.

في ٢ آب سنة ١٧٦٥ م وَصَلَ البصرة الرحّالة نيبور حيث دخلت السفينة التي كانت تقلُّه مياه شط العرب فاستهونته مناظر النخيل ثم نزل الشاطئ وتَسمَّى باسم عبد الله مرتدياً الملابس العربية وأخذ يكتب عن البصرة فأحصى خلال تجواله ما يُقارب إثنين وتسعين قرية أثبتها في خارطته التي رسمها للبصرة وذكر خمسةً وعشرين صنفاً من أصناف التمور كما ذكر ثلاثاً وسبعين مَحلَّة من مَحلاَّتها مع ذكر أسماء بعض رجالات المحَلاّت في مقدمتهم المختارون والقولچية.

وفي العهد العثماني كان لكل مَحلَّة ثلاثة رجال يديرونها وهم الواسطة بين الحكومة والأهالي، أما هؤلاء الثلاثة فهم الإمام والمختار الأول والمختار والثاني أو ما يُسمّى وكيل المختار.

لمّا ضعفت الحكومة استَخدَمَ هؤلاء الثلاثة رجلاء رابعاً ليساعدهم سمَّوه – قولچي – حسب الاصطلاح العامّي و– قروچي – بحسب المفهوم الرسمي في اللغة التركية والكلمة مأخوذة من قروچي – أي الحارس والتي تحرَّفت عند الناس فكان اسم القلوچي هو المشهور لأنّه هو الذي يدير أمورهم مباشرة ثم يُقدِّم تقريره إلى الرجال الثلاثة الذين كان عليهم الختم فقط بينما تكون للقلوچي السلطة والصلاحيات للإتصال حتى لم يعد أحد من الأهالي يعرف غيره بالمسؤولية.

من الأسر البصرية الحاضرة التي كانت تسكن أولاً في مقاطعة الجبايش وهي

من عشيرة بني أسد – أسرة آل الحجّاج[1] – وهي أسرة عربية عريقة وكان جد الأسرة الحاج يوسف الحجّاج وقد ترك العشيرة مُتَّجهاً إلى البصرة للإشغال في التجارة وقد ذكر نيبور في رحلته بأن أصل أكابر أهل البصرة وهي العشائر وضواحي المدينة. وكانت أسرة الحِجّاج قد سَكَنَت البصرة منذ سنة ١١١٠هـ أي قبل أكثر من ٢٧٥ سنة وقد نزلوا منطقة كوت الحِجّاج وأصبحت هذه المنطقة منذ ذلك اليوم منطقة عربية إسلامية. ومن أشهر رجالات الأسرة الحاج أمان الحَجّاج المولود سنة ١٨٧٥ – ١٢٩٤هـ والذي منحته الحكومة العثمانية وسام وفرمان سلطاني وكان قد انتُخب في المجلس البلدي في عهد الوطني وذلك لما عُرِفَ عنه من إخلاص وغِيرة ووطنية وأَخلاق طيبة فهو مع دماثة أخلاقه حَسَنُ المُعاشرة مع رحمةٍ وعطف على الفقراء.

ولقد خَلَّفَ رحمه الله سبعة أولاد أكبرهم إبراهيم وإسماعيل وفاخر وباقر ومكي وعبد الرزاق وتوفيق، ولقد تُوفِيَ سنة ١٩٥٥ فكان لنعيه أَسىً شديد ليس في نفوس البصريين فقط بل في نفوس أبناء العراق الذين عَرفوا في الفقيد إباء النفس وطيب الأرومة وكَرمَ الخُلق.

(١) وكان جدهم الأعلى اسمه (عنيس) وقد هاجر جد هذه الأسرة الثاني وهو الحاج يوسف سنة ١١١٠ هـ – ١٦٩٠م إلى البصرة حيث اشتغل بالتجارة والزراعة ونهج أولاده نهجه، وكان عميد أسرتهم المرحوم صالح الحجّاج المشهود له بالوفاء والكرم والشهامة وبالنظر لما أدّاه من الخدمات منحته الدولة العثمانية وسام (فرمان سلطاني) وتُعد هذه الأسرة من الأُسر المعروفة ويزيد عددها على ٢٢٥ فرداً وكانوا يقطنون مَحلَّة كوت الحِجّاج نسبةً لأسرتهم في البصرة. (ينظر كتاب تراث البصرة الجزء الأول والثاني: عبد الله رمضان آل عيادة، ص ٢٤)

الفصل الخامس

أربعة قرون من تأريخ البصرة المتأخر(١)

* أول انتصار بصري مُنظَّم لقضية فلسطين.
* جريدة الزوراء كانت تُوزَّع إجبارياً على الناس.
* ماذا تعرف عن المنديل والمظفر والديوان وكشيشيان؟
* قبائل كعب والكنعان العرب في أرض عربستان.
* ماذا رأى صاحب نزهة الجليس من أعاجيب البصرة؟
* البصريون الذين تظاهروا لنصرة عروبة القُدس الشريف.
* المواصلات والقطار والسيارات والطيّارة في خدمة البصرة.
* صفحات من جريدة الرقيب البغدادية والإيقاظ العربية قبل ٦٠ سنة.

نُشر في لندن يوم ١ تشرين الثاني سنة ١٩١٧ بأن وزير خارجية بريطانية اللورد بلفور أَصدرَ وعداً لليهود بشكل كتابٍ وجَّهه إلى المثري اليهودي روتشيلد هذا نصّه:

(عزيزي... يسرني جداً أن أبلغكم نيابةً عن حكومة الملك أنها تنظر بعين الرضا والارتياح إلى المشروع الذي يُراد به أن يُنشأ في فلسطين وطن قومي لشعب اليهود، وتفرغ خير مساعيها لإدراك الغرض... وليكن معلوماً بأنه لا يُسمَح بإجراء شيء يُلحق الضرر بالحقوق المدنية والدينية التي للطوائف غير اليهودية الموجودة في فلسطين الآن أو بالحقوق التي يَتمتَّع بها اليهود في البلدان الأُخرى ومركزهم

(١) بحث منشور في مجلة التاجر (تصدر عن غرفة تجارة البصرة)، العدد ١٩ ـ ٢٠ حزيران تموز، سنة ١٩٦٩، وهذا البحث في عنوانه يشبه عنوان كتاب لونكريك أربعة قرون من تأريخ العراق.

السياسي.)

هكذا فعل الإنكليز بينما كان العرب يحاربون إلى جانبهم ضد العثمانيين وهكذا العهد والشرف الإنكليزي، وكان الإنكليز قد تسلّموا مائة مليون جُنيه قرض النصر اكتتبوه سنة ١٩١٦ وجمعه لهم اليهود. كما وأن الإنكليز كانوا يريدون وجود كتلة يهودية بجوار قناة السويس تخدم مصلحة الإنكليز وحلفائهم وتقف حجر عثرة أمام أي وحدة أو تقارب بين أبناء الشعب العربي الواحد.

ومن ذلك اليوم و الأمة العربية تلاقي الويلات من ذلك الوعد المشؤوم الذي أَطلقه رجلٌ ليس له أي حق في أن يمنح أرضاً ليست هي بلا شعب بل هي بلد شعب عريق قَرَّر أن يمحو وعد بلفور بالدم.

في ٨ شباط سنة ١٩٢٨م زار العراق الفرد موند[1] زعيم الحركة الصهيونية وأحد كبار رجالات المال في بريطانيا، وكانت معه حاشية وهي مؤلَّفة من زوجته وابنته – ايرليا – والسير كمبل وعقيلته والبارون جورج منشن وشقيقته وسكرتير موند المُسمى مستر نعمان.

ولمّا علم الشعب العراقي بقدومه إلى بغداد قامت مظاهرات صاخبة. بعد أن كان الشعب قد اجتمع في نادي التضامن ببغداد والذي كان رئيسه الأستاذ يوسف زينل ثم خرجت جماهير بغداد تحمل شعاراتها ولافتاتها حيث كان القسم منها مكتوب بالدم وهي تنطق القُدس أو الموت. ومن الشعارات (يسقط وعد بلفور وأرواحنا فداء لفلسطين وتسقط الصهيونية)، (وعد بالفور كُتِبَ بالمداد ونمحوه بالدم.)

---

(١) عند زيارة إلفرد موندAfrred Monde الصهيوني المعروف العراق عام ١٩٢٨ خرج طلبة العراق ومنهم طلاب الثانويات في تظاهرة ضد هذه الزيارة إذ اجتمع طلاب ثانوية البصرة بالقرب من بناية المدرسة في العشار وانظم إليهم طلاب مدرسة السيف والتهذيب والعشار، وخرجت المظاهرة تطوف شوارع المدينة تتصدّرها لافتة كبيرة كتب عليها إننا فداء فلسطين (ينظر: كتاب دراسات وثائقية في تأريخ العراق المعاصر: د. سامي عبد الحافظ القيسي، ص ٤٥)

ولقد وصفت جريدة العالم العربي الصادرة في ١٠ سباط سنة ١٩٢٨، كما وصفت جريدة العراق الصادرة في ٩ شباط سنة ١٩٢٨، وجريدة السياسة الأسبوعية الصادرة في ١١ شباط فاجتمعت تلك الصحف على أنها أعظم مظاهرة شاهدتها بغداد. ولقد قطع المتظاهرون الطريق على موند حيث احتلّوا جسر الخُر بعد أن اشتبكوا مع الشرطة في معركةٍ دامية وبقوا يترقّبون قدوم المجرم، ولكن الحكومة العراقية في ذلك الوقت كانت قد احتاطت للأمر فأرسلت مدير الشرطة حسام الدين جمعة وقوات كبيرة من الشرطة إلى نقطة أبي منيصير ثم عن طريق الكاظمية والأعظمية أوصلته إلى دار الاعتماد البريطانية، بينما نزلت حاشيته الباقية في دار اليهودي العراقي الصهيوني البارز خضوري الذي كان يجمع الثروة من العراق لينفقها على الحركة الصهيونية وقد عاش طيلة حياته في لندن.

وقامت حكومة العراق يومئذ باضطهاد الأحرار وخاصة المعلمين والطلبة وكَبَسَتْ نادي التضامن وأبعدت رئيسه يوسف زينل إلى البصرة وهدَّدت مدراء المدارس بالفصل، ثم أوقفت عدداً كبيراً من الطلاّب وطردت بعضهم طرداً مؤبداً فكان من المطرودين صالح عبد الوهاب ومزاحم ماهر وعبد الحميد الخالدي وسعيد عباس وعبد الوهاب الخطيب ومحمود حمودي وحسن مرهون وعبد الرزاق قاسم وإسماعيل علي وعزيز علي وعبد الحافظ إبراهيم وعبد القادر إسماعيل وحسين جميل وأحمد قاسم راجي وعزيز شريف وسعيد عبد الإله وأدهم مشتاق وعبد اللطيف محيي الدين.

كما طردت طرداً مؤقتاً عشرينَ طالباً، منهم وديع فتح الله وعبد العزيز علي الخليل وعبد الهادي عبد الخالق، ثم اجتمعت محكمة جزاء بغداد وَقرَّرت الحبس على كل من عاصم فليح وحسن علي وعنايت الله محمود وكمال الدين عبد المحسن وعلي أمين وجاسم علي ومحمود رؤوف. وكذلك حَكمت بخمس جلدات على كُلٍّ من سعيد فتاح ويوسف داود وخالد سعيد. والذي زاد الطين بِلَّةً أن الملك فيصل أقام

مأدوبة إلى موند وحاشيته حضرها لفيف من يهود العراق وخاصة من البصرة مما أثار الروح الوطنية والقومية في الشباب العراقي، فراح أكثرهم يقاطع الدراسة وقامت المظاهرات والاجتماعات مما أَقلقَ بال الاستعمار فراحت جريدة التايمس البغدادية في عددها الصادر في ١٩ و٢٠ شباط تَتَعرَّض للطلبة وتصفهم بالهمجية وراحت تنشر جُملاً وردت في تقارير الشرطة مما جَعَلَ جريدة العراق ترد على التايمس وهي تسأل من أين للتايمس هذه التقارير التي تُعتَبر سريّة؟ ثم قالت العراق (جريدة العراق). إن الاستعمار هو الوحش الهمجي ومعه صهيونيته. ثم توتر الوضع في العراق حتى تعّرضت الوزارة البريطانية للنقد حتى أن النائب البريطاني الكومندر كنورزي قال: إنّ الحكومة البريطانية تَتَحمَّل مسؤولية الشدة التي استُعمِلت ضد المعلمين والطلبة في العراق. ولّما جاءت الشرطة لتخرج المفصولين من الأقسام الداخلية أَعلنَ الطلاّب الباقون الإضراب وأعلنوا الإضراب عن الطعام واعتصموا بالمدارس كما أَبرَقَ الطلاب في جامعة عالية بلبنان يَحتَجُّون على هذه التصرفات، كذلك سارت مظاهرة في دمشق قادها الأستاذ عِزّت دروزة. كما احتَجَّت الأحزاب العراقية وأَصدَرَ كُلٌّ من المرحومين جعفر أبو التمن وياسين الهاشمي بيانات ضد الحكومة.

ثم أُثيرت القضية في المجلس النيابي العراقي فقال النائب رشيد عالي الكيلاني: بأننا بعد هذه الحوادث أصبحنا مهازل أمام العالم. وقال ياسين الهاشمي: إنّ الأمة بأجمعها اتفقت على استهجان هذه الأساليب البربرية. وقال محمود صبحي الدفتري: إنَّ هذه الأساليب كانت تنطبق على العهد التركي السابق وقبل الدستور لا بلد فيه دستور ومجلس أمة.

وكانت جريدة النهضة قد كَتَبَتْ في عددها الصادر في ١٧ شباط سنة ١٩٢٨ بأنَّ قيام الشواذ من اليهود في بغداد باستقبال موند كزعيم صهيوني جعلنا نُبدل وجهةَ نظرنا نحو هؤلاء الذين يدّعون أنهم من أبناء هذا الوطن العربي لا ندري كيف أن

الحكومة بعد ذلك تلوم الطلبة لأنهم أظهروا شعورهم. ولما عَلِمَ الطلاب بأنّ في نِيَّة الحكومة تقديم جريدة النهضة للمحاكم أعلنوا الإضراب مما جَعَلَ الحكومة تُلغي القرار.

أما في البصرة حيث تشهد هذه المدينة العربية ولأول مرة مظاهرة مُنَظَّمة فإن الطلاب اجتمعوا قرب المدرسة الثانوية بالسيف ثم إلتحقَ بهم طلاب مدرسة السيف والتهذيب والعشار وخرجت المُظاهرة تحمل لافتة كبيرة إننا فِداء لفلسطين. وكان من أشهر المعلمين الذين اشتركوا في هذه المظاهرة البصرية عبد الواحد العطّار وعبد الوهاب الشريدة وعبد القادر عبد الله وجواد العطار ونعمت رفعت وعبد العزيز قاسم.

أما على رأس الطلاب فكان الطالب محمود النقيب[1] – المحامي محمود النقيب حالياً – وحسين النعمة وصالح الزهير وعبد المجيد الأنصاري وجلال النقيب وعبد العزيز الإمام وعدنان النقيب وفيليب عبد الأحد.

ثم أخذ الطلاب في البصرة يكتبون النشرات بأيديهم ويُلصقونها على الحيطان ويُوزِّعونَها على الناس. ولقد قاطع الوطنيون جريدة العالم العربي حيث وقفت ضد الطلاب وأخذ الطلاب يجمعونها في البصرة ثم يُمزِّقونَها ويسحقونها بأحذيتهم، ثم أخذوا يلصقون الإعلانات الكبيرة في كُلِّ مكان لمقاطعة جريدة العمالة، مما آثار الإنكليز فطلبوا من متصرف البصرة علي جودت الأيوبي أن يعتقل الطلاّب ولكنه

(١) خرج طلبة ثانوية البصرة بتظاهرةٍ كبيرة بسبب زيارة الفرد موند وكان على رأس الطلبة المتظاهرين محمود النقيب وحسين النعمة وصالح الزهير وعبد المجيد الأنصاري وجلال النقيب وعبد العزيز الإمام وفيليب عبد الأحد وعدنان النقيب وأثار عملهم في التظاهر ونشر اللافتات حفيظة السلطات البريطانية في دار القنصلية فطلبوا من متصرف البصرة علي جودت الأيوبي اعتقال الطلبة المسؤولين إلاّ أنه تباطأ واعتذر وقدَّم استقالته (عن هذا الموضوع يراجع: دراسات وثائقية في تأريخ العراق المعاصر: . د. سامي القيسي، ص ٤٥ ـ ٤٦.)

رفض ذلك وقَدَّم استقالته.

وبقيت الحالة مُتوتِّرة في البصرة، حيث حُرِمَ العدد الكبير من الطلاب من الدراسة، حتى جاء وقت الامتحان وجاء المفتش الإنكليزي سمردين ليشرف بنفسه على الامتحانات وأَعلَنَ بتشديد وصعوبة الأسئلة، ولكن مُعلمي البصرة رفضوا الإنصياع لطلبه واستهانوا به مما جَعَلهَ يرجع إلى بغداد غاضباً.

وعند آنتهاء العطلة وافتتاح المدارس، قاطع طلاب البصرة الدراسة فكان أن تعلن الحكومة العراقية إلغاء أوامرها السابقة ضد الطلاب حتى إذا ما جاء الملك فيصل إلى البصرة في ١٣ كانون الأول سنة ١٩٢٨ واجتمع مع العدد الكبير من أولياء أمور الطلاب أعلن وقوفه إلى جانب الطُلاَّب وأنه سيكون المسؤول عمّا يصيبهم. وكان مفتش الشرطة كارنل ساركن يريد جلد الطلاب المتظاهرين وكذلك أراد أن يستعمل المياه الحارَّة ضد الطلاب ولكن متصرف البصرة رَفَضَ ذلك.

أما يهود البصرة الذين ذهبوا إلى بغداد لاستقبال موند فقد عرفنا قسماً منهم وهم ألبير كوهين وشفيق عدس ونسيم يوسف كوهين ويوسف عبيد وصيون كباي وعبودي عزرة وهارون شمعون ويعقوب عبيدة وسلمان دانيال وسلمان صيون سوفير وخضوري سلمان درويش وسلمان إلياهو إبراهيم وإلياهو داود بيخور وهارون صايغ عاني وإلياس دودي وگرجي جيتايات وإلياهو يعقوب فَتّال وعبد النبي مير معلم.

وكانت تصدر في البصرة ثلاث صحف هي الإقتصاد لصاحبها بديع شوكت، والثقافة وصاحبها عبد الجليل برتو، والنشيء الجديد وصاحبها عبد الرزاق الناصري، ولكن ولا واحدة من هذه الصحف وَقَفَتْ إلى جانب الطلاب أو أشارت إلى حوادث البصرة.

وبهذه المناسبة نقول إنَّ من بين شخصيات البصرة الذين (التي وقفت) وقفوا إلى

جانب الطلاب عبد اللطيف باشا المنديل وعبد الكريم الديوان والشيخ عبد المهدي المظفّر.

أما عبد اللطيف باشا المنديل فقد ولِدَ في الزبير سنة ١٨٦٦ ـ ١٣٨٥هـ وكان قد تَعلَّم على أيدي أساتذة خصوصيين ثم اشتغل بالتجارة كما كان يساهم في الأمور السياسية حيث كان يحمل روحاً عربية. ولقد وسَّطَته الحكومة العثمانية في نزاعها مع ابن سعود فقام بمهمتهِ خيرَ قيام مما جعل الحكومة التركية تنعم عليه بالباشوية. وكذلك في العهد الوطني تَمكَّن من تقريب النظر بين الحكومتين العراقية والسعودية فنالَ بذلك رضا الجميع.

ولقد أصبح وزيراً للأوقاف في الوزارة السعدونية. كما كان وزيراً للتجارة في وزارتي النقيب الأولى والثانية. ومن أهم أعماله الخيرية مساهمته في بناء مستشفى البصرة الجمهوري والذي كان يُسمّى مستشفى تذكار مود. كما ساهَمَ في بناء مخافر النشوة والروطة والصريفة ومركز شرطة القرنة وإعدادية البصرة للبنين وثانوية البنات في البصرة ومدرسة الهارثة. وتَبرَّع بأرضٍ لبناء محاكم واشترى ماكنة كهرباء لبلدية القرنة وخَصَّصَ مساعدةً سنوية لمدرسة النجاة الأهلية في الزبير. وكان من أعضاء المجلس التأسيسي في العراق ونائباً في مجلس النواب العراقي سبع مرات ثم عيناً في مجلس الأعيان.

عاش رحمه الله ٧٣ سنة قضّاها في أعمال الخير وتوُفِّيَ في تأريخ ٢ كانون الأول سنة ١٩٤٠، فكان أن يمشي في تشييع جثمانه ممثلون عن ملك العراق وملك السعودية. ولقد ترك ثلاثة أولاد هم أصدقاؤنا ماجد ومالك ومسعود كما ترك (بنتين).

أما عبد الكريم الديوان فهو عبد الكريم بن ديوان بن نجم بن سلطان بن سحاب من بيت عبد السيد من شملة من ربيعة الساكنين منطقة الكوت. سكنوا البصرة قبل أكثر من ١٣٠ سنة وحلّوا في منطقة الخندق وقد ولِدَ المرحوم عبد الكريم في

البصـرة، وقد اشتغل في عِدة أمور منها التجارة. وانتمىٰ إلىٰ حزب النهضة وانتُخِـبَ عن العمارة وكان من المخالفين لمعاهدة سنة ١٩٣٠ باعتبارها جائرة. خَلَّف الأخـوة ياسـين وتوفيق وأحمد كما خَلَّفَ بنتاً واحدة. وكان يعطف عـلىٰ الفقـراء حيـث كـان يعطي التحاويل علىٰ أحد البقّالين المُسمّىٰ الحاج سـبهان، لتزويـد المحتـاجين بـالمؤن علىٰ حسابه الخاص. ومن أعماله بناء مسجد الجُبيلة ومسجد النبي يـونس في الكوفـة كما كانت ديوانيته التي بناها سنة ١٩٢٥ تضم مختلف الناس كما كانت حسـينيته محلّاً للاجتماع وكانت وصيّته أن تُقسَّم تركته علىٰ أرحامه وعلىٰ طلبة العلم وقد تَوفّـاه الله سنة ١٩٣١.

أما الشـيخ عبد المهدي المُظفَّر[1]،فكانت ولادته في النجف حوالي سـنة ١٢٩٦هـ

---

(١) هو الشـيخ عبد المهدي بن الشـيخ إبراهيم بن الشـيخ نعمة بن جعفر بن عبد الله بن عبد الحسـين بن المظفر الصيمري النجفي. تضـاربت الأقـوال في محل ولادتـه فبعضـهم قـال إنّـه ولِـدَ في النجـف الأشـرف عام ١٢٩٦هـ وآخر قال: إنّه ولِدَ في ناحية المدينة في قضـاء القرنـة في البصـرة وقـد أكـد حفيده القول الثاني. تَدَرَّج في الدراسات الحوزوية حتىٰ وصل درجة الاجتهاد، كـان رحمـه الله أحـد قادة ثورة العشـرين في البصـرة وقد اشترك في حملة الجهاد ومقاومة الإنكليز عند احتلالهم البصـرة معاوناً لقائد الحملة العلاّمة المجاهد السـيد محمـد سـعيد الحبـوبي سـنة ١٩١٤ وخاصـة في معركـة الشعيبة المشهورة. والتي لم يُفلح المجاهدون فيها، فَقَبَضتْ عليه قـوات الاحـتلال وقـرّرت نفيـه إلىٰ الهند مع جمهورٍ من الثوار والشخصيات الوطنية لكن أمير عربسـتان الشـيخ خزعـل توسـط لـدىٰ الحاكم العسكري الإنكليزي (برسـي كوكس) وحال دون نفيه وكفله وأبقاه مُقيماً في قصـر الكماليـة بقصبة (الفيلية) أكثر من ثلاثة أشهر ثم عاد إلىٰ العراق، له من المؤلفات:

أ. إرشاد الأمة إلىٰ التمسك بالأئمة«عليهم السلام» وهو مطبوع سنة ١٣٤٨هـ.

ب. السـياسة الدينية لدفع الشبهات عن المظاهرات الحسـينية.

ج. المسائل البصـرية.

أسس الشـيخ عبد المهدي المظفر (جامع المظفر) الواقـع في مركـز محافظـة البصـرة قـرب سـاحة أم البروم. وكانت بجواره مقبرة قديمة كانت يَدفِنُ فيها أهلُ العشار موتاهم وبعد زوال المقبرة ضم القسـم المتبقي منها إلىٰ الجامع فصارت مساحته ٣٢٠٠متر بعد أن كانت ٤٠٠متر.

له من الأولاد العلماء:

←

وكان والده الشيخ إبراهيم المظفّر قد أَحسَنَ تربيته وهو ينتمي إلى بني علي فخذ من عشيرة حرب الحجازية. وكان جد الأسرة الشيخ المظفر قد دخَلَ العراق قبل خمسة قرون فكان تأريخ الأسرة مملوءاً بالمفاخر والعلم. وقد سكن والده البصرة حيث كان الشيخ عبد المهدي يَدرسُ في النجف الأشرف على أيدي الأعلام أمثال الشيخ علي الجواهري والسيد محمد كاظم الطباطبائي والشيخ محمد طه نجم. وقد أمره والده في رمضان سنة ١٣٣٢ هـ ١٩١٣م بأن يبقى في البصرة وصادفت الحرب العظمى الأولى واحتلال الإنكليز للبصرة فكان الشيخ من الداعين إلى الجهاد ضد الغزو الإنكليزي الاستعماري. ومن أعماله الوطنية اتصاله بالمجاهدين في الشعيبة ومَدّهم بالمؤن والسلاح، وكان عملاء الاستعمار يراقبونه فبعد أن تمَّ للإنكليز احتلال البصرة حَرَّضوا السلطة ضده فَقُبِضَ عليه بينما كان هو في داره على الدفتر ومعه جماعة، وقد أمر الإنكليز بنفيه إلى الهند إلاّ إنَّ تدخل شيخ المحمّرة المرحوم خزعل حال دون نفيه، وقد اشترط الإنكليز أن يبقى الشيخ في الفيلية عند أمير المُحمَّرة. ثم بعد عِدة أشهر رجع إلى البصرة بكفالة الشيخ خزعل وعلى أن لا يقاوم الإنكليز ولكن المرحوم عبد المهدي المظفر في هذه المَرّة عَرَفَ كيف يعمل في السرية ويعلن الإرشاد الديني، وكان كتابه (إرشاد) من الكتب النفيسة كما كانت له عِدة كتب خطّية تبحث في أصول المعقول والمنقول والفلسفة الإسلامية وعلم الكلام. تُوفِّيَ رحمهُ الله في ٨ تشرين الثاني سنة ١٩٤٤ وقد شيع جثمانه تشييعاً كبيراً كما استُقبِل في النجف من قبل كبار العلماء ورجالات البلد.

---

١. محمد حسن المظفر تُوفِّيَ سنة ١٣٨٨هـ.

٢. محمد علي المظفر.

٣. محمد رشاد المظفر المولود سنة ١٩٣٣ الذي فقد بصره وهو في سن الأربعين.

تُوفِّيَ الشيخ عبد المهدي المظفر في الحادي والعشرين من ذي القعدة سنة ١٣٦٣هـ في منطقة العشار. (ينظر: أعلام آل المظفر في البصرة: مركز تراث البصرة، سنة ٢٠١٦ ص٤٣ ـ ٥٧)

وفي ٣ نيسان سنة ١٩١٨ حَدَثَ فيضان في شط العرب سببه فيضان دجلة والفرات، وقد أَتلف المزروعات وكانت الحكومة الإنكليزية قد أَسّسَت بعضَ معسكراتها على ضفاف الشط فغرقت هذه المعسكرات ولم يتمكّنَ الإنكليز من نقل ما في مخازن المعسكرات من صناديق ثقيلة ومحركات، وفي ٧ نيسان سنة ١٩٢٣ طغى شط العرب بسبب زيادة نهر كارون وقد اكتسحت مياه كارون بعض مناطق مدينة المُحمَّرة وكان أمير عربستان المرحوم خزعل قد أمر بإعطاء المساعدات للمتضررين.

وفي نيسان سنة ١٩٢٦ طغى دجلة وحدثت عدة كسرات في السدود التي كانت تحمي الأراضي التي على جانبيه حتى تَعطَّلت المواصلات. كما طغى الفرات في ٣٠ نيسان سنة ١٩٢٨ حتى سمّاه الشعراء بثورة الفرات وقد تَأثَّرت السكة الحديدية التي تربط بغداد بالبصرة (تَوقَّف) القطار عن السير سبع سفرات وكان شط العرب قد تأثرّ بتلك الزيادة.

وفي ١٥ نيسان سنة ١٩٣٥ طغى الفرات فَدمَّر ما حواليه وحدثت كسرات في مناطق الرمادي والحلة والديوانية والسماوة والناصرية وقُدِّرت الأضرار بربع مليون دينار. وفي نيسان سنة ١٩٤٠ ارتفعت مناسيب دجلة والفرات مما سَبَّبت زيادة مياه شط العرب وفرضت على الموظفين مساعدة قدرها أربعة بالمائة من الراتب الإسمي. وفي نيسان سنة ١٩٦٣ قيل: إنَّ حوالي ٢٥ ألف شخص أصبحوا بدون مأوى وهذا الحدث تَجدَّدَ في منطقة البصرة ففي ١٦ مايس من سنة ١٩٦٩، حيث حدثت الزيادة في دجلة والفرات وكارون مرةً واحدة فكانت البصرة أكثر تضرراً من أية مدينة أخرى. أما ما قيل عن تضرر مدينة العمارة فكان من جرّاء فيضانات سنة ١٩١٢ حتى إنّ العوام أَرّخوا حوادثهم هناك به فقيل من سنة دخول الماء الأُوردي. وبهذه المناسبة نقول إنّ مدينة العمارة كانت تسمّي المنطقة التي أُنشِئَت فيها بمنطقة الأُوردي.

وكانت هذه المنطقة قد تَعرَّضَت للغرق سنة ١٨٩٩ أيضاً، حيث كان شيخ البو محمد قد وجّه الماء على هذه المنطقة ليغرقها بسبب ثورته ضد الأتراك الذين كانوا يعسكرون بالمنطقة. والأُوردي بالتركية معناه المعسكر وسبب تسميته أنّ والي بغداد مصطفى نوري باشا جَرَّدَ حملته ضد البو محمد[1]، سنة ١٨٦٠ حيث كانوا مُتجمِّعين في محل اتصال نهر الكحلاء بدجلة وقد تحصّنوا به وقد دام الاصطدام مدةً طويلة ثم

(١) جاء في كتاب تأريخ العراق بين احتلالين ٧/ ١٢٨ ـ١٢٩ ((تولى مصطفى نوري باشا ولاية بغداد في غُرَّة ربيع الأول سنة ١٢٧٦هـ ودخل بغداد في ١٢ شعبان سنة ١٢٧٦هـ . وكان لا يعرف أن يكتب اسمه ومع هذا يُعرف (بكاتب السر) سابقاً وكان لا يعرف إلاّ الأكل والبلع فهو شغله الشاغل وفي أيام حكمه نحو ١١ شهراً أضر بمالية الدولة نحو ثلاثين ألف كيس وكان مُترشياً شرهاً، في أيام هذا الرجل أظهر الشيخ فيصل رئيس عشائر البو محمد في لواء العمارة العصيان على الحكومة، فأرسل هذا الوالي (مصطفى نوري) أمير اللواء محمد باشا الديار بكري ومعه من الجنود والمدافع و. وكان تجمع البو محمد جمّعاً غفيراً فرماهم بالبنادق والمدافع وفرّق جموعهم وأنزل الجنود والعساكر في محلهم واتخذه مقراً للأردو أي الفيلق، وإلى الآن يعرف ذلك المحل بـ (الأوردي)، وفرَّ الشيخ فيصل وجماعته إلى المحل المسمى بـ (الزير) الواقع على الجحلة (الكحلاء) وله فيها حصن (قلعة) فلما علم أمير اللواء ساق الجيوش خلفهم وحاصرهم في قلعتهم واستولى عليها وأخذ المدافع التي بأيديهم وغنائم كثيرة جاء بها إلى بغداد.

وإن محل الأوردي (الفيلق) بقي محافظاً على اسمه مدة، وفي أيام الوزير نامق باشا أعاد الأوردي إلى محله وهناك تَجمَّع كثيرون ومن ثم تكوّنت البلدة باسم (العمارة)).

وجاء كذلك في (تأريخ العراق بين احتلالين ٧/ ١٣٣) ((مصطفى نوري باشا بن حسن آغا المقيم في قنديللي مات أبواه وهو صغير فرعاه زوج جدته جعفر آغا وكان حارس قصر كوكصو ... وفي سنة ١٢٢٢٨هـ استخُدم في البلاط الداخلي ثم دخل دائرة الخزينة السلطانية فنشأ هناك ... حتى أنه في ذي الحجة سنة ١٢٣٨هـ صار كاتب السر، ثم وُلي ولايات عديدة ومناصب، وفي أوائل سنة ١٢٧٦هـ، صار والياً ببغداد ومشيراً لفيلقها وفي أوائل سنة١٢٧٧هـ عُزِلَ، توفي سنة ١٢٩٦هـ، وكان شيخ الوزراء ومستقيماً، وفي تأريخ عطاءَ أنه بعد انفصاله من بغداد التزم التقاعد وقال إنه متقٍّ صادق ومستقيم وهو من الأخيار في دينه ومخلص لدولته، ومن هذا يُفهم أن ما اتُهم به غير صحيح وأن ذلك كان من الوالي اللاحق فبعثت الدولة بعض رجالها مَنْ حقق فكشف عن براءته.))

تمكَّنَ الاتراك من احتلال المنطقة وأن ينزلوا محل الثوار لأنَّه كان محلاً استراتيجياً وهناك أسسوا مقرّاً ثابتاً سُمِّي بالأُوردي أي المعسكر. وكانت المياه قد غَمَرت المنطقة سنة ١٨٥٩ وعندما انشغل العثمانيون بتحصين محلاّتِهم ضد الماء تمكَّنَ الشيخ فيصل زعيم البو محمد من الهجوم على المعسكر وفتك بالجُند ثم هَرَبَ إلى قلب الأهوار بعد أن فقد العثمانيون ٣٠ قتيلاً و١٥٨ جريحاً وغَرَقَ أكثر من ٦٠ جندياً. وكانت العمارة تتبع أحياناً في ميزانيتها مدينة البصرة ولذا كان الأتراك يحاولون ربط العمارة بالبصرة بطريق بري مُنتظَم غير الطريق النهري، وعلى هذا الأساس جاء تفكير الإنكليز بعد الحرب العظمى الأولى حتى أنهم أسَّسوا خطاً حديدياً على نهر دجلة ليربط بغداد بالبصرة عن طريق العمارة والكوت على أن يكون الخط عسكرياً تجارياً في أول أمره ثم يَتحوَّل إلى خطٍّ للمسافرين. وفي الحقيقة إنّ طُرق المواصلات تَقَدَّمت كثيراً في العراق بعد الحرب العظمى الأولى إلى الآن سواء أكانت في الداخل أو إلى الخارج. وكان على سبيل المثال أنه في شباط سنة ١٩٢٠ استُعمِلَ القطارُ ولأول مرة في تأريخ العراق لنقل البريد بين البصرة وبغداد وسُمِّيَ القطارُ بقطار البريد والذي كان يُطلَق عليه بالإنكليزي اسم ميل ترين.

وفي ٢٢ شباط سنة ١٩٦١ أُكمِلَ مرفأ أم قصر وبإكماله يعني افتتاح الخط الحديدي الذي يُوصِل البصرة بتلك المنطقة. وفي آب سنة ١٩٢١ بدأ نقل البريد الجوي بين البصرة وبغداد والقاهرة مرة كل أسبوعين، وكانت المُدة التي تقطعها الطائرة أكثر من يومين. وفي ٣٠ آب سنة ١٩٢٣ تأسس أول خطٍّ بري بين البصرة وبغداد وحيفا لنقل البريد الخارجي إلى أوربا، حيث كانت البواخر الكبيرة تصل البصرة من الهند والملايو واستراليا وغيرها ثم تُنقل إلى بغداد ومنها إلى حيفا ثم من حيفا تُنقل بالبواخر مرةً أخرى لتوزّع على أوربا. وبالمناسبة إنَّ خط البواخر كان يصل الهند بالبصرة أسبوعياً ومُنظَّماً وهو يحمل البريد والركّاب أما البواخر فكانت كثيرة الاتصال بالبصرة حيث كان البصريون من أقدم الأزمنة يتاجرون مع أقطار

الخليج العربي والهند وسيلان وغيرها.

ومِمَّنْ كان يتاجر مع الهند آل الصقير[1]،الذين كانوا أولاً يسكنون منطقة المجمعة عاصمة السدير بنجدٍ ثم قَدِموا إلى البصرة سنة ١٢٥٥ هـ وسكنوا الزبير، وكان أول رجل جاء منهم اسمه حمد بن عبد الله الصقير فاشتغل بالتجارة وكان له ولد واحد اسمه عبد الرزاق ولِدَ سنة ١٣٢٥ هـ.

أما حمد الصقير فكان من المُعمِّرين الكبار فلقد عاش ٧٢ سنة حيث توفِّيَ سنة ١٣٢٧ هـ أي بعد موت خالد العون بسنتين وكان قد حَجَّ بيت الله الحرام عِدة مرات. وكان والده عبد الله من فقهاء نجد ويُقال إن العشيرة التي تنتمي إليها العائلة هي فخذ الصقور من عنزة. وبهذه المناسبة إنّ عائلة الصقير ذات ثلاث مُسمّيات لعوائل ثلاث: أولاهما العائلة المذكورة والثانية تسكن بُريدة والثالثة تسكن حضرموت ومنها آل الصقير الذين هم أولاد آل كثير أمراء المنطقة ومن أخوال عائلة الصقير عائلة الزهير العائلة العربية البصرية المعروفة.

لقد احتفل العراق في شهر حزيران سنة ١٩٦٩ بمرور مائة سنة على إصدار أول جريدة في العراق هي جريدة الزوراء أو زوراء، وبهذه المناسبة نقول إنّ الجريدة

---

(١) آل الصقير: جاء في كتاب إمارة الزبير بين هجريتن ٩٧٩ ـ ١٤٠٠ هـ: لعبد الرزاق عبد المحسن الصانع، وعبد العزيز عمر العلي، طبعة الكويت، سنة ١٩٨٥، ص ٢١٦ ـ ٢١٧ ((هم فخذ من الصقور من عنزة الذين زاولوا التجارة في نجد وسكنوا المجمعة عاصمة سدير آنذاك ثم قدموا إلى الزبير وكان أول مَنْ نزحَ الجد الشيخ عبد الله الصقير عام ١٢٨٧ هـ، وقد عمل في الخط التجاري على شكل بسيط ثم اتسعت دائرة عمله فاستقدم ولده حمد عام ١٢٩٧ هـ، وعمل في تجارة الطعام يجلبون الشلب من سوق الشيوخ، ورأى الوالد أن يعود إلى المجمعة ويترك ولده حمد ليرسل له هذه التجارة على الجمال التي كانت واسطة النقل.

واشتهر حمد في هذا المجال ورأى أن يستقدم أخاه إبراهيم، وجاء بعائلته إلى الزبير عام ١٣٠٣ هـ ومعه ولده راشد وله من العمر سنتان. وكبر راشد وهو في هذا الخضم التجاري ولما بلغَ حمد من العمر ٧٢ عاماً توفي وله ولد واحد صغير هو عبد الرزاق تَولّى كفالته الحاج راشد....))

تُسمّى في اللغة الفرنسية گازيته وفي اللغة الروسية كازيته أيضاً. ويُسمِّيها الإنكليز نيوز بيبر ويُسمِّيها الفّرس روزنامى ويُسمِّيها الألمان زايتونغ، ويُسمِّيها الإسبان بريوديكو ويُسمِّيها الإيطاليون جورنالي ويُسمِّيها الأرمن كراكير، وتُسمّى في اللغة العبرية نوفينه، أما الأتراك فكانوا يُسمِّونها غزته. وعلى هذا الأساس صدرت جريدة زوراء في بغداد في ١٥ حزيران سنة ١٨٦٩م ١٢٨٦هـ باللغتين العربية والتركية، بصفتها الجريدة الرسمية وقد كُتِبَ تحت عنوانها: هذه غزته تُطبع في الأسبوع مرة يوم الثلاثاء. ثم أصبحت تصدر مرتين في الأسبوع فكتبت تحت عنوانها: هذه الجريدة تُطبع في الأسبوع مرتين يوم السبت والثلاثاء. وكان اشتراكها السنوي ١٠٠ قرش ونصف السنوي ٥٥ قرشاً وكان ثمن كل نسخة ٥٠ بارة.

وكان العدد الأول يحتوي على مواضيع مختلفة منها الفرمان العالي السلطاني الذي صدر بمنح مدحت باشا ولايةَ بغداد، والذي جاء في مقدمة الديباجة المعروفة والقائلة وزيري سمير الدرية مدحت باشا. ولقد جَلَبَ مدحت باشا أولَ مطبعة من باريس للعراق في سنة ١٨٦٩ وسُمِّيت بمطبعة الولاية، ولكن أول جريدة أهلية وغير رسمية صَدَرَتْ في العراق كان اسمها بغداد لصاحبها مراد بك سليمان وذلك في ٦ آب سنة ١٩٠٨، ولقد أَصبحت جريدة الزوراء بعد ذلك تُفرَض على الناس فرضاً وخاصة بعد صدور الجرائد الأهلية حيث كان طابع الزوراء حكومي، ولذا ابتعد عنها الناس وعلى هذا نشرت جريدة الرقيب الصادرة في بغداد بتأريخ ٢٥ صُفر ١٣٢٧هـ وفي عددها رقم ٨ بالحرف الواحد:

يعلم عموم أهالي ولايتنا الصورة التي كانت تتخذها الولاية والألوية والأقضية في تحصيل بدلات الزوراء من أنواع الظلم والتَعدِّي حتى أنَّ بعض الأفاضل كان يقول إنها جريمة لا جريدة.

ومن المعلوم أنه بعد اليوم لا يمكن تحصيلها جبراً ولا يمكن قطع بدلها الباهض بالنسبة لحجمها من المأمورين قط، وحيث أن وجود جريدة رسمية لازم للإعلانات

والأوامر الرسمية نرى لو أن الولاية نَزَّلت بدلها من ٧٠ غرشاً إلى ٢٠ غرشاً وثمن النسخة من ٥٠ بارة إلى ١٥ بارة لتكاثر طلاّبُها وبيعت في الأسواق وازدادت الرغبة عليها وجعل منها الواردات ما يقوم بمعاش مديرها ومحررها ومترجمها وعُمّالها وبكثرة قرائها تحصل الفائدة العمومية، مما يعلن فيها لأنها على حالها الحاضرة لا يستفيد أحد من إعلاناتها الاّ النزر القليل لقلّة قُرّائها وضجرهم منها فعسى أن تصادف كلمتنا هذه قبولاً.

هذه هي جريدة الزوراء يا أخي القارئ فإنها جريدة رسمية فقط لا تُعبرّ عن رأي الشعب بشيء. أما الجرائد الأهلية ومنها جريدة الرقيب البغدادية لصاحبها عبد اللطيف ثنيان فإليك ما نشرته في عددها الصادر في ٢٢ ربيع الآخر سنة ١٣٢٧هـ ١٩٠٦م وفي عددها رقم ١٧ من السنة الأولى ما نصّه:

في ٢٢ ربيع الأول سنة ١٣٢٧هـ بينما كان رشيد أفندي ضابط نقطة قصبة الزبير خارج القصبة ومعه ستة من الجنود المُظفَّرة صادف أُناساً ومعهم أسلحة وخراطيش نحو ٤٠ حمل منقولة لأولاد صيهود وغضبان وحصل بينه وبينهم مناوشات ولكن الأشقياء آلتجأوا لبعض العشائر هناك فعاد الضابط المومى إليه خائباً لِقلّة جنده، وقد وَصَلَ الخبر لولاية البصرة فأرسلت ٦٠ نفراً من العساكر ولكن الأشقياء فروا ووَصلَ الخبر بنزول الأشقياء على سعدون باشا أما ولاية البصرة فقد عَزلَتْ مدير الناحية صادق أفندي وَعيَّنت عوضه علي أفندي ولكن المومى إليه علي أفندي لم يقم بوظيفته خيرَ قيام حيث أنه إلى الآن لم يمنع المتنفذين وأتباعهم في الزبير من حمل السلاح فكيف يَتمكَّن من منع التهريب في البراري وقد نَشرت جريدة الرقيب في عددها رقم ٨ الصادر في ٢٥ صفر سنة ١٣٢٧هـ بالحرف الواحد: ليلة الأربعاء ٤ مارس حضر لتلغرافخانه البصرة عدة من الأهالي وطلبوا مخابرة الصدر الأعظم بالذات وقد حضر مخابرتهم فشكوا إليه حالتهم البالغة للنهاية من سوء [الأحوال] الأمنية على الأموال والأنفس فأصدر أمره السامي بعزل عموم الضابطة والبوليس

الموجودين وأن تكون الأمنية بعهدة العسكرية إلى حين تَعيّن عوضهم

أما في البصرة فقد نَشرتْ جريدة الإيقاظ لصاحبها سليمان فيضي في عددها الصادر في آب من سنة ١٩٠٩ عريضة من أهالي العشار يلتمسون فيها الوالي بادماج بلدية البصرة والعشار في بلديةٍ واحدة وفتح صيدلية[1] في العشار توفر أموالها من

---

(١) يُذكَر أنّ الصيدليات لا يتجاوز عددها عدد أصابع اليد الواحدة في زمن الحكم العثماني ولكن بعد دخول القوات البريطانية إلى البصرة ازداد عدد الصيدلانيين فوصل إلى تسعة صيادلة وهم:

إبراهيم	**صيدلي**	**مستشفى تذكار مود**
يوسف جبرائيل	**صيدلي**	**مستشفى تذكار مود**
سليم عاشير	**معاون صيدلي**	**مستوصف العشار**
يوسف يعقوب	**معاون صيدلي**	**مستوصف العشار**
داود سلمان	**معاون صيدلي**	**مستوصف البصرة**
إي- بي -شيخ	**محضر**	**مستشفى التجديد الملكي في البصرة**
إي -س- دكراس	**محضر**	**مستوصف ماركيل (المعقل)**
إي- اج -صوفي	**محضر**	**المستوصف الملكي في الزبير**
صادق محمد علي الموصلي	**صيدلي**	**مستشفى تذكار مود**

وصل عدد الصيدليات حتى عام ١٩٣٩ إلى ١٣ صيدلية ٩ في العشار و٤ في البصرة

اسم الصيدلية	الصيدلي	موقعها
الوطنية	فليب ناري	العشار
جوليس	جوليس عمو	العشار
صيمح	صميح شالوم	العشار
غازي	سليم عاشير	العشار
الكويتي	يعقوب إبراهيم الكويتي	العشار
باكوس	إسحاق	العشار
العراق	إبراهيم ريحان	العشار
المختار	سامي المختار	العشار
الصيدلية الجديدة	هايك كبرائيل	العشار
السيف	أنيس زيتو	البصرة

اقتصاد رواتب دمج البلديتين فاعتبر الوالي هذا تدخّلاً في شؤونه وأَمَرَ الجريدة الحكومية الرسمية بمس كرامة مقدمي العريضة من إثارة شعور الجمهور وأبرقوا إلى الوالي في بغداد يَحتجُّونَ وظهرت جريدة الإيقاظ في اليوم الثاني وهي تنشر صورة الاحتجاج مما أثار غضب الوالي وأنذر الجريدة مما زاد في غضب الأهالي وقدّموا الاحتجاجات إلى الإستانة وطلبوا إرسال هيئة تحقيق للنظر في تصرفات الوالي وكان نتيجة ذلك استقالة عارف بك المارديني[1] والي البصرة وعادت الجريدة إلى الصدور.

وإذا ما اشتهرت البصرة منذ القِدم بالعلم والعرفان فقد شملت فنون العلوم من لسانية وعقلية وقلبية. ومن تلك العلوم علم الطب ومن أبرز رجالاته الطبيب البصري المعروف بابن ماري وهو مُنشيء من أهل البصرة كانت له ستون مقامة عُرفت بالمقامات النصرانية قال في مقدمتها أما بعد فيقول الفقير إلى سوابغ الآء الباري أبو العباس يحيى بن سعيد بن ماري وقد ذكره صاحب مرآة الزمان في جزء ٨ ص ٢٤٦ وصاحب كتاب إرشاد الأدب ٧/ ٢٥٩ وصاحب كتاب النجوم الزاهرة ٥/ ٣٦٤. كما نشرت عنه فصلاً طويلاً مجلة المشرق في عددها رقم ٣٠ فأثنت عليه وسَمَّته نابغة الطب البصري كما ذكره الزركلي في الجزء التاسع[2] ص١٨١ من كتابه

الفيحاء	بشير يعقوب الكويتي	البصرة
الإنتباه	السيد هدايت	البصرة
البصرة	إلياهو إبراهيم جداع	البصرة

المصدر (النظام الصحي في البصرة: رسالة ماجستير، جعفر عبد الدايم المنصور، كلية التربية، جامعة البصرة سنة ١٩٩٨.)

(١) محمد عارف بك المارديني في ولايته على البصرة سنة ١٩٠٩ قام بعزل الشيخ غضبان من مشيخة بني لام وكذا أولاد صيهود فالحاً وأخوته عن زعامة البو محمد وفسخت جميع المقاطعات التي بأيديهم وألتزامهم وحجزت أموالهم (تأريخ العراق بين احتلالين ٨/ ١٩٧)

(٢) جاء في: الأعلام: للزركلي: ٩/ ١٨١ ((ابن ماري يحيى بن سعيد أبو العباس طبيب منشيء من أهل ←

الأعلام وذكره ابن العبري في ص٤١٥ من كتابه تأريخ الدول. وكان اسمه الحقيقي يحيىٰ بن سعيد بن ماري أبو العباس، وكان صاحب كتاب إرشاد الأريب قد سمّاه يحيىٰ بن يحيىٰ بن سعيد بن ماري. أما صاحب كتاب كشف الظنون فقد ذكره في ١١ ص٢٧٨ فقال: إنّ اسمه يحيىٰ بن سعيد بن ماري وقد توفّيَ سنة ٥٨٩هـ أي ١١٩٣م. وكان ابن ماري قد ولِدَ في البصرة بعد أن هاجر والده من بلدته الطيب التي كانت تقع في منطقة الدوير بين خوزستان وواسط وكان الأب لويس شيخو قد ذكره في كتابه شعراء النصرانية فأثنىٰ عليه إنّه شاهد مقاماته مخطوطة في مكتبة فينا واستنسخ قسماً منها. وكان العماد الأصفهاني قد ذكره في كتابه خريدة العصر فَعدَّه ضمن الأدباء الشعراء وذكر له بعض الأبيات منها قوله:

وإذا نطقت فأنتَ لفظ مقالتي وإذا سكَتّ فأنتَ سر لخاطري

كما ذكر له هذين البيتين:

نَفرَت هند من طلائع شيبي واعترتها سآمةٌ من وجومي

هكذا عادت الشياطين ينفر ن إذا ما بدت نجوم الرجومِ

اما القفطي فيذكره في ص٣٦٠ من كتابه تأريخ الحكماء ويقول: إنَّ ابن ماري كان يطب في البصرة في زمانه، وأنه كان يمتدح أجلاّء الواردين علىٰ البصرة وأنه توفّيَ في البصرة لعشر بقين من شهر رمضان سنة تسع وثمانين وخمسمائة، وكان علىٰ دين النصرانية وكان طبه مبني علىٰ أسس من امتزاج المواد والأعشاب زيادة علىٰ تفننه في التحليلات وتركيب الأدوية.

ومن أطباء البصرة المتأخّرين الذين ساروا علىٰ هذه الطريقة الدكتور المرحوم كشيشيان وكان هذا الطبيب الإنساني أَرمنياً من تركياً درس الطب في إستانبول ثم

البصرة له (مقامات) علىٰ نسق مقامات الحريري ستون مقامة تُعرف بالمقامات النصرانية جاء في مقدمتها ((أما بعد فيقول الفقير إلىٰ سوابغ آلاء الباري أبو العباس يحيىٰ ابن سعيد بن ماري العربي نسباً النصرانيّ مذهباً...إلخ)) توفي في البصرة سنة ٥٨٩هـ.

دَرَسَ في الجامعة الإمريكية في بيروت وذهب إلى مصر وعادت إلى تركيا، وفي أثناء النفير العام الذي أجرته تركيا سنة ١٩١٤ أصبح طبيباً في الجيش وقد شارك في معارك بغداد والكوت وكان من الأطباء الشجعان. وفي حصار الكوت أخذ يُطبّب الناسَ مجّاناً وكان يتجوّل بين الجُند ليعطي كُلَّ مريض دواءه. ولما انسحب العثمانيون من الكوت ليلاً لم يَتمكَّن كشيشيان من الإلتحاق بهم ولذا فإنَّ الإنكليز لما دخلوا الكوت مرةً ثانية أخذوه أسيراً فأرسلوه إلى البصرة. وكان رحمهُ الله يتقن اللغة الإنكليزية لأنّه درس في الجامعة الإمريكية، ولذا فإنّ الإنكليز لم يضغطوا عليه وكانوا يستشيرونه في كثير من العمليات الطبية، كما وإنَّ قائد الحملة البريطانية في البصرة طَلَبَ منه أن يُعلّمه التركية مما أدّىٰ إلى حدوث تقارب بين الدكتور والقائد ثم حَدَثَ أن أُصيب أحد القوّاد الإنكليز بشظية وقد تعذَّر على الأطباء إخراج الشظية من جسم القائد الإنكليزي دون أن يتعرّض لقطع (قسم) من محل إصابته ولكن كشيشيان قام بإجراء العملية بكل بساطة مما نالَ إعجاب القوّاد الإنكليز فأطلقوا سراحه. وَمَكَثَ بعد ذلك في البصرة وكان صديقاً للمرحوم المختار محمد الحلفي وقد فَتَحَ له عيادة في محلة السيمر. وقد تَعرَّفتُ عليه سنة ١٩٤١ فكان عدواً للإستعمار الإنكليزي كما كان عدواً لليهود.

وأعماله الإنسانية لا ينساها البصريون فإنه كان يحل مشكلة أي مريض كان بدواءٍ سهلٍ ورخيص. وأبرة كشيشيان معروفة كما وأنّ المرضى يذكرونه بالرحمة والثناء فهو إن اعطاكَ دواءً فهو الصحيح وإنْ أمرك أن تأكل شيء فهو البلسم لجرحك أو معدتك أو ظهرك أو جسمك. وكان مختصاً بأمراض العيون ولكنه مع ذلك فهو يجيد التطبيب وخاصة بالأدوية العربية والأطعمة. تُوفِّيَ رحمهُ الله سنة ١٩٥١ بعد أن عَمَّر نحو ٧٧سنة وقد شيعه أهالي البصرة تَشييعاً مَهيباً وبكوه وتَرحَّموا عليه وهم إلى الآن لا يزالون يَتذَّكرونه بالإجلال والإحترام.

زار البصرة في اليوم الثاني عشر من شعبان سنة ١١٣٢هـ ـ ١٧١٠م[1] الرحّالة المعروف بالسيد عباس بن علي بن نور الدين الحسيني الموسوي المكي وقد دامت زيارته للبصرة خمسة أشهر وأربعة وعشرين يوماً حيث غادرها في ٦ صفر سنة ١١٣٣هـ وقد أَحبَّ البصرة وأقامَ بها أكثر من أي مدينة أخرىٰ لما أَطنب في مدحها وذكرها في كتابه نزهة الجليس ووصفها بالجمال والحُسن كما وصف أهلها بالكرم والنُبل وقد جاء في حديثه:

وفي ضحىٰ العاشر من شعبان قطعنا البحر فلما أصبح اليوم الحادي عشر دخلنا شط العرب وهو نهرٌ تدخله المراكب النهرية وترسي فيه قِبال مقام علي وجميع مياه البصرة تصبُ في النهر. ثم قال.. فلّما كان وقت العصر أَتينا إلىٰ مقابل السبيليات، وهي من أزهىٰ أراضي البصرة أشجاراً وأكثرها أنهاراً وأَطيبها ثماراً. ولّما كان صبح الثاني عشر قصدنا البصرة فمررنا في طريقنا بأبي الخصيب والسراجي والمناوي وكانت كُل هذه الأراضي ذات بساتين يانعة وثمار ونخيل. ثم قال.. والمناوي هذه بها أمير عظيم يُسمىٰ موسىٰ بيك وهو بها مُقيم أقامته السلطة لحفظ البصرة من جانب البحر ثم أَتينا علىٰ مقام علي وهو علىٰ رأس الخليج الصغير الذي يشق المدينة فلم نَزَلْ في القارب نسير إلىٰ أن انتهينا إلىٰ حارة السيمر ونزلنا من القارب ودخلنا مدينةً مكينة حصينة بديعة رفيعة أنيقة غالب دُورِها لا يخلو من

(١) الأدق سنة ١٧١٩م وليس ١٧١٠م كما ذكر حامد البازي وهو السيد عباس بن السيد علي الموسوي العاملي المكي صاحب كتاب (نزهة الجليس ومنية الأديب الأنيس) زار البصرة قادماً من الإحساء وقد نزلَ ضيفاً في بيت الحاج محمود القندي في محلة السيمر وقد أطنبَ في وصف البصرة وسرد أسماء مَن اجتمع بهم من العلماء والتجار والأعيان في كتابه النزهة وفي السادس من صفر سنة ١١٣٣هـ الموافق ١٧٢٠م غادر البصرة متوجهاً إلىٰ الهند .

والسيد عباس الموسوي كان قد ولِدَ في مكة سنة ١١١٠هـ ونَشأ فيها وتوفّي في حدود سنة ١١٨٠هـ وعُرف برحلته التي دامت إثنتي عشرة سنة مبتدئاً من مكة فالعراق وإيران ثم البصرة ثم سافر إلىٰ الهند ومنها إلىٰ عدن. ينظر: (المُجمل في تأريخ البصرة): علاء لازم العيسىٰ، ص٢٦٨ ـ ٢٦٩.

حديقةٍ وبها القصور العالية والبدور الطالعة والأسواق بالخيرات وافرة.

فأما سوق الميدان التي تحت سراي باشا فَمَنْ دخلها نال منها ما شاء وأما سوق العطّارين فإنه يُريح القلب الحزين وأما سوق المشراق فإنه من النِعم في إشراق وأما سوق السيمر المسعود فكل ما شِئتَ فيه موجود. ثم قال.. ومن عجائبها المد والجزر حيث ترتفع المياه في الأنهار فتُسمّىٰ مَدّاً ثم تنخفض فتُسمّىٰ جزراً ويشق المدينة في كل يوم وليلة مرتين. ويُقال إنه كان في البصرة سبعة آلاف مسجد وما يزيد علىٰ عشرة آلاف نهر. وحُكيَ عن بعض التجار أنه اشترىٰ من البصرة خمسمائة رطل تمر بدينار أي عشرة دراهم. وغربي البصرة البادية وشرقيها مياه الأنهار وبين قُراها بطائح ماء معمورة بالزوارق والسماريات.

إلىٰ البصرة الفيحاء مني تحيةً ... تعطّرها يا صاح من كل جانبِ

وأما رطبها وبلحها فقد قال فيه الشاعر:

أما تىٰ الريح انثرت بلحاً ... جاء نذيراً بدولةِ الرطبِ

ثم هناك عينها وقد قال فيه الشاعر:

ورازقي مخطف الخصور ... كأنه مخازن البلّور

قد ضمنت مسكاً إلىٰ الشطور ... وفي الأعالي ماء ورد جوري

أما رمانها فقد قيل فيه:

ورمانة شبهتها إذ رأيتها ... بنهد كعابٍ أو بأحقاق مرمر

ململمةٌ خضراء تحسبُ حشوها ... يواقيت حمر في رداء مُعصفَرِ

ثم هناك خوخ البصرة

أهـــدىٰ إلينـــا الزمـــان خوخـــاً منظـــــره منظـــــر أنيـــــق
حمـــــراء صـــــفراء يســـــتفيد بهجتهـــــا الثـــــبر العتيـــــق

ثم أَخَذَ يُعدّد الأثمار من تينٍ وتفـاح واتـراج ومـوز وبطـيخ ومشـمش والتـوت وقصب السكرّ إلىٰ أن يقول:

قســـــماً بالإلـــــه رب العِبـــــاد وبطـــه النبـــي شـــفيع العبـــاد
إنّ للبصـــــرة الفريـــــدة حُســـــناً وافتخـــــاراً عـــلىٰ جميـــع الـــبلاد

ثم قال: فأقمت فيها شد الله مبانيها وأَيَّدَ بالعز أهاليها ونَزلتُ حارة السيمر بدار جناب الكريم الساعي في تقويم طالع مجدي الحاج محمود بن القندي. ثـم تَشـرفتُ بزيارة ابن عمه شفيع الأنام الهزير القمقام الزبير ابن العوّام. كـما زرت مقـام طلحـة وبعدها اجتمعت بالعالِم العلاّمة المُقِق الفهّامة الشـيخ سليمان الكردي كما اجتمعـتُ بصاحب الطلعة البهية والكرامات الجليّة السـيد يعقـوب الرفـاعي نقيـب السـادة الرفاعية. كما زُرتُ ابنه السـيد رمضان وابن أخيه السـيد أحمـد وابـن عمـه السـيد غالب واجمعتُ بذي الفضائل مولانا الملا حسـين ميم زادة واجتمعت أيضـاً بجليـل المراتب الحاج أحمد بن عبد الرحيم الباش كاتب. ثم زُرتُ التـاجر الـرئيس الأفخـر الحاج محمد بن بندر وبعده زُرتُ كبير التجار الحـاج محمـد حسـين بـن النجـار ثـم ذهبت لزيارة التاجر الجليل الحاج إسماعيل بن نبكـي. وكـذلك اجتمعـت بالتجـار الحاج يحيىٰ بن زكريا والحاج أحمد بن سـياب والحاج محمود بن ضـرار والحاج عبـد الله بسـيط وبالتاجر الحاج محمود المُلقَّب بأبي الدجاج ثـم زرت التـاجر الحـاج عبـد الحسـين بن خلف والحاج سليمان بن خميس والسـيد حسـين الخافي.

وكان الرحّالة السـيد عباس المذكور قد غادر البصـرة في ٦ صفر سنة ١٣٣٣هـ مُتوجِّهاً في مركبٍ إلىٰ الهند. ويذكر الرحّالة المذكور قصة منارة كان قد شاهدها عنـد زيارته لمدينة الحِلة حيث يقول: إنه صَعدَ فوقها وحَلَّفها بعلي بـن أبي طالـب أن تهتـز

فاهتزت حتىٰ كاد أن يقع من عليها. ثم يقول إنّ هذه المنارة ليست من العجائب فكم مثلها من معجزاتٍ وغرائب. وهذا قليلٌ من كثير من براهين الإمام علي«عليه السلام» وهذه المناسبة نذكر أنّ ابن بطوطة عند زيارته للبصرة[1] أنه زار مسجدها الكبير] ذات] الصوامع السبع التي تتحرك إحداها عند ذكر الإمام علي بن أبي طالب كما يدعي ابن بطوطة. ويقول ابن بطوطة أنه صعد إليها من أعلىٰ سطحها ومعه بعض أهل البصرة.

وأنني أصدّق الرحّالة عباس العاملي في دعواه بوجود منارة في الحِلّة سواء أكانت تَتحرَّك أم لا تتحرك مع عدم وجود مثل هذه الصومعة في مسجد البصرة حيث لم يذكر أحد زار البصرة أو كتب عنها قبل ابن بطوطة أو بعده بوجود مثل هذه الصومعة المتحرِّكة.

ويُقال إنّ نسخة خطّية من كتاب نزهة الجليس للمرحوم عباس المالكي عند المرحوم الصحفي المعروف عبد المسيح أنطاكي صاحب جريدة، وهو من كبار الصحفيين الأدباء الشعراء وقد أهدىٰ النسخة إلىٰ المرحوم آغا جعفر المثري البصري المعروف والذي كان يرتبط بشيخ المحمّرة المرحوم خزعل بصداقةٍ قوية

---

(١) في سنة ٧٢٥هـ ـ ١٣٢٤م زار البصرة الرحالة العربي ابن بطوطة. وهو أبو عبد الله محمد بن محمد اللواتي الطنجي المولود في مدينة طنجة سنة ٧٠٣هـ ـ ١٣٠٤م من أسرة كريمة، بدأ رحلته منفرداً وهو في الثانية والعشرين من عمره عندما عزم علىٰ مغادرة مسقط رأسه لأداء فريضة الحج وكان خروجه يوم الخميس الثاني من شهر رجب سنة ٧٢٥هـ فقضىٰ ٢٨ سنة من عمره يجوب الأرض شرقاً وغرباً وقطع في رحلاته مسافة قدرت بنحو (١٢٠) ألف كيلو متر، وقد زار العراق زيارتين أولاهما حين قدومه من مكة المكرمة، أما الثانية فحين عودته من الصين، توفي في مدينة فاس سنة ٧٩٩هـ ـ ١٣٧٧هـ وفيها أملىٰ وصف رحلاته المشهورة باسم (تحفة النظّار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار) علي محمد بن جُزي ـ بضم الجيم ـ الكاتب ببلاط السلطان أبي عنان المُريني تُرجمت رحلته إلىٰ أكثر من لغة كالإنكليزية والتركية والفرنسية، ينظر مقال: رحلة ابن بطوطة عبد الجبار السامرائي، مجلة المورد البغدادية، مجلد ١٨، العدد ٤، سنة ١٩٨٩، ص٨٢ ـ ٩٥.

جعلته يزوج إحدىٰ كريماته لولد الشيخ خزعل وهو الشيخ عبد المجيد.

وبمناسبة التحدث عن المرحوم آغا جعفر والمرحوم عبد المسيح انطاكي فلا بد من الرجوع إلىٰ ترجمة ولو مبسَّطة لحياة هذين الشخصين المحترمين.

فعبد المسيح أنطاكي هو ابن فتح الله بن عبد المسيح[1] بن حنّا من أنطاكية وكان قد ولِدَ في حلب سنة ١٢٩١هـ ١٨٧٤م. وقيل إنّ أصله يوناني سكن أحد أجداده أنطاكية ثم انتقلت العائلة إلىٰ حلب سنة ١١٣٦هـ ـ ١٧٤٢م. أصدر في مصر جريدة العمران وذلك سنة ١٣١٥هـ ـ ١٨٨٥م وكان قبل ذلك قد أصدر في حلب مجلة أسبوعية صدر منها عشرة أعداد. وقد ذكره صاحب معجم المطبوعات كما ذكره صاحب كتاب أدباء حلب ثم له ترجمة في كتاب الأعلام للزركلي. ومن كتبه التي أصدرها كتاب النهضة الشرقية، وكتاب الرياض المُزهرة بين الكويت والمُحمرّة، وكتاب نيل الأماني في الدستور العثماني، ورحلة السلطان حسين في رياض البحرين، وديوان عرق الخُزام، وديوان في حياة بطل العروبة والإسلام الإمام علي بن أبي طالب«عليه السلام»، قيل إنه دَخَلَ البصرة مرةً واحدة فأعجبته وكان برفقته

---

(١) في عام ١٩٢٠ صدر كتاب بمجلدين للشيخ خزعل خان عنوانه (الرياض الخزعلية في السياسة الإنسانية) وهو كتاب في فلسفة الحكم والأخلاق فوقف علىٰ طبعه وعَلَّق حواشيه (عبده ومملوكه عبد المسيح أنطاكي بك صاحب جريدة العمران بمصر) وقد طبعته مطبعة العمران هذا ما جاء علىٰ غلاف الكتاب، وكتب عبد المسيح الأنطاكي مقدمة للكتاب بأكثر من ستين صفحة تأريخها سنة ١٣٤٠هـ . ولكن عندما قامت الدار العربية للموسوعات بإعادة طبع كتاب (الرياض الخزعلية) بمجلدين حذفت كل ما يتَعلَّق بعبد المسيح الأنطاكي.

وكان عبد المسيح أنطاكي بك قد كتب سنة ١٩١٦ كتاباً سمّاه (الدّرر الحِسان في إمارة عربستان وترجمة مولانا صاحب العظمة سرداد أرفع مُعز السلطنة الشيخ خزعل خان أمير المحمرّة وحاكمها ورئيس قبائلها والكتاب في خمسين صفحة نشرته مجلة الموسم الصادرة في هولندا في عددها ٥٥ ـ ٥٦ سنة ٢٠٠٤ ص٣٩٧ ـ ٤٤٤)، وقد كتب عبد المسيح أنطاكي عن حياته ضمن هوامش كتاب الرياض الخزعلية، منها أنه ترك موطنه حلب في سنة ١٨٩٧، وأنه أقام في مصر سنة ١٩٠٠، وبعد ذلك عمل في خدمة الشيخ خزعل خان.

الشيخ خزعل خان ثم كانت وفاته في القاهرة سنة ١٣٤١ ـ ١٩٢٣.

أما المرحوم آغا جعفر فقد وِلِدَ في البصرة سنة ١٨٦٤م كما وِلِدَ من والده عبد النبي وجده محمد حسين بالبصرة أيضاً. أما اسم والد جده فهو رجب علي بك وهذا اللّقب ـ بك ـ يجعله بعيد التصور من أن أصل العائلة من إيران خاصة وإنّ لدىٰ العائلة اليوم وثيقة صادرة في البصرة سنة ١٢٩٤هـ ـ ١٨٧٣م عند تنازع رجب علي بك مع والي البصرة علي رضا باشا، وهي تحمل لقب بك الخاصة بالعثمانيين فقط، خاصة وأنّ لهم أقارب في عدن هم بيت حسن علي وهم عرب خالص، ولكن المعروف عن أصلهم أنهم من عرب الخليج ولكنهم سكنوا إيران مدةً وإلاّ حَسبُنا كل أهالي منطقة عربستان. وكان آغا جعفر زيادة علىٰ صداقته للشيخ خزعل فهو صديق حميم للمرحوم طالب باشا النقيب وكثيراً ما اجتمعوا في قصر آغا جعفر الذي بُنيَ في السراجي سنة ١٣٢٣هـ ـ ١٩٠٣م.

وكانت للعائلة [أراضي] وبساتين في السراجي والخندق كما كانت لها بيوت وأسواق منها سوق آغا جعفر في السيمر والذي هدّمه والي البصرة سليمان نظيف بك لما جاء أمر نقله كان آغا جعفر في مقدمة المودّعين له عكس أصدقائه الباقين.

أما عبد النبي والد آغا جعفر فقد قُتِل تحت طاق محلة المجَصَّة وهو في طريقه الفجر إلىٰ الصلاة، وكانت الدولة العثمانية قد أصدرت فرماناً بمنح آغا جعفر لقب ـ مثمايز ـ من الدرجة الأولىٰ وأَنعمت عليه بنيشان الاستحقاق وكان هو الوحيد مع الحاج حمود باشا الملاّك يحملان هذا اللقب. وكان قد تَزوَّج من امرأة هي من بيت العطّار الجماعة المعروفين والذين يسكنون مَحلَّة إمام طه في بغداد. كما تَزوَّج من امرأة ثانية هي أخت السيد صالح البغدادي الخطيب الحسيني المعروف. تُوفِّيَ في دمشق سنة ١٩٣٧ وعمره ٧٣ سنة. وكان رحمه الله يحب العلماء والفضلاء ويعطف علىٰ الفقراء وينفق علىٰ المساجد وكان نصيبه مسجد السيد محمد شبّر والميرزا محمد تقي وافر من هذه المساعدات.

والميرزا محمد تقي هو ابن الميرزا حسين بن الميرزا علي بن الميرزا محمد الإخباري النيسابوري الهندي، ولِدَ سنة ١٢٨٢هـ ـ ١٨٦٢م وتُوفي سنة ١٣٥٧هـ ـ ١٩٣٧م ودُفن في البصرة وقد شيع جثمانه تشييعاً مهيباً، مشت فيه جموع الأهالي كما مشى فيه متصرف البصرة وحكّامها وكبار رجال الشرطة والجيش. وكان جده الميرزا محمد الإخباري[1] ممنْ تَفنّنوا في العلوم وكانت له اليد الطولى فيها وله مؤلفات كثيرة

(١) هو السيد محمد بن عبد النبي بن عبد الصانع بن عبد النبي الجد الأعلى لأسرة آل جمال الدين المتولد في الهند في منطقة (فرّوخ آباد) في ٢١ ذي القعدة سنة ١١٧٨هـ والمصادف ١٧٦٥م . عاش طفولته بالهند مع والده ووالدته، وقد كان أبوه تاجراً معروفاً يسكن بلاد فارس وقد غادرها ليسكن المنطقة المذكورة، وفي سنة ١١٩٨هـ سافر حاجّاً البيت الحرام بصحبة أبويه، وفي طريق رجوعه توفي والده وبعد ذلك توفيت والدته، فجاور الغري مُحصِّلاً للدروس العلمية ثم الحائر الحسيني ثم مقابر قريش في الجهة الغربية ببغداد.

وقد حظي الميرزا بأساتذة كبار كالسيد مهدي بحر العلوم والسيد علي صاحب (الرياض) والسيد محمد مهدي الشهرستاني والشيخ محمد علي نجل باقر البهبهاني واشتهر أمره في العراق وسائر الأمصار لاتخاذه الطريقة الإخبارية ولدفاعه الشديد عنها حتى أنه دخلَ في معارك عنيفة من الجدال والمطارحة والسجال والمناظرة، وأدّى ذلك إلى خلق طبقة كبيرة من المعارضين له ... وكان عالماً مرتاضاً مُحقّقاً في علم الرمل والجفر ألّف في علم الحروف كتباً كثيرة مختصاً في علم السيميا وكان يتصرف بالحروف الهوائية والأسماء الحسنى بمقدرة واسعة .. وكان أديباً وشاعراً وله ديوان عربي كبير وديوان فارسي .. ونتيجة الحوارات العنيفة والمساجلات الكبيرة مع المخالفين والمعارضين له اضطر السيد لمغادرة العراق والهجرة إلى البلاد الإيرانية في أيام دولتي محمد شاه وفتح علي شاه القاجاريين واستوطن المشهد الرضوي .... ومرةً أخرى اضطر إلى أن يترك إيران لنفس الأسباب السابقة ويسكن الكاظمية في بيت مجاور للإمام موسى الكاظم«عليه السلام» ولكن قصده من النجف ستة عشر رجلاً يريدون قتله ولما وصلوا الكرخ استمالوا المجاورين له بالمال ثم تسلّقوا عليه ليلاً وأضرموا عليه النار لإرهابه لكي يخرج من غرفته ويقتلوه وتقدّم إليه رجل فصاح في وجهه الميرزا الإخباري وجُنَّ من وقته ودخل غرفته ثم ثقبوا عليه سطح الغرفة وألقوا فيها نفطاً وناراً وخرج مرعوباً إليهم وقتلوه سنة ١٢٣٢هـ ـ ١٨١٧م واستُبيح جميع ما في داره من الكتب... المصدر (كتاب سيد النخيل المقفّى مصطفى جمال الدين في ذكراه السنوية الأولى، المكتبة الأدبية المختصة قم. ط١، سنة ١٤١٨هـ، ص١٨ ـ ٢٣.)

كُلها تنطقُ بهذه الحكمة البليغة، وكان الميرزا الإخباري هذا يسكن إيران ثم هاجر إلى الكاظمية وسكنها وكانت له صداقة متينة مع حجة الإسلام السيد عبد الله شبّر. وكذلك كان بينه وبين الشيخ جعفر كاشف الغطاء ردود خاصة ومراجعات ومباحثات. قُتل المرحوم الميرزا محمد الإخباري في الكاظمية في حادثٍ مؤسف حيث هجم بعضهم على داره وتسلّقوا الحائط وقتلوه فكان أن هرع المرحوم الحجة السيد عبد الله شبّر ليساعد أولاده ويحافظهم من الأذى إلى أن شاء الله أن يسافر بعضهم إلى الأهواز والبعض الآخر سكن منطقة المؤمنين من لواء الناصرية وقضاء سوق الشيوخ حيث ولِدَ الميرزا حسن بن الميرزا علي في هذه المنطقة ثم جاء البصرة بعد وفاة الشيخ إبراهيم العصفوري الذي كان يمثل الإخبارية في البصرة ولبث أعواماً فيها. تُوفِّيَ فجاء من بعده ولد الميرزا محمد تقي ثم بعد وفاته جاء ليعلو منبر العلم الميرزا عباس جمال الدين المولود في ١١ محرّم سنة ١٣٣٠ هـ ـ ١٩١٠م وهو من السادة الأجلاّء ذوي النفوس الرفيعة والأخلاق الفاضلة أطال الله في عمره لخدمة الدين.

ومن العوائل البصرية التي كان لها اليد الطولى في خدمة القضايا الإجتماعية والوطنية والدينية أيضاً. عائلة الحبيب وقد سَكَنَتْ البصرة أكثر من مائة وخمسين سنة حيث كانت تسكن أولاً لواء الديوانية وباعتبار الأسرة تتعاطى التجارة والزراعة وتجارة السفن الشراعية التي كان منها السفينة الشراعية المعروفة باسم العباسية وحمولتها ٣٠٠ طن وقد بِيعَت إلى بيت أصفر حوالي سنة ١٩٢٥ بألف ليرة عثمانية لتستخدم في الأغراض التجارية. وكانت العائلة تسكن أولاً الجبايش بعد نزوحها من الديوانية حيث تم التزاوج والمعاهدة مع عشيرة بني أسد ثم جاءت العائلة إلى البصرة. وعميد الأسرة اليوم سعيد الحاج جبارة[1] آل حبيب آل علي

(١) بيت السيد عبد العباس جبارة من البيوتات المهمة في محلة الخندق وله من الأولاد ثلاثة عبد الإله وعبد الجبار وسعيد (رئيس غرفة تجارة البصرة) توفي سعيد جبارة في أواسط الثمانينيات في محافظة

←

الطبيجي آل عليوي من حمولة آل شارع التي هي بالأصل من آل غريج التي بالأصل هي من الخزاعل أولاد سلمان*. وقد ولِدَ السيد سعيد جبارة الحبيب بالبصرة سنة ١٩٢٠ وتثقف في المدارس العراقية ثقافة خارجية وهو من المولعين بدراسة التأريخ والأنساب وله مكتبة تضم عدداً كبيراً من أمهات المصادر. وكان منذ طفولته يرغب الإشتغال في التجارة. وقد إنتمىٰ إلىٰ غرفة تجارة البصرة سنة ١٩٤٤ وصار عضواً في إدارة غرفة تجارة البصرة منذ سنة ١٩٥٢ وإلىٰ الآن وكانت من أبناء هذا الوطن الأبرار الذين ساهموا في خدمة أبناء مجتمعهم في المجالات الإنسانية والدينية والوطنية. وهو وأسرته ممَنْ قارعوا الحكمين العثماني والإنكليزي وتأريخ العراق حافل بأخبار وحوادث ثورات عشيرة الخزاعل كما أن اسم شيخهم حمد الحمود يتردد علىٰ لسان كل فرد ومن أفراد هذا الوطن وخاصة في المنطقة الجنوبية. وكانت العائلة تسكن محلة التميمية من منطقة الخندق أما عميدها فيسكن محلىٰ الفرسي شارع ١٤ تموز. أما والده وهو عميد الأسرة السابق فقد ولِدَ سنة ١٨٤٨م وتُوفِّيَ سنة ١٩٣٠ بعد عمرٍ طويل قضاه في أعمال الخير وكانت له علاقة مع إمارات الخليج العربي والهند حيث كان يتعاطىٰ بيع وشراء الحبوب والتمور والأخشاب والقصب والبوادي وكان له من الأخوة إثنان هما صبر(١) وجازع أما أولاده فهم المرحوم عبد العباس المتوفّىٰ سنة ١٩٥٥ وكاظم وسعيد.

ثم هناك الأخوة عبد اللطيف المهيدب وأخوانه وعائلته التي نزلت الزبير قبل أكثر من ١٥٠ سنة وهم كانوا ولا زالوا يشتغلون بالتجارة ويعملون بحسب خطة العرب المخلصين ويؤدون أمانة الله من زكاةٍ وإنفاق أموال علىٰ الفقراء ومحلهم مجمع

بابل بعد نزوحه من البصرة بسبب الحرب العراقية الإيرانية.

* أعتقد أن المعلومات حول نسب هذه العائلة تحتاج إلىٰ مراجعة فهم من عشيرة البو حسان إحدىٰ عشائر بني حجيم وليسوا من الخزاعل.

(١) من أولاده الوجيه كاظم الصبر من شخصيات محلة الخندق المهمة عضو حزب الأمة في البصرة.

لكل طالب حاجة من أهل هذا البلد العريق.

وكان من أشهر الرجالات الذين خدموا البصرة الشيخ جمال الدين أبو علي فتح[1] الله بن الشيخ علوان ابن الشيخ بشارة بن الشيخ محمد ابن الشيخ عبد الحسين الكعبي.

ولِدَ في قبان في منطقة عربستان سنة ١٠٥٣هـ ونشأ فيها ورَحَلَ إلى إيران ودرس وتعلَّم في المدرستين المنصورية واللطيفية ثم رجع وسكن البصرة فَولِّيَ قضاءها إلى سنة ١٠٨٠هـ حيث ترك قضاء البصرة وكتب كتابه زاد المسافر وهو من المصادر التأريخية التي تبحث في سير بعض رجالات المنطقة والحالة الإجتماعية والسياسية في تلك الفترة وكان قد آنتهى من جمع الكتاب سنة ١٠٩٥هـ. وله كتب أخرى منها شرح شواهد قطر الندى وقد توفيّ في نفس سنة ١٠٩٥هـ بعد أن أَتحفَ التأريخ بمرصّعات من أغلى الدرر الثمينة في عالم الأدب والتأريخ.

والحقيقة إن منطقة عربستان كانت تنجب الرجال العظام في كل وقتٍ وحين ممَّنْ يخدمون العروبة ويمنحونها من أرواحهم ما شاءت لأنها أمتهم وهم أبناؤها

---

(١) وهو أبو علي جمال الدين عبد الله بن الشيخ علوان بن الشيخ بشار بن الشيخ محمد بن الشيخ عبد الحسين الكعبي نسباً القبّاني الدورقي مولداً ومنشأً ولِدَ سنة ١٠٥٣هـ ـ ١٦٤٣م وقد هُني والده بتثقيفه وتعليمه في وقت مبكر فَقَصد البصرة والحويزة وشيراز وحصل على معارف جمّة في النحو واللغة والأدب والفقه وتتلمذ على كبار شيوخ زمانة وأساتذة عصرة وفي العقد الثالث من عمره تولّى قضاء البصرة مُدةً فرأى القضاء مخلاً في دينه فتركه ورجعَ إلى القبان واستقرَّ فيها وأصبحَ يتصدّر حلقات التدريس ومجالس الإفتاء ويشارك العلماء والمفكرين في نداوتهم فعرفوا له هذه المنزلة وأشادوا به وأثنوا على مقاومه ومن آثاره العلمية كتاب الدّرر البهيّة في شرح الأجرومية في النحو وشرح الفتوحات في المنطق ورسالة في القراءة وغيرها توفي سنة ١١٣٠هـ ـ ١٧١٨م (ينظر: كتاب الأدب العربي في الأحواز ص٤٠٣ ـ ٣٠٥: لعبد الرحمن كريم اللامي، وله كتاب مهم عن تأريخ البصرة هو زاد المسافر ولهفة المقيم) وقد شرحه بنفسه، وقد ترجم له: السيد عبد الله بن نور الدين بن نعمة الله الجزائري ترجمة وافية في كتابه تذييل سلافة العصر.

والعشائر التي تسكن عربستان كلها عربية ومن تلك العشائر عشيرة الكنعان وشيخهم محمد الكنعان بن الشيخ محمد الكنعان الذي كان في بطن أمه عندما توفي والده ولذا سُمِّي باسم والده وتَكفَّلَه أخوه الحاج كنعان المحمد وعُني بتربيته وكان منذ صغره تظهر عليه علامات الرجولة حتى إذا ما شاء الله أن يكون في سن الرجولة كانت البطولة وكان الذكاء قد رضعا معه. ولما قُتِلَ الشيخ مزعل الأخ الأكبر للشيخ خزعل كان الشيخ محمد الكنعان في مقدمة المؤيدين في تنصيب الشيخ خزعل محل أخيه. ثم صار رئيساً لعشيرة بني تميم القاطنين في الأهواز وَسَكَنَ كوت الزين وبَقيَ أخوه الأكبر الشيخ كنعان رئيساً على عشائر بني تميم في البصرة. ولقد حدثت خلافات بين الشيخ محمد الكنعان ووالي البصرة سليمان نظيف باشا ونظراً لأنَّ الشيخ محمد يسكن كوت الزين التي هي في الأراضي العراقية فلذا أرسَلَ والي البصرة الباخرة الحربية مرمريس مع قوةٍ كبيرة من الجيش فحرقوا بيت الشيخ محمد مما جعله يلتجىء إلى الشيخ خزعل حيث صار مستشاراً له ولما تَشكَّلت لجنة تثبيت الحدود العراقية الإيرانية أرسله الشيخ خزعل كعضو في اللجنة مع الكولونيل ولسن ثم عُينَ كممثل للشيخ خزعل مع جيش الإحتلال البريطاني الذي دَخَلَ البصرة سنة ١٩١٤. وبعد وفاته في طهران أثناء اعتقاله أيام شاه إيران رضا شاه أُسنُدت رئاسة بني تميم في إيران إلى ولده الأكبر حبيب وفي العراق إلى ابن أخيه الشيخ سلمان الكنعان الذي كان يسكن في قرية نهر جاسم من مقاطعة الدعيجي في ناحية شط العرب بالبصرة ولقد تُوفّيَ الشيخ سلمان سنة ١٩٣٨م وخلفه أخوه الشيخ منصور الكنعان الذي بقي في المشيخة إلى سنة ١٩٥٦ والذي قام ومعه أحد أبناء الشيخ خزعل بثورة ضد حكم شاه إيران. وبعد وفاة الشيخ منصور صار ولده الأكبر مصطفى شيخاً على العشيرة ولكن الدهر لم يهمل هذا الرجل الكبير القلب والشجاع الكريم أن ينهض بما يريد عمله بل أنّه تُوفّي في نيسان من سنة ١٩٥٨ فكان أن تختار عشيرة تميم الشيخ عبد الرزاق الكنعان شيخاً لها.

الفصل السادس

حديث مختصر عن البصرة في ماضيها وحاضرها[1]

هذه هي البصرة سلسلة موضوعات متفرقة ألّفها المؤرخ البصري المعروف الأستاذ حامد البازي تقارب الخمسين موضوعاً عن تأريخ البصرة، علمها، أدبها، فولكلورها، فيها الكثير من الجُرأة ومنهجية التناول بأسلوب علمي تأريخي وروح أمينة مخلصة (هذه هي البصرة) مشروع كتاب جديد المؤرخ مدينة البصرة.

البصرة القديمة قُسمِّت على أساس الأخماس[2] ثم صارت الأسباع وحسب

---

(١) صحيفة القادسية بغداد يوم ٨/ ٥/ ١٩٨٨ الصفحة ١٢

(٢) قال ما سينيون في كتابه (خطط البصرة) ترجمة وضبط وتعليق: الدكتور إبراهيم السامرائي، وزارة الثقافة العراقية، سنة ٢٠١٣، ص١٦ ـ ١٩ وما بعدها ((هذا جدول يشتمل على المواقع الخمسة للقبائل (أخماس البصرة) وهي:

أولاً: محلة أهل العالية وتقع بين المربد فالجامع وهم سكان المدينة (العاصمة) وهم الأسر الإدارية التي نزحت إلى البصرة قبل سنة ٤٠هجرية وهم من المضريين أغلبهم من قريش (مُتعصّبون لبني أمية) على أن هناك هاشميين وهم قد انحدروا من ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب... وبنو مازن وبنو حنيفة وبنوباهلة وقبيلة كنانة (بنو القعقاع بن رباح قبيلة الجاحظ) وبنو سعد بن لؤي وبنو كعب بن لؤي وبنو أسامة بن لؤي فهم يؤلفون الغالبية العظمى من القرشيين في تلك المنطقة وذلك منذ أن ضمّوا إليهم بنو ناجية (من قدماء نصارى مذار الذين أسلموا، وتحالف بنو أسامة بن لؤي مع الأفارقة الذين كانوا يشتغلون في الزراعة، وهم من الزنج الذين ثاروا سنة ٨١هجرية ثم ثاروا في الحقبة بين ٢٥٥ ـ ٢٧٠هـ (ولعلّ المبرد كان أحد هؤلاء الزّنج).

وممَّنْ سكن هذه المنطقة الأمويون كبني هبّار بن أسود (الذين استوطنوا الهند بعد ذلك)

ثانياً: محلة الأزد وموقعها إلى الشمال الغربي من المدينة، والأزد جماعة كانت قد سيطرت منذ زمنٍ بعيد في البصرة ومنهم (أزد عُمان) أما الأقسام الرئيسة للأزد فهي كما يأتي.

١. بنو عتيق (طائفة من المهالبة جماعة المُهلّب بن أبي صفرة ٧٨ ـ٩٩هـ) ولاه خراسان والبصرة في (٩٦ ـ١٠٢ هـ) و (١٣٢ ـ ١٣٣هـ) و (١٣٩ ـ ١٤٥هـ) و (١٦٥ ـ ١٦٧هـ) و (٢٠٦ ـ

←

٢١٨هـ) ومنهم رابعة العدوية.

٢. بنو عُدي: ومنهم تألّف الجُند لحراسة السيدة عائشة سنة ٣٦هـ.

٣. بنوم معن: ومنهم جماعة الفراهيد الذين منهم الخارجي.

٤. بنو هُدّان.

٥. بنو طاهية.

٦. بنو راسب (الخوارج).

٧. بنو زيادة بن شمس.

٨. بنو هداد.

٩. بنو سيحان (والنهر الذي يجري في أرضهم يخص البرامكة أتباع الأزد).

١٠. بنو زهران.

١١. بنو كيزان.

١٢. بنو عرمان.

١٣. بنو ثُمالة (ومنهم الشيعيان أبو حمزة الثمالي والشاعر السلماني أبو الغمر الديكي).

١٤. بنو ضَمرة (ومنهم مؤسس طائفة النصرية محمد بن نصير النميري البصري، وبشار بن برد)، وجاور الأزد يمانيون آخرون منهم الأشاعرة.. وجاور الأزد بنو قضاعة.. وكذلك الحميريون (بنو جُريش، السمعاني وبنو خزاعة وبنو قصر وبنو مَذحِج).

ثالثاً: محلة بني تميم (المُضريِّين) الواقعة في الجنوب الشرقي من المدينة. وهذه المجموعة مهمة ذلك أنها تلي الأزد من حيث عدتهم، وهي من الناحية الإجتماعية منقسمة انقساماً عميقاً بين دارم وحنظلة. ودارم القبيلة ذات الشرف القديم منها الأحنف بن قيس ومنهم الفرزدق. أما حنظلة ومنهم بنو مجاشع وأتباعها من الطبقات الدنيا كالسيابجة والزُط وبني العم، وهم من تنوخ من قدماء النصارى وشاعر حنظلة جرير. ويؤلف بنو حنظلة العناصر الثورية في جميع الأحزاب، ونشأ المذهب الخارجي منهم وبينهم ومنهم صابغ بن عيسى وابنه عُمير الذي قتله الحجّاج وحرقوص، وقال الطبري إن ابن حنبل كان حُرقوصياً هاجر إلى مرو، ومن بني العم محمد بن جمهور العُمّي البصري المؤسس لفرقة الغرابية، ولعلَّ الصولي قد توفي بينهم سنة ٣٣٥هـ والكتب الشيعية في الرجال والتراجم تثبت القُمّي بدلاً من العُمّي.

رابعاً: محلة بني بكر بن وائل:

الواقعة في القسم الأوسط من الجهة الشمالية الشرقية من المدينة، وفيها مجموعة من ربيعة نشيطة كثيرة الحركة اشتهرت بسطوتها. وكانوا حرّاساً لطريق الحج من البصرة إلى مكة، ويقطن محلة بكر بن وائل قبائل: قيس بن ثعلبة وبني عَنزة وبني عجل وذُهل بن شيبان وبني يشكر وذُهل بن ثعلبة وبنو ←

سكن القبائل والقوميات لكي لا تحدث المشاكل بين السكان حيث كانت العصبية القبلية على أَشدّها بل أن الأحداث زادت من قوتها كما وأن سكان منطقة البصرة القدماء من زط ونبط وسبابجة] سيابجة]وآراميين وغيرهم الذين كان العرب يعتبرونهم بالدرجة الثانية للمجتمع فإنهم كانوا يُحبِّذون السكن المنفرد أيضاً.

وفي الموضوع البسيط الذي أحبِّره أنا هنا لست في تفصيلات خطط البصرة القديمة[1] ومحلاتها وسككها بل أنَّ البحث المُبسّط هذا يدور حول محلاّته وضواحي

ظبيعة وبنو سدوس وبنو شيبان.

خامساً: محلة عبد القيس (والنسبة عبدي)

وهي واقعة على الطرف من الشمال الشرقي وأصلهم من البحرين متحرِّرة من بني تميم وزعماؤها من الجارودية وكانت لهم علاقات مع الفرس وقد ربطتهم بالمرزبان الساساني المشهور في الأهواز وهو (الهُرمزان) وقد أكَّد الأصطخري أنه والد زوجة الحسين بن علي«عليه السلام» كما اتصلوا بسلمان الفارسي، وذُكر أن زيداً الرئيس العبدي لبني صرحان كان تلميذاً لسلمان الفارسي وأن الجارود كان قد أسلم على يد سلمان، والعمور هم حلفاء عبد القيس وهي من الشيعة أما فروع عبد القيس فهي:

أ. بنو دبل بن نُقرة وكانوا بّحّارة في شواطيء عُمان واليمن.

ب. المُعذّل بن عَيلان.

(١) وقال ماسينيون في خطط البصرة ص٢٥ عن البصرة وهيأتها قبل الإسلام ((تعود البصرة إلى المنطقة الساسانية (أستان) المعروفة شاذ بهمن أي (طسوج بهمن أردشير وهي من أربعة مناطق هي:

أ. ميسان (ميلوا).

ب. دست ميسان (الأَبُلَّة = أبو لوكس).

ج. أبز قُباذ (مرهار).

د. أستان (شاذ بهمن) أي (طسّوج بهمن أردشير).

ومركز الرابعة هو منطقة الخُرَيبَة المسمّاة (بهشتاد باد أردشير) وهي منقسمة إلى سبعة دساكر (مَحلّات).

أ. بنو بكر: دسكرة (الزابوقة).

ب. بنو بكر: الدسكرة الأولى في الخريبة المنطقة الوسطى (باطنة).

ج. أهل العالية: في الدسكرة الثانية من الخريبة.

د. بنو تميم: هناك دسكرتان (الأساورة وبنو مجاشع).

←

ونواحي البصرة الحديثة وهناك جُزر ومقاطعات نَمرّ عليها مَرَّ الكرام بعد أن لا نتركها بدون سلام.

تذكر المصادر القديمة من المَحلاّت للبصرة الأولى على اختلاف في التحريف ولكن البحث يَتطلَّب الرجوع إليها قبل دخولنا في موضوعنا وهكذا نذكرها وهي:

ناجية وبخيرم والكرخ وابكن والتميمية والكلاء وحدّان وألحت وبنو سامة والعوقة ورباح وابن حربه وعتيب ودرب الحبش وجديد وجراز والحزيز وهذيل ودرب الجوف وبنو جرير والأزد والمسامعة وحمان ثم المِربد الذي أصبحَ بعد ذلك محلَّة كبرى.

أما أهم ضواحيها فهي:

الجويت والرصافة ودبا والشذا والزنبق وعبد اللاّن وداودان.

وهناك النواحي أيضاً وأهمها:

جشان ونهر حرب وبلاس وحرير والمقيم والعقر والمِشان والجعفرية ومرون والجُونه والحميدة والحويزة والصمد وشرير والعرش وسام وسعد والجزيرة العظمى والمنفردان.

أما المقاطعات فلأن البصرة القديمة كانت بعيدة عن الزرع والشط فإننا تركناها لنتَحدَّث عنها كمقاطعات للبصرة الحديثة.

ولمّا كان الحديث يجري الآن حول المقاطعات، فإذن لابدَ من درجها محاولين أن تكون بالتسلسل وبإيجاز وقد نقلناها عن التحفة النبهانية جزء البصرة صفحة ٤٣ للشيخ محمد النبهاني[1] وهي القرنة والمدينة والرجمانية[الرحمانية] وبني منصور

ه. الأزد: هناك دسكرتان (بنو عَدي وحُدّان).

هذا ما ذكره ماسينيون ويتبين لنا أن (الزايوقة، والخريبة، والأُبلّة) هي أسماء مواقع في البصرة وليست أسماء للبصرة.

(١) النص كما ورد في التحفة النبهانية في تأريخ الجزيرة العربية: للشيخ العلاّمة محمد ابن العلامة الشيخ ←

ومزيرعة ونهر العز والزريجي والمصطفانية والشاملي ولافية والشرش والنشوة والهارثة وكتيبان وباب قليع والهويري وجزيرة الصقر وجزيرة الأغوان [الأغوات] والشعيبة والخراب والكباسي الصغير ونهر حسن وكردلان والتنومة وكوت الجوع والصالحية والعجيراوية وكوت السني وكوت السيد وكوت الشيخ وكوت زعبر[ازعير] والدغيمان ونهر جاسم والدعيجي والسليمانية وكوت البوم وگرمة علي وگرمة ماجد وكوت الإفرنجي والجبيلة والخربطلية والرباط وأم الدجاج والخورة والمطيحة والسراجي والخضراوية وعويسيان وأم النعاج ومهيجران والفَجَّة ويوسفان وحمدان والسبيليات وأبو مغيرة وأبو الخصيب وأبو فلوس وبلجان والمطوعة والقطعة والزيادية والدواسر والفداغية والدورة والمعاصر[المعامر] والفاو وعبدليان وخريبط.

ومع هذا فإن المقاطعات التي تَحدَّثتُ عنها أو المحلاَّت هي مع توسّع البصرة

خليفة بن حمد بن موسىٰ النبهاني الطائي، الطبعة الثانية، المطبعة المحمودية، بمصر، سنة ١٣٤٢هـ، ص٤٣ ـ ٤٧ ((وفي داخل لواء البصرة عموماً نحو ٧٠ مقاطعة كبيرة وصغيرة والمقاطعة عبارة عن قرية وهاك أسماءَها من الشمال إلى الجنوب.

القرنة/ المدينة/ الرحمانية بني منصور/ المزيرعة/ نهر غز[العز] / الزريقي/ المصطفائية/ الشاملي/ لافية/ الشرش ومنها الشريشي شارح مقامات الحريري/ النشوه/ الهارثة/ قتيبان نسبة لُقتيبة بن مسلم/ باب قليع/ الهويري/ جزيرة الصقر/ جزيرة الأغوات/ الشعيبة/ الخراب/ الكباسي الصغير والكبير/ نهر حسن/ قردلان/ تل نومة(والعوام تقول تنومة) / كوت الجوع/ الصالحية/ العجيراوية/ كوت السنية/ كوت السيد / كوت الشيخ / كوت إزعير / نهر جاسم/ الدعيجي/ السليمانية/ كوت البوم/ قرمة علي/ كوت افرنجي/ الخربطلية وهي للحاج محمد والحاج عبد الله إبني رجب المير / الرباط/ أم الدجاج/ العشار/ الخورة/ المطيحة/ السراجي/ الخضراوية/ عويسان/ أم النعاج/ مهيجران/ الفجّة (فجّة العرب)/ يوسفان / حمدان/ اليهودي (يهودي عتكر)/ السبيليات/ أبو مغيرة/ أبو الخصيب/ أبو فلوس/ بلجان/ المطوعة/ القطعة/ الزَّيادية/ الدواسر/ شهلة الفداغية/ الدورة / المعامر/ الفاو/ عبد اللّيان نسبةً لعبد الله بن أبي بُكرة/ خريبط)).

وازدياد بنائها وبناء المعامل والمدارس والجامعة والكليات أَوجدت وتوجد بين الحين والآخر اسم محلّة أو مقاطعة جديدة حتى أنّ بعض الأسماء تظهر غريبة على البصري الذي لا يتابع ما تحدد من أسماء، ولندرج أسماء محلاّت مدينة البصرة الحالية وهي تَتكوّن من:

محلة السيف[1]، والقبلة[2]، وشيخ حبيب[3]، والمشران[4]، والحكاكة[1]، والديوانية[2]،

---

(١) تقع هذه المنطقة على حافة نهر العشار من الجهة الجنوبية ومحلة السيف من المحلاّت القديمة ويرجع تأسيسها إلى الوالي ياس باشا (١٥٤٦ ـ ١٥٤٩) الذي شيد ديوان خاص لدوائر الحكومة في البصرة أطلقَ عليه السراي أي دوائر الحكومة ثم تم بناء سيف (مخزن) كبير على الحافة الجنوبية إلى نهر العشار لخزن البضائع الواردة من شط العرب في هذا المكان ومن هنا أطلق عليها السيف. والسيف تضم تسع محلاّت هي: ١ـ الخربوطلية ٢ـ محلة البلوش ٣ـ محلة سيد عثمان ٤ـ محلة الديالم ٥ـ محلة بركة محمد تختة ٦ـ محلة حوش الباشا ٧ـ محلة أبو منارتين ٨ـ محلة الكوت ٩ـ محلة الخشابة (ينظر: مقال محلاّت مدينة البصرة في العهد العثماني: د. طالب جاسم غريب، مجلة اشراقات، الصادرة على مركز دراسات البصرة / جامعة البصرة، السنة الأولى، كانون الثاني، سنة ٢٠١١، العدد صفر، ص٣٢ ـ ٣٧)

(٢) القبلة: سُميت بهذا الاسم كونها تقع قبلة مركز المدينة في البصرة أي غربي المدينة، إذ تمتد من الشمال إلى الجنوب تبدأ حدودها من نهر العشار شمالاً حتى سور البصرة جنوباً. (المصدر نفسه)

(٣) شيخ حبيب: أو محلة حبيب الله وتقع ضمن منطقة القبلة في الجهة الشمالية الغربية لمدينة البصرة، سُميت بهذا الإسم نسبةً إلى الشيخ حبيب الله صاحب الحلقة القادرية الذي عاصر الوالي سنان باشا (١٥٨٦ ـ ١٥٨٩) م.(المصدر نفسه)

(٤) لعلّها المشراق: إذ سُميت بالمشراق لأنها تقع شرق مركز المدينة وفيها ثماني محلاّت هي:

١. الكواز.
٢. محلة حسن داده.
٣. محلة المقبرة.
٤. حلة الشيخ عبد الباقي.
٥. محلة المجموعي.
٦. حلة ميدان العبيد.
٧. محلة شيخ جوهر.

والكـــواز[٣]، وبســـتان قصـــب[٤]، وجســـر العبيـــد[٥]، والعـــروة[٦]، ومحلـــة أبي الحسن[٧]،وجســـر الملـح[٨]، والمجَصّـة[١]، ويحيـى زكريـا[٢]، والســـيمر[٣]، ونظـران [١]،

---

٨. محلة سيد درويش (المصدر نفسه).

(١) محلة الحكاكة: كانت تسمى محلة مصطفى باشا تقع بالقرب من محلة سيد طالب أو انقسمت منها وسُمّيت بهذا الاسم كما يُعتقد (لحك الأواني الفخارية). (المصدر نفسه).

(٢) في بداية تأسيس هذا المحلة سُميت الديوانية وقد بنتها عائلة مغامس عند نزوحها إلى البصرة ولكن من خلال سجلات المحكمة الشرعية تبين أن الديوانية تعود إلى عائلة الرفاعي وان الدكتور حسين المصطفى يقرّ أن الأسرة الرفاعية المتمثلة بنقابة الأشراف نزحت في وقت متقارب من نزوح آل مغامس (وسُمّيت بهذا الاسم لوجود ديوان كبير لعائلة الرفاعي) وكذلك سُمّيت فيما بعد محلة سيد رمضان نسبة إلى سيد رمضان بن سيد درويش الرفاعي صاحب الحلقة الرفاعية، ثم سُمّيت محلة سيد طالب بن سيد درويش الرفاعي (المصدر نفسه).

(٣) محلة الكواز: سُمّيت بهذا الإسم نسبةً إلى محمد أمين الكواز صاحب الحلقة الكوازية وهي محلة قديمة يرجع تأسيسها إلى عام ١٥٩٩م.

(٤) بستان قصب: وهي من محلاّت منطقة جسر العبيد يمر نهر التاوري جنوب محلة بستان قصب وفيها حمام يُسمى حمام قصب وفيها تكية بستان قصب (كما فيها جامع يُسمى جامع الشيخ خليل ويقع شمالها مقام شريف علي (المصدر نفسه).

(٥) جسر عبيد: سُمّيت بهذا الإسم لوجود جسر في المنطقة التي يسكنها العبيد والذي يربط الجهة الجنوبية بالجهة الشمالية لعبور النهر المتفرع من نهر العشار كما يَحدّها نهر التاوري من جهة الغرب تُعد من المحلاّت القديمة والكبيرة في البصرة، إذ تأسست قبل عام ١٦٧٥م ولكن ازدهارها كان في عهد حسين افراسياب عندما أسس فيها جامعاً وقد أكد كبر حجم الجامع الرحالة نيبور الذي زار المحلة سنة ١٧٦٥م، (المصدر نفسه).

(٦) محلة العروة: وهي من محلاّت السيمر وتقع على نهر العروة حيث سُمّيت بهذا الإسم نسبة إلى النهر. (المصدر نفسه).

(٧) محلة أبي الحسن: سُمّيت بهذا الاسم نسبة إلى محمد أبي الحسن (المنزل المشاع فيها) وهي من محلاّت السيمر.(المصدر نفسه).

(٨) محلة جسر الملح: تقع على نهر المتفرع من نهر العشار ويقع فيها جسر مُعد للعبور إلى الجهة الغربية، والمحلة قديمة يسكنها إبراهيم باشا أحد ولاة البصرة وأعاد تعمير جامعها المُتسلِّم محسن محاسن ←

وهناك محلة صغيرة يُطلق عليها اسم محلة (تمر) بالقرب من جامع محسن محاسن ومحلة جسر الملح هي من محلات السيمر.(المصدر نفسه).

(١) المجَصَّة: وهي من محلات منطقة جسر العبيد وسُمّيت بهذا الإسم نسبةً لوجود مجَصَّة هناك. (المصدر نفسه).

(٢) محلة يحيى زكريا: وهي من محلاّت السيمر، سُمّيت بهذا الاسم لوجود مقبرة بهذا الاسم وهي موازية لمحلة القطانة من جهة الجنوب، ويمر في شمالها نهر متفرع من نهر العشار (المصدر نفسه)

(٣) محلة السيمر: محلة كبيرة تضم عدداً من المحلات تمتد من النهر المتفرع من نهر العشار غرباً عند شريعة بن نصري وحتى محلة الفرسي شرقاً ونهر العشار شمالاً إلى محلة محمد جواد جنوباً وتضم سوقاً كبيراً وتضم السيمر ست عشرة محلة صغيرة هي:

١. محلة الجولانة.
٢. دروازة الصبّة.
٣. محلة السيد إدريس آغا.
٤. دروازة الحمارة.
٥. دروازة الحاج عاشور.
٦. دروازة السماكة.
٧. محلة العروة.
٨. محلة الخضراوية.
٩. محلة سيد شبر.
١٠. محلة السوق.
١١. محلة شارع حميدي.
١٢. محلة أبو حسن.
١٣. محلة يحيى زكريا.
١٤. محلة البحارنة.
١٥. محلة جعفر الصادق.
١٦. محلة جسر الملح.

(المصدر نفسه)، وقد تكون السيمر من الصيامر الذين سكنوها في عهد الإمارة الأفراسيابية لتكون لديهم قوة ضاربة في مركز الولاية لأن أفراسياب تزوج منهم (تكوين البصرة الحديثة: د. حسن المصطفى ص٧٤).

والصبخة[٢] الكبيرة والصبخة الصغيرة ومحلة الباشا[٣] والصُفاة وعز الدين[٤]، والقطانة والمجيبرة[٥] والخضر[٦].

أما أهم محلاّت العشار فهي: المقام والجبل وأم البروم والساعي[٧]، والصالحية

---

(١) نظران: تقع على نهر العشار من جهة الجنوب (جنوب نهر العشار) ويقع غربها سور البصرة. (المصدر نفسه).

(٢) الصبخة: أو السبخة وتقع شمال نهر العشار يحدها من الغرب محلة جسر الغربان ومن الجنوب نهر العشار ومن الشرق محلة المعصرة ومن الشمال سور البصرة وفيها جبل يُسمّى جبل خمّاس نسبةً إلى خماس بن هيلان وتوجد فيها مقبرة تُسمّى مقبرة بن خماس (المصدر نفسه).

(٣) محلة الباشا: سُمّيت بهذا الاسم لكونها مسكن والي البصرة وكانت تسكنها العوائل المتنفذة. (المصدر نفسه) ومحلة الباشا هي محلة الديوانية سابقاً وهي مقر حكم آل مغامس وآل راشد وأسرة آل عبد السلام والأسرة الرفاعية (يُنظر: تكوين البصرة الحديثة: د. حسين المصطفى ص٤٤).

(٤) محلة عز الدين: تقع في محلة القبلة وسُمّيت بهذا الاسم نسبة إلى السيد عز الدين وكانت هذه المحلة موجودة قبل عام ١٧٦٥م يحدّها من الشمال الحديراتية ومن الشرق القطانة ومن الجنوب بستان قصب كما يمر شرقها نهر التاوري ويذكر (باشا أعيان خطأً أن هذه المحلة لم يكن لها وجود في العهد العثماني) إذ يقول أنها متصلة مع محلة بستان قصب ومحلة الصفا (وهذه المحلة لها وجود في سجلات المحكمة الشرعية ولكن لا وجود لمحلة الصفا) (المصدر نفسه).

(٥) المجيبرة: أي المقبرة وتقع ضمن محلة المشراق. (المصدر نفسه).

(٦) محلة الخضر: تقع غرب محلة الساعي ونهر العشار جنوبها. (المصدر نفسه).

(٧) محلة الساعي: وهي محلة قديمة ترجع إلى الشيخ جبارة الريّان وريث الحلقة الكوازية بعد الشيخ محمد الكواز والمحلة تابعة لمقاطعة العشار تحدّها من الشرق محلة المقام (مقبرة المقام) ومن الجنوب نهر العشار. (المصدر نفسه).

لم يذكر حامد البازي«رحمه الله» أسماء المناطق مرتبة بحسب موقعها الجغرافي، والأصح أنه توجد محلات صغيرة ضمن محلات أكبر منها وليست كلها بالمستوى نفسه، وهي كالآتي:

أولاً: محلة القبلة وتضم:

١. محلة القبلة.
٢. محلة حبيب الله.
٣. محلة الشيخ عمر الوحشي
٤. محلة الطبلكية
٥. محلة الديوانية
٦. محلة البهبهانية

←

٧. الشـربانية
٨. محلة السـيد حسن
٩. محلة عز الدين
١٠. محلة الجراريش
١١. محلة الشـيخ شوفان
١٢. محلة البنا
١٣. محلة الحكاكة
١٤. محلة الكوارخين

ثانياً: محلاّت المشـراق:

١. محلة الكواز
٢. محلة حسن دادة
٣. محلة المقبرة
٤. محلة شـيخ عبد الباقي
٥. محلة المجموعي
٦. محلة ميدان العبيد
٧. محلة شـيخ جوهر
٨. محلة سـيد درويش

ثالثاً: محلاّت السـيمر:

١. محلة الجولانة
٢. دروازة الصبّة.
٣. محلة السـيد إدريس آغا.
٤. دروازة الحمارة
٥. دروازة الحاج عاشور
٦. دروازة السماكة
٧. محلة العروة
٨. محلة الخضـراوية
٩. محلة سـيد شبر
١٠. محلة السوق
١١. محلة شارع حميدي
١٢. محلة جسـر الملح
١٣. محلة أبو حسن
١٤. محلة جعفر الصادق
١٥. محلة يحيى زكريا
١٦. محلة البحارنة

رابعاً: محلات السـيف:

١. محلة الخربوطلية
٢. محلة البلوش
٣. محلة سـيد عثمان
٤. محلة الديالم
٥. محلة بركة محمد تختة
٦. محلة حوش الباشا
٧. محلة أبو منارتين
٨. محلة الكوت
٩. محلة الخشابة

خامساً: محلاّت جسـر العبيد:

١. محلة بستان قصب
٢. محلة محمد جواد
٣. محلة المجَصَّة
٤. محلة خان زكار

سادساً: محلات مقاطعة العشار:

←

والدوكيارد والمناوي وأم الدجاج (التميمية) والرباط الكبير والرباط الصغير والطويسة والحسينية والبروان.

وهناك أحياء كثيرة متصلة بالبصرة والعشار أهمها:

حي المعلمين والأصمعي والجمهورية والموفقية وحيّ الجمعيات وحي الحسين (الحيانية) والحي الصناعي وصبخة العرب والحي العسكري وحي المشراق ومنطقة المعقل[1] توابع كثيرة تبدأ من الحكيمية وحي شركة النفط والجبيلة والجنينة

---

١. محلة الفرسي
٢. محلة العباس
٣. محلة مهناوي البيك.
٤. محلة بنات عزاز
٥. محلة الكزارة

سابعاً: المحلاّت التي تقع شمال نهر العشار:

١. محلة جسر الغربان
٢. محلة نظران
٣. محلة السبخة
٤. محلة المعصرة
٥. محلة الخضر
٦. محلة الساعي
٧. محلة المقام.
٨.

(١) المعقل: نُسِبت المعقل الحالية لنهر المعقل وعُرِفَت كذلك بكون الإفرنجي أما التحريف الذي نسمعه حيث تسمى المعقل ماركيل أو ماركين فهذا محدث بعد الحرب العالمية الأولى في البصرة.

ومن مناطق المعقل:

(١) محلة خمسه ميل(الهادي): سُمّيت بهذا الإسم لوقوعها على بُعد خمسة أميال من محطة قطار البصرة القديم وقد نشأت هذه المحلة في الخمسينيات إثر التوسع الصناعي الذي رافق التطور في محافظة البصرة وقد سُمّيت بمحلة الهادي] وقد يكون السبب لوجود مطحنة عبد الهادي الجلبي فيها وهو جد السياسي العراقي أحمد الجلبي] .

(٢) الكزيزة: تقع هذه المحلة غرب محلة الهادي في المعقل وقد نمت وتطورت في الستينيات والإسم هو تصغير (گزارة) أي (الزجاجة المكسورة) باللهجة الدارجة وقد سمّاها أهلها بذلك نظراً لأن المنطقة كانت تُستعمل لرمي الأزبال وكان يغطي المنطقة كمية لا بأس بها من الزجاج المكسورة فَسُمّيت الكزيزة.

(٣) شط الترك: سُميت هذه المنطقة التي مدخلها عند نهر كرمة علي قرب نهاية مدرج مطار البصرة في ←

والأندلس وأم الفحم والكرمة وخمسة ميل ونهير الليل والأبلة.

إنّ هذه المحلاّت ولأنّها متصلة بعضها ببعض يصعب تثبيت إلحاقها ومعرفتها بين الناس حتىٰ ولو أنها كانت في تابعيتها مُدرَجة لدىٰ الدوائر الرسمية.

كان بودي أن أكتب مفصلاً عن هذه المحلاّت والضواحي والأكوات ولكن أرجأتُ ذلك إلىٰ كتابٍ خاص لا تزال مسوّدته عندي واكتفيت بهذه المعلومات القليلة وتَحدَّثت عن بعض المناطق والمحلاّت وتركتُ الباقي لأنّها تحتاج إلىٰ بحثٍ موسَّع.

وهناك أقضية للبصرة ونواحي منها القرنة وأبو الخصيب والفاو والزبير والسيبة والمدينة والهارثة وگردلان وسفوان والبِحار وأم قصر والدير. وأمامي الآن مصادر كثيرة لأسماء كثيرة هي من صلب الموضوع الذي قُلت أنني سأختصره ذاكراً البعض السهل والكثير الإستعمال والذي يحتاج إلىٰ الذكر، كي لا يُطمَس. وعليه فإنّ البحث ابتدأ من الجنوب إلىٰ الشمال شأن مَنْ يرسم للتدرج أو بالأحرىٰ أن الموضوع جاء علىٰ ترتيب أي خذ الموجود لا يضيع ثم حصّل علىٰ الباقي.

وحديثي عن منطقة أم قصر والتي كانت قديماً تسمّىٰ (الصابرية) نسبة إلىٰ سكانها من عشيرة الصوابر، أو لأنَّ ماءها كان مُرّاً مثل الصبر وقد بنىٰ بعض الموسرين وهو الشيخ يوسف الإبراهيم النجدي من منطقة الوشم منذ أكثر من

المعقل باسم شط الترك نظراً لقيام أسرىٰ الجيش العثماني (التركي) بحفرها حوالي عام ١٩١٥ وذلك لغرضين رئيسين كان أولهما الحصول علىٰ التراب اللّازم لإنشاء سدة ترابية يُمد عليها خط لسكة الحديد لربط منطقة الشعيبة بالبصرة والغرض الثاني كان تشغيل الأسرىٰ في عمل يدوي لقضاء الوقت بعمل مفيد.

(٤) أم الصبور: سُمّيت أم الصبور نظراً لوجود مَنْ يقوم ببيع سمك الصبور (الأصح هو السبور) وقد سُمّيت المنطقة بعد ذلك بالحي المركز في أواخر الخمسينيات نظراً لوقوعها في مركز مدينة المعقل. (ينظر مقال مع الدكتور محمد طارق الكاتب، مجلة الموانيء، سنة ١٩٧٢، مجلد١، عدد ١٠، ص٧-٨).

ثلاثة قرون قصرين في المنطقة التي كانت تدعى (الحجيجية) نسبةً لآل الحجيجي وهم قومٌ من الإحساء وهم أجداد والدي من الأم، وكان الأول في شمال البقعة والثاني في جنوبها.

القصد من بناء القصرين الصيد والنزهة، ثم لأنّ ساحلها يصلح لرسو السفن فقد أصبحت هذه المنطقة نقطة تفريغ حمولات السُفن القادمة من الخليج العربي كما وأن تجارة البصرة أصبحت تُنقل إليها بواسطة بر الزبير وباتت بعد ذلك منطقة تهريب بعد وفاة مؤسسها الشيخ يوسف النجدي وانتقال آل الحجيجي مرةً ثانية إلى الإحساء بعد اصطدامهم مع والي البصرة.

المنطقة لا تبعد عن البصرة أكثر من ٧٥ ميلاً، وفي سنة ١٨٠٢م أسس أحمد بن رزق التاجر البصري الذي أصله من الزبّارة قصراً في هذه المنطقة فسُمّيت المنطقة باسم أم قصر وهي اليوم ميناء مهم للبصرة على الخليج وفي هذا الميناء تتوفر جميع لوازم الشحن والتفريغ وغيرها.

وكذلك نَتَحدَّث عن الفاو والذي أصله (فأو)[1] أي الطريق المائي المنبسط بين مرتفعين ومنطقة الفاو عبارة عن لسان مائي أو كما قيل إنّ (الفاو) معناه الخبز في البرتغالي حينما كان البرتغاليون يسيطرون على الخليج العربي في القرن السادس عشر وكانت هذه المنطقة مهبط نزولهم فيها للراحة وشراء الخبز من أهلها.

ونجيء إلى أبي الخصيب الواقع على نهر أبي الخصيب الذي حفره مرزوق قائد

---

(١) كلمة الفاو في الأصل (الفأو) وتعني الأرض المكشوفة للناظر أو الأرض المحصورة بين مرتفعين وأن سكان المنطقة يسمّون كُلَّ منطقة محصورة بين حاجزين ومفتوحة من الأمام (بالفاي) أي الفراغ وهناك منطقة شمال المُحمّرة (خرم شهر) خالية من النخيل وتطل على شط العرب تدعى الفيّة لخلوها وانكشافها وكذا جاءت كلمة (الفأو) الفج الواسع بين جبلين ولما كان الفاو يطل على مدخل الخليج العربي فهو مكشوف أمام الناظر إلى الجنوب ومن هذه التعاريف اشتق اسم الفاو.(قضاء الفاو: سالم سعدون المبادر، ص١٧).

الجيش العباسي سنة ١٤٥هـ ـ ٧٦٢م وشيد عليه الأبنية والقصور فكَثُرت العمارات وسكنت المدينة النُخبةُ الثرية من البصريين واشتروا الأملاك وزرعوا النَخلَ حتى صارت المنطقة جنائن الدُنيا خاصة وأن فروع نهر أبي الخصيب كانت بنخيلها تكوِّن غابةً تحتها عرائش العنب والفواكه.

ثم القرنة[1] والتي كان اسمها مطّارة ولم يكن دجلة ليلتقي مع الفرات فيها، وهي قديمة البُنيان، حتى يُقال أنها كانت من نصيب سلوقس من أولاد الإسكندر المكدوني وقد شيدَّ القرنة لزوجته. وفي سنة ١٦٠٦م عهد علي باشا جُدد بناء المدينة وسورها بخندقين مع سور قوي وحَشَدَ فيها حاميةً كبيرة ليجعلها قلعةً تصد الأعداء عن إمارته البصرية وقد سمّاها (العَلية) نسبةً إليه. وفي هذه المدينة شجرةٌ قديمة من البرهام. أصبحت تُعرف بشجرة آدم أو شجرة إبراهيم على حساب أن القرنة هي جنة عدن التي وعد الله بها المتقين في الكتب المقدّسة.

وبالقرب من القرنة (المدينة) عاصمة إمارة آل عليان[2] التي حاربت الأتراك وكسرتهم عدة مرات لكنهم جمعوا لها الجموع للقضاء عليها، لأنهم مستعمرون ولا يريدون قيام إمارة عربية تحكم نفسها. ومن أهم توابعها الجزائر والجبايش والإسكندرية وقضاء الزبير بن العوّام وكانت قبل سنة ١٥٧١م لا تضم الاّ قبر الزبير فقط ولكن بعد أن أمر السلطان العثماني سليم بن سليمان أن تُبنى قُبة على

(١) مساحة قضاء القرنة الكلية ٢٠٧٣ كيلو متر مربع وكانت تُسمّى المطّارة لكثرة ما ينزل بها من أمطار وأول من عَمَّرها علي باشا أفراسياب سنة ١٠١٣هـ، ولكنها كانت موجودة قبل هذا التأريخ وأن البرتغاليين أقاموا فيها محطة تجارية في القرن السابع عشر: وأُحيطت بسورٍ مزدوج وترابط فيها حامية عسكرية. (مُسمّيات البصرة: عبد الله رمضان آل عيادة، ص٣٥ ـ ٣٦).

(٢) حول هذا الموضوع وصراعات آل عليان مع آل افراسياب والأتراك والصراع في منطقة المدينة والجزائر والأهوار والخلاف مع العثمانيين، ينظر: كتاب (المدينة جزائر البصرة في العهد العثماني (١٥٤٦ ـ ١٧١٨م) دراسة في الأحوال السياسية)، وهناك خلاف كبير بين المؤرخين حول طبيعة الصراع في تلك المناطق آنذاك.

ضـريح الزبير ويُبنىٰ جامعه فقد بدأ الناس ببناء بيوتهم حول الضـريح ثـم ازدادت الأبنية بعد هجرة بعض النجديين للسكن وصـارت الأسـواق عـامرة نظـراً لوقـوع الزبير علىٰ طرق القوافل، وفي العهد العثماني كان لهذه البلدة نظام حكم خاص فهـي مشـيخة وأهلها غير خاضعين للجندية وحتىٰ أن الـزبير في الحـرب العظمـىٰ الأولىٰ كانت علىٰ حياد بين الإنكليز والأتراك علماً بأنها بلد عـثماني وهكـذا إلىٰ سـنة ١٩٢٠ حيث أصبحت ناحية، وكان أول مدير ناحية لها هو لفته أفندي.

ومن مناطق البصـرة شـرق شـط العـرب گردلان وهـي قلعـة مقابلـة للعشـار وكذلك التنومة[1] سُمّيت بالنسبة لأرضها التي كانـت تُنبِـت التنـوم وهـو نـوع مـن الأشجار الشوكية له ثمر أسود مُشـرب بـالحمرة يبـدو كـالقمر المخسـوف وهـو لا يُؤكَل.

ومما تجدر الإشارة إليه أن أهل البصـرة كـانوا إذا أرادوا نسـبة أرضٍ أو محلـةٍ أو مقاطعةٍ إلىٰ شخصٍ أضافوا الألف والنون إلىٰ آخره فقالوا في حمـد حمـدان ويوسـف يوسفيان وعويس عويسـيان وهكذا قُرىٰ جنوب البصـرة كـذلك مهيجـران وعبـد

(١) التنومة: بلدة من بلدات شط العرب رقم المقاطعة ١٢ وعدد القطع الزراعية فيها ٤٣ قطعة. وكانـت أغلب بساتينها موقوفة للحرم النبوي الشـريف. كان فيها مستشـفىٰ كبـير للجـيش العـثماني، وبعـد الاحتلال البريطاني للبصـرة عام ١٩١٤ استُعمِل هذا المستشفىٰ دائرةً للميناء مـن قبـل المـدير العـام الكونيل (وورد) قبل إنشاء ميناء المعقل ويمتلك جبرائيل أصغر صاحب شـركة (بيت أصـغر) عـام ١٩٠٩م قسماً من أراضـي التنومة، وكانت أول قاعدة جويـة للجـيش البريطـاني في العـراق هـي في التنومة أي عام ١٩١٥ قبل بناء قاعدة الشـعيبة. (مُسـمّيات البصـرة: عبـد الله رمضـان آل عيـادة، ص١٣٦) وأنجبت هذه المدينة كوكبة رائعة من الأدباء مـنهم الشـاعر أحمـد مطـر، والشـاعر قصي الشـيخ عسكر، والكاتب صباح عطوان، وقد كتب الأخير رواية عنوانها (تنومة).

وقيل كذلك سُمِّيت علىٰ اسم شجر التنوم (وهو يشـبه الحنّـاء وكـان يُسـتعمل للزينـة وصـبغ شـعر النساء).

وقال النبهاني في التحفة: (هي تل نومة وليس تنومة) ص٤٤.

اللِّيان.

وهناك أيضاً من القرىٰ الدورة والمخراق والزين وغيرها قرىٰ كبيرة جداً وذات حاصلات غنية وخاصة بالتمور والفواكه ولكن البحث تجاوزها لوقتٍ آخر واخترنا البعض للتحدّث عنها وهي من محلاّت البصرة الأصلية أو قُراها ونبدأ بمحلة السيف.

حيث كان سيف الطعام في وسط المدينة وهي مشهورة بالشناشيل ولقد جاءت الأغنية الفولكلورية البصرية لتقول:

شناشيلك يا سيف اليومبيه الليل يحلة النوم
ياريت المحبة اتدوموا سمع ضحكة الحلوات
فدوة للشناشيلات

كذلك محلة المشراق[1] حيث أُخذت الكلمة من التشاريق حيث تسمىٰ النجفة

---

(١) تعد محلة المشراق من محلاّت البصرة التي أُسِّسَتْ في بداية القرن السادس عشر الميلادي، والمحلة أكثر ارتفاعاً من الأماكن المجاورة لها ومن ثم تكون أكثر تعرّضاً للشمس وكان البصريون يسمّون المكان المُشمِس (مِشراق) وأول ذكر للرحالة الأجانب للمشراق جاء علىٰ لسان الرحالة الإيطالي(كاسبا روبالي) سنة ١٥٨٠م وهي المحلة الشعبية الأولىٰ في البصرة وتحتوي علىٰ سوقٍ كبير طوله ٣كيلو مترات وقد لاحظ ذلك الرحالة البرتغالي (تيخيرا) سنة ١٦٠٤م... يبدأ القسم الأول من سوق المشراق من جامع الكواز علىٰ شكل أزقة بُنيت علىٰ جوانبها الدكاكين وأمام كل دكان مكان يسمىٰ (المسطبة) يجلس عليه البائع ومَنْ يتردد عليه من الأصدقاء وبعض المتبضِّعين.... وبقي هذا السوق يمارس نشاطه الإقتصادي والإجتماعي حتىٰ نهاية القرن التاسع عشر الميلادي وانقسمت محلة المشراق في القرن السابع عشر الميلادي إلىٰ سبع محلاّت هي (المجموعة، والمقبرة (المجيبرة) أو (المقبرة)، وبستان قصب، والفحّامة، والبند، وحسن دادة، ومرجان وهذا ما ذكره الدكتور حسين المصطفىٰ في مجلة الخطوة الصادرة عن مركز تراث البصرة في عددها ٧ ص١٠٤ سنة ١٤٣٨هـ ولكن عند مراجعتي رحلة تيخيرا لم أجد ما ذكره الدكتور عن ورود المشراق فيها. ورحلة بيدرو تيخيرا (من البصرة إلىٰ حلب عبر الطريق البري ١٦٠٤ ـ ١٦٠٥) ترجمها وعلَّق عليها الدكتور أنيس عبد الخالق محمود ونشرتها المؤسسة العربية للدراسات والنشر بيروت ط١ سنة

←

أيضاً وهي محل تساقط الغيث لأنّ المحلة كانت بها [مصطاحة] المناخ وجلوس الناس فيه.

ومحلة جسر العبيد المُسمّاة اليوم (الخليلية) وكانت مربض القوميين بعد سنة ١٩٢١ حيث ان جُل أهلها كانوا ضمن حزب الاخاء الوطني كما وأنها اكتسبت أيام الحكم العثماني سمعةً وهيبةً حتى قال الشاعر:

مَنْ أراد الوصل للحبل الوريدفليبات الليل في جسر العبيد

وهناك محلة السيمر وهي مركز العلماء والأجلاّء من المؤمنين حتى لُقّبت (جنة البصرة) لأنّ أهلها تقاة. وكانت تكثر فيها المجالس الليلية الخاصة بالعوائل والمكتبات الخاصة والعامة والسوق وكذلك محلة الصُفاة أو التي كانت أحياناً تُسمى سوق الدجاج حيث فيها المركز التجاري وأنواع عديدة من الأسواق، منها سوق العبايچية وسوق الصفافير وسوق المُخضرات وتجار الحبوب والأغنام والقصّابين والسمّاكين ووسائط النقل ومركز الشرطة.

ومن المحلاّت أيضاً القِبلة حيث فيها دار نقيب البصرة وهي ملاذ البصريين وكان الداخل إلى البصرة وخاصة إلى هذه المحلّة ودار النقيب آمناً من مطاردة السلطات العثمانية وموقعها قبلي مدينة البصرة. وكانت ضمن محلة كبيرة تدعى (الديوانية) ثم قُسِّمت إلى ثلاث محلاّت هي القبلة والحكاكة والحدادة، ولقد كانت محلة القبلة يوماً ما مركز الحركة القومية العربية في مطلع القرن العشرين.

وهناك منطقة نهير الليل[1]، وهذه التسمية جاءت بعد الحرب العظمى الأولى

.٢٠١٣

(١) وهو نهرٌ يتفرّع من نهر شط العرب يخترق مدينة البصرة تحدّه من الجنوب منطقة الرباط ومن الشرق شط العرب ومن الجنوب الشرقي قصر الشيخ خزعل سُميّت المنطقة بهذا الإسم لأنّ المهربين كانوا يختبئون به ليلاً مع بضاعتهم. شُق هذا النهر في العهد العثماني وهو مجرى مائي مغلق وتوجد حوله مكائن لطحن الحبوب والغرابيل ومن الادباء الذين عاشوا في هذه المنطقة الشاعر البصري ←

حيث كان هناك نهر يَتفرَّع من شط العرب ومتجهاً إلى المقبرة الإنكليزية وقد استخدمه المُهرّبُّون حيث كانوا يُخبّئون الأموال المُهرَّبة ومنها السلاح ليلاً. أما في النهار فهو كنهر عادي ولذلك أُطلق عليه نهير الليل. والنهير هو مصغر نهر، وفي هذه المنطقة ديوانية آل عساف والتي يرجع تأريخ تأسيسها إلى سنة ١٠٨٤هـ ١٦٧٣م ولا تزال عامرة عدا بعض التصليحات كما تُسمى أيضاً باسم آل ضاحي وآل ناهي والأخير هو الأصل.

وأتصوّر أن هناك الكثير من الناس لا يعرف منطقة بصرية وفي ضاحية العشار اسمها(البروانة) وهي تقع على شط العرب بالقرب من الدوكيارد (المَسفَن) وسُمَّيت نسبة إلى البروانة وهي مروحة الباخرة وذلك سنة ١٩١٠م.

كاظم الحجاج والشاعر والكاتب علي نـگيل أبو عراق الذي كتب ديوان شعر عنوانه نهير الليل والقاص والأستاذ في جامعة البصرة الدكتور عبد الجبار الحلفي والذي كتبَ مقالاً عنه يقول فيه: ((في عام ١٩٥٧ حدث أمرٌ غريب في (نهير الليل) وربما لم يحدث قبل هذا ولن يحدث بعده للمدينة بأكملها فقد رَسَت باخرة صينية في وسط شط العرب قبالة فم النهر وعَرَضَ بحارتها على الأهالي شراء ما يصطادون من سلاحف بـ (١٠ فلوس) لكل سلحفاة وكان ذلك ثمناً مغرياً.

هرع الناس رجالاً ونساءً إلى النهر بحثاً عن السلاحف التي يزخر بها النهر غير مبالين في بداية الحملة بما ينتظر أرجلهم من بقايا الزجاج وعيدان القصب السميكة الثابتة وشظايا الصفيح وأشياء أخرى جارحة، عشرات الآلاف من السلاحف استقرّت في الزنابيل وخلال ثلاثة أيام كانوا يمسكون السلاحف ويتحاشون السمك الخشني والحمري، خلا النهر من أحد ساكنيه تماماً وهي السلاحف بعد ذلك بأشهر قليلة مات عدد من الأهالي بمرض (الگزاز) وآخرون أُصيبوا بالعوق ولم تظهر السلاحف في النهر بعد ذلك الحدث الاّ بعد شهورٍ عدة.

كانت حرائق نهير الليل كثيرة جداً لأن أغلب البيوت هي أكواخ من القصب والصرائف وعند حدوث الحرائق تتحول المنطقة إلى رماد لآنتشار النار فيها بسرعة خاصة مع الريح الشمالية لأن هذه البيوت تعود للحمالين والعاملين في المطاحن والچراديق والغرابيل وهم الفقراء طبعاً) (يُنظر: مجلاّت بصرية مجلة نهير الليل: د. عبد الجبار الحلفي، مجلة الخطوة، الصادرة عن مركز تراث البصرة، عدد ٨، سنة ١٤٣٨هـ، ص١١٦ ـ ١١٩) وقد انتقل أهالي هذه المنطقة الفقراء إلى منطقة الفيصلية أو الجمهورية كما سُمّيت في العهد الجمهوري وإلى الحيانية ومناطق أخرى.

لقد أُسِّسَ في هذه البقعة معمل وبعض بيوت العمال وحُوِّطَت بالأسلاك الشائكة وكان بعض العمال تقع بيوتهم خلف الأسلاك وبمرور الزمن أصبحت البيوت كثيرة، واكتسبت المنطقة اسم البَروانة حيث كانت مئات منها مرمية داخل الأسلاك.

وفي سنة ١٨٦٢ عُين لولاية الصرة الحاج علي أفندي (وكيلاً) وقد حدث في ربيع تلك السنة ارتفاع في المياه ظهرت على أثره أسراب من الطيور المُسمّاة (نعيج الماي) وكانت تكثر خاصة في منطقة منخفضة حول سور البصرة وبعد امتداد نهر الخورة وباتجاه الصحراء فكانت بحيرة أو هور غَطَّته الألوف من نعيج الماي التي هَرَعَ إليها الناس ليصطادونها ثم بعد انحسار الماء أُبقي الإسم على المنطقة باسم مَحلّة أو منطقة أم النعاج فهي ليس كما يَتصَوَّر البعض أنّ نسبتها إلى أُنثى الخروف (النعجة).

وقالوا أن (الصنگر)[1] لفظ معناه (القلعة) تتخذ للإلتجاء إليها أثناء الحصار وأنَّ جمعه صناگر وأنها تُدعى أيضاً (المفتول) وأن آثار هذا المفتول لا يزال في منطقة الصنگر إلى اليوم وهو على شكل بناء متهدِّم وكان أيام الدولة العثمانية فيه عدد من العساكر وقال عبد الحميد حسن في ص٣٨٣ من عدد مجلته الخاص (الهدف) عن البصرة أن مرقد المقداد بن الأسود الكندي في قرية الصنگر كما قال في ص٣٨٤ من نفس المصدر أنَّ مرقد سهل بن عبد الله التستري ويُعرف لدى العامة بمقام حمزة يقع في الصنكر.

كما قال صاحب كتاب البصرة في أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين أن مرقد يحيى بن موسى من أولاد محمد الجواد«عليه السلام» وقبر المقداد بن الأسود الكندي في قرية الصنگر.

---

(١) الصنگر: قرية من قرى أبي الخصيب رقم المقاطعة ٥٣ وعدد القطع الزراعية فيها ٢٥٨ قطعة ومساحتها ٥١٦ دونماً، وهي تابعة إلى مقاطعة الحمزة... وفيها مرسى للسفن البحرية (صنگر) لتصليح السفن وعليه سُمّيت هذه القرية بالصنگر (مُسمّيات البصرة: عبد الله رمضان، آل عيادة ص٦٥).

والآن نأتي إلى منطقة الزين المقابلة للمُحمَّرة حيث قيل أن هذا الإسم جاء لآنّ صاحب الأرض كان جميلاً فَسُمِّي زيناً[1]. كما قال آخرون أنّ الزين هو عُرف الديك ولما كانت هذه الأرض مرتفعة عن النهر سُمِّيت (زين).

وهناك نهر الزين الذي تخرج منه خمسة عشراً نهراً من حولها بساتين، وقيل إنّ المنطقة كانت تُنبت مياهها اشجاراً كان أبناء المنطقة يعملون من أخشابها رماحاً واسم هذه الأشجار الزين. ويقول صاحب كتاب البصرة في أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين أن أولاد عقيل] ابن أبي طالب]واحد منهم قبره في الزين.

ونُعرّج على منطقة (بلچان) والعامة تُسمّيها (بلجان)[2] وهي من البلج أي

(١) كوت الزين: قرية من قرىٰ التابعة لقضاء أبي الخصيب رقم المقاطعة ١٢ كانت لرجل يقال اسمه حسن الصوري ذو جمالٍ باهر من مدينة صُور العُمانية من خيرة رجال العرب أتىٰ من البادية وعَمَّر هذه الأرض فسُمِّيت باسمه وفيها قبر (مير أبو الحسنين) سليمان بن علي العباسي والي البصرة سنة ١٣٢هـ.(مُسمّيات البصرة: ص٧٦) وفي هذه المنطقة جرت معركة كبيرة بين القوات البريطانية والقوات العثمانية ومَنْ معها في تشرين الثاني سنة ١٩١٤ عند احتلال البصرة.

(٢) قرية بلجان: والبلجانية مقاطعة واحدة رقمها ١٦ وعدد القطع الزراعية فيها ١٣٥ قطعة ومساحتها ٤٧١٨ دونماً، وتتبعها قرية بلجين وفيها نهر گاروس (قرية گاروس) ومساحة قرية بلجين ٨٩٩ دونماً. كانت مشرب الناس في بداية تمصير البصرة سنة ١٤هـ والمكان المُسمّىٰ بدير قاووس من الأملاك الخاصة للسلطان عبد الحميد الثاني أواخر العهد العثماني (مُسمّيات البصرة: عبد الله رمضان آل عيادة، ص٧٥ ـ ٧٦) وعن هذه القرية قال إبراهيم بن صبغة الله الحيدري ت ١٢٩٩هـ كلاماً يشبه الأساطير، إذ قال: ((وبلجان كما أهل التواريخ: أنه في الأصل بولجان وهو نهرٌ واسع وكان يأخذ من نهر جندب الذي هو نهر البصرة القديمة وجندب هو أبو ذر الغفاري الصحابي رضي الله تعالىٰ عنه، وهو مدفون بجانبه الشمالي وآثار نهر جندب ظاهرة والقبر المنّور ظاهر وبلجان المذكور هو ذنب نهر جندب وقيل لما غضب الله تعالىٰ علىٰ إبليس أمر بهبوطه إلى أرض بلجان فوقع في النهر المذكور وسكان بلجان إلى الآن إبليس البصرة على ما حَدَّثني بذلك الشيخ علي الخصيبي)).

الفرضة بين الحاجبين ويقول ياقوت الحموي[1] في معجمه أن بلجان نهر كبير بين البصرة وعبادان وأني رأيته مراراً آخره سنة ٥٨٨هـ (١١٩٢م) وفي بلجان فرضة كبيرة لمراكب كيش التي تحمل البضائع إلى الهند.

أما سيحان فمُلك المنطقة كان موقوفاً على حلقة الذكر القادري المنسوب للشيخ حبيب الله والمنطقة محدودة قبله بالسبخ وشمالاً بملك عبد الله بن عيسى الكويتي وشرقاً بشط العرب وجنوباً بالخست وهو أول حدود منطقة الدواسر وأن سيحان نهرٌ عظيم.

ويقول شارل بلان[بلّا] في صفحة ١١١من كتابه الجاحظ: وقد شوهِدَ الجاحظ يبيع السمك والخبز على ضفته[2].

كتاب عنوانه المجد في بيان أحوال بغداد والبصرة ونجد تأليف إبراهيم بن صبغة الله بن أسعد الحيدري ت ١٢٩٩هـ طبعة دار الكتب العلمية بيروت سنة ٢٠١٠ ص١٤٢، وهذا كلام أساطير وأن وفاة أبي ذر الغفاري كانت في الربذة وليس في البصرة أما نزول إبليس في بلجان فهو من الخرافات وقصص العجائز.

(١) لم يقل ياقوت الحموي إن بلجان نهر بل قال هي قرية ونصّه هو في معجم البلدان المجلد الأول ص٣٧٧ ((بَلجانُ: بالفتح ثم السكون وجيم وألف ونون قرية كبيرة بين البصرة وعبّادان رأيتها مراراً آخرها سنة ٥٨٨هـ أو بعدها وهي فرضة مراكب كيش التي تحمل بضائع الهند وبعدها قلعة ووالٍ من قبل ملك كيش ليس لمتولي البصرة معه فيها حكم ثم جرى بين صاحب كيش وصاحب البصرة خلافٌ أدّى إلى تحويل أصحاب ملك كيش إلى بُليد في طرف جزيرة عبَّادان من جهة البصرة تُسمّى المُحرِزة وصارت فرضة المراكب وهي باقية على ذلك إلى هذا الوقت، وبلجانُ أيضاً من قرى مَرو)).

(٢) النص في كتاب (الجاحظ) لشارل بلّا ترجمة الدكتور إبراهيم الكيلاني، دار الفكر، دمشق، ط١، سنة ١٩٨٥، ص١١٠ ((إنّ المستند الوحيد الذي في حوزتنا يعود إلى مصدر متأخر فإن المرزباني يؤكد بأن الجاحظ شوهِدَ يبيع الخبز والسمك بسيحان وهو نهر بالبصرة حفره يحيى بن خالد البرمكي وزاره هارون الرشيد عند عودته من مكة في أوائل سنة ١٨٠هـ فإذا كان الجاحظ حقيقة قد باع الخبز والسمك بسيحان فيكون ذلك بعد سنة ١٨٠هـ أي عندما كان عمره عشرين سنة على الأقل)).

ثم نَتَحدَّث عن منطقة الدواسر التي تقع بين مقاطعتي شيهان [سيحان] والدورة على الجهة الغربية من شط العرب وهي من أعظم مناطق البصرة في حاصلات التمور حيث كانت الشركات الأجنبية ومنها شركة الهند الشرقية ذات المصالح في تمور الدواسر تحرص على سلامة المنطقة من هجمات العشائر كما كانت تحرص على أمن سفنها الراسية هناك بتسليح أهل المنطقة.

وسُمّيت الدواسر بالنسبة لعشيرة الدواسر وهم عربٌ من نجد ولها ثلاثة أكوان على ثلاثة أنهار هي نهر الخست ونهر السيبة ونهر كوت خليفة أما الأنهار الصغيرة الملحقة بها فهي أكثر من ستين نهراً عدا الجداول التي تبلغ أكثر من مئتي، علماً بأن طول منطقة الدواسر يعادل طول المقاطعات السبع التي تتكوَّن منها البصرة. ومما يُلاحظ أنّ بعد الدواسر تأتي قرية الفداغية ثم دورة إبراهيم.

والآن مع منطقة المعامر وهي شمال منطقة الفاو وكان اسمها القديم (الدكاك) وفي زمن والي البصرة رضوان آغا ١٨١١م عمرّها راشد السعدون فسُمِّيت بالمعامر وهي تضم الكثير من الأنهار والنخيل.

وكان راشد السعدون قد اشترى أيضاً منطقة المطَوَعة والبهادرية والفاو ووقف حاصلات البهادرية على فقراء المدينة المنوّرة كما وأنه أهدى منطقة الفاو إلى شيخ الكويت.

وتذكر سفوان والذي لا بأس إذا قيل صفوان أيضاً لأنَّ كلّاً من معنى الأول والمعنى الثاني تتم صفاتها في هذه المنطقة.

فإذا قِيل سفوان من سَفَّ التراب يَسفُّ كان يجب أن يأتي بالمصدر (سفياناً) ولكن جاء سفوان على غير قياس كما وأن صفوان وهو الحجر الأملس[1] له أثر في أرض سفوان حيث يكثر هذا الحجر. وقال الشاعر البصري قديماً:

جارية بسفوان دارها ... تمشي الهوينا مائلٌ خمارُها

(١) جاء في القاموس المحيط ٤/ ٢٣٦ مادة (سفنه) والسّفَنُ مُحرَّكة جلدٌ أخشَنُ وحَجرٌ يخت به)

كما قال أبو نؤاس[1]:

يـــا حبـــذا ســـفوان مـــن متربـــعٍ إذ كـــان مجتمـــع اللـــوىٰ ســـفوانُ

سفوان قديماً مُتنزَّه البصريين ومجتمع اللّوىٰ وفيه الجارية تمشي الهوينا وخمارها مائل، أما اليوم فهو ناحية مهمة ومركز گمرگي وللجوازات والمرور بين البصرة والكويت، وله تابع وهو جبل سنام[2] الذي هو عبارة عن بقايا انفجار بركاني تُستَخرَج منه الحجارة ويرجع وجوده إلىٰ العصر الجيولوجي.

وأقول إنَّ منطقتي السراجي التي هي نسبة إلىٰ رجل كان يعمل السروج والمنادي نسبة إلىٰ رجل كان يُبالغ بالكرم ويُقال إنه كان يعطي الأمنان من التمور صدقةً وهدية وليس كَيلاً. وهناك (البراضعية)[3] وأصلها (براذعية) نسبةً إلىٰ رجلٍ

---

(١) البيت في الديوان وهو من قصيدة مطلعها:

يـــا حبـــذا ســـفوانُ مـــن مُتربـــعٍ ولـــربَّما جَمَـــعَ الهـــوىٰ ســـفوانُ

حَـــيٍّ الـــديارَ إذ الزمـــانَ زمـــانُ وإذ الشّـــباكُ لنـــا حَـــرٌّىٰ ومَعـــانُ

ديوان أبي نواس ص٤٠٤.

(٢) يُعد تركيب جبل سنام قبة ملحية اختراقية، أهمية هذا التركيب كونه ظاهرة جيولوجية وطوبو غرافية فريدة من نوعها في العراق مرتفعة بصورة ملفتة للنظر مقارنة بالأراضي المنبسطة المحيطة بها من كل جانب ولما كان اصطلاح (جبل) لا يُطلق علىٰ مرتفع طوبوغرافي ما لم يصل ارتفاعه إلىٰ ٦٠٠ متراً عن مستوىٰ سطح البحر لذلك فإن اطلاق هذا الإصطلاح علىٰ هذا التركيب يُعد أمراً خاطئاً من وجهة النظر العلمية لكونه ذا ارتفاع قليل نسبياً لا يتجاوز ١٥٢متراً إلاّ أن انفراده في تلك المنطقة المستوية وبشكل يشبه سنام الجمل كان السبب في إطلاق هذه التسمية عليه من قبل السكان المحليين عبر الأزمنة المتعاقبة. وهو يقع في أقصىٰ جنوب العراق بمحاذاة الحدود العراقية الكويتية ويبعد ٤٥ كيلو متراً إلىٰ الجنوب الغربي من مدينة البصرة وحوالي ٨,٥ كيلو متر إلىٰ الغرب من مدينة سفوان.... وهو تركيب قبابي فريد يبرز في منتصف صحراء الدبدبة في أقصىٰ جنوبي العراق. ينظر: كتاب (جبل سنام خصائصه الطبيعية ومراحل نشأته، للجيولوجي باسم حميد سلطان، نشر دار البصائر، بيروت، سنة ٢٠١٤، ص١٧ ـ ٢٣)، وهكذا فالمعلومة أنه انفجار بركاني غير دقيقة. فهو حجارة كلسية وملحية وليست بركانية.

(٣) البراضعية: سُمّيت (أم المرضعات) وهي مقاطعة من مقاطعات أبي الخصيب رقمها ٢٩ وعدد القطع ←

كان يعمل البراذع وهي نوع يُسمّى في البصرة (الرحل) يُوضَع فوق الدواب للحمولة.

وانتهت الوريقات التي أمامي وأَغلقتُ الموضوع على أن أعود للوريقات الباقية في موضوعٍ آخر.

الزراعية فيها ٣٢٠ قطعة وتبلغ مساحتها الكلية ٦٧٤ دونماً وتشتهر بصناعة الفخار قديماً (كالأكواز والجنوب والشرابي).... وعند دخول القوات البريطانية إلى البصرة عام ١٩١٤ ربطتها بخطوط مواصلات ففتحت فيها الشوارع والجسور فَنُصب أول جسر على نهر الخورة أي على صدور نهر الخورة. وفي عام ١٩٥٧ كانت البدايات الأولى لإنشاء أكبر مشروع ماء في البراضعية وكذلك بناء المستشفى التعليمي سنة ١٩٦٩. (مُسمّيات البصرة: ـ عبد الله رمضان آل عيادة، ص٤١).

وجاء في لسان العرب ٨/ ٩ مادة (برذع) ((البَرَذَعةُ الحِلس الذي يُلقى تحت الرحل والجمع البراذع وخص بعضهم به الحمار)).

الفصل السابع

ماذا تعرف عن الفاو(*)

معلومات تأريخية وشعبية تُنشر لأول مرة

الفاو اسم يُطلق على منطقة نهاية جنوب العراق في محافظة البصرة ممتدة على شط العرب والخليج العربي وهو اسم ليس بالقديم لمُسمّى هذه البقعة حيث لم تذكر المصادر القديمة وحتى إلى ما قبل ثلاثة قرون، بل إنّ المنطقة كانت تدعى بالصابرية لسببين الأول كون أن جماعة من عشيرة الصوابر كانوا يسكنون هناك والثاني كون ماء المنطقة مُراً يشبه الصبر.

ونحن برجوعنا إلى التأريخ البعيد نرى أن الآشوريين كانوا يُسمُّون الخليج العربي باسم (مار مراثو) أي البحر المُرّ نظراً لمرارة مائه، ولما كانت منطقة الفاو تقع على الخليج العربي فقد أكسبتها صفة مرارة ماء الخليج، وهكذا يكون اسم الصابرية دلالة على عروبة المنطقة وعراقيتها حيث أنها اسم لمُسمّى آشوري قديم(١).

(*) صحيفة القادسية بغداد ١٥/ ٥/ ١٩٨٨ ص١٢.

(١) وقد تعني (الفاو) الأرض المكشوفة للناظر أو الأرض المحصورة بين مرتفعين وأن سكان المنطقة يُسمّون كل منطقة محصورة بين حاجزين ومفتوحة من الأمام (بالفاي) أي الفراغ ومنها الفيّة وكذا جاءت كلمة (الفأو) الفج الواسع بين جبلين كما في معجم البلدان لياقوت الحموي، مطبعة السعادة، مصر، ط١، سنة ١٩٠٦، مجلد٥، ص٣٣٦ وكذلك هو رأي الدكتور مصطفى جواد في مقابلة مع مؤلف كتاب (قضاء الفاو دراسة في الجغرافية الزراعية): سالم سعدون لمبادر، منشورات مركز دراسات الخليج العربي، جامعة البصرة، عدد٥، مطبعة الإرشاد، بغداد، سنة ١٩٧٨.

وكذلك كانت المنطقة تدعى باسم (الحجيجية) نسبة إلى آل (الحجيجي) العرب الذين كانوا يسكنون منطقة العيوني من بلدة المبرز من الإحساء ثم انتقلوا إلى هذه المنطقة سنة ١٢٠٠هـ ١٧٨٥م وهم أجداد والدي من الأمم وقد قاموا بتأسيس أول منطقة بيوت سكنية في تلك المنطقة ثم من بعدهم جاء أحمد بن رزق ليبني هناك سنة ١٨٠٢م.

إن موقع الفاو هذا أكسبه أهمية عسكرية بالدرجة الأولى لسلامة العراق وبوابته الجنوبية زيادة على كونه ميناءً تجارياً قديماً وحديثاً. وهو اليوم ميناء تصدير نفط البصرة ثم وجود النخيل والفواكه والتي انفردت المنطقة ببعضها ومنها التفاح والموز والخوخ وكذلك أشجار الحنّاء والأوراد حتى أنّ خوخ الفاو كان يباع بالعدد كما أنّ الرحَّالة جاكسون الذي زار المنطقة سنة ١٧٩٧م تحَّث عنها فقال إن فيها تفاحاً يضاهي نظيره الإنكليزي المُسمّى (گولندن) كما وأنّ الرّحالة مدام (ديولافورا) والتي زارت المنطقة ١٨٨١ قالت إنّ هناك غابة من النخيل تحتها غابة من الموز والتبغ.

والآن لنرجع لنقول إنَّ أصل كلمة (فاو) وهي تعني الأرض المكشوفة للناظر الواقعة بين أرضين مرتفعين عنها وتلك تظهر بالنسبة للقادم من البحر فهي اسمٌ شعبي يطلقه أبناء منطقة جنوب البصرة على كُلّ بقعة محصورة بين حاجزين ومفتوحة من الأمام فهي (الفُيَّة) وتعني الفارغة أو (الفاو) ويعنون بذلك الفراغ وهكذا فإنَّ صاحب كتاب الوسيط وفي حرف الفاء مع الجيم يقول (الفَجَّة) أي الفرجة وهي ما تعني الفسحة.

ويعلل النبهاني[1] سبب تسمية (الفاو) إلى قصة لربما كانت شعبية أو لربما جاءت

(١) النص كما ورد عند النبهاني ((قيل إنّ سبب تسميته بالفاو هو أن أرضه لمّا كانت خراب غير مسكونة وكانت تابعة لمقاطعة (الدكاك) التي سُمّيت أخيراً (بالمعامرة) كما يأتي وأن سفينة من سفن الديلم من النوع المُعبّر عنه (بالبتيل) اصابه ريح في (نهر المُهلبان) نسبةً إلى المهلب ابن أبي صُفرة، وكان ذلك ←

بها الصِّدف، حيث يقولون إن سفينة من سُفن الديلم من النوع المُسمّى (نبيل) أصابها الريح في نهر المهلبان الواقع في منطقة الفاو فغرقت وكان اسم السفينة (الفاو) فَسمَّت الناس ذلك النهر باسم الفاو للتعميم ثم أخذت التسمية تعم المنطقة كُلها.

وفي الحقيقة أن هذا التعليل الشعبي يَتَحدَّث عن زمنٍ متأخرٍ أيضاً وإلاّ ألم يكن للمنطقة قبل غرق السفينة اسم[1]؟.

وهناك بعض المصادر تقول إنَّ البرتغاليين عندما كانوا يسيطرون على منطقة الخليج العربي في القرن السابع عشر كانوا يجوبون بسفنهم إلى هذه الأرض ليتزودوا منها ببعض الأطعمة وخاصة الخبز الذي يُدعى في لغتهم (فاو) فكانوا عند رسو سفنهم يتناوبون مرددين لفظة (الفاو) (الفاو) أي الخبز[2].

النهر لزوجته خيره فغلب عليه اسم المهلب وهي أم أبي عيينه ابنه. فلما أصاب الريح تلك السفينة في ذلك النهر غرقت هناك وكانت تُسمّى (الفاو) فسمَّت الأعراب ذلك النهر (نهر الفاو) ثم اشتهرت تلك المقاطعة كلها بالفاو وكانت في بادئ الأمر مرعاً لمواشي أهل المعامر)) ص١٤٣.

(١) ذكر الأستاذ كاظم فنجان الحمامي في كتابه (على ضفاف شط العرب) ص٢٠٦ رأياً مهماً حول الفاو ورأس البيشة والدواسر، إذ قال: ((وهناك دلائل كثيرة تؤكد أن البيشة موجودة في العراق وموجودة في الحجاز وأن التي في الحجاز أقدم بكثير من بيشة العراق، وأن الفاو موجودة في العراق وموجودة في الحجاز، وأن فاو الحجاز تتوسط بين وادي الدواسر والبيشة، ونجد أن فاو العراق تتوسط أيضاً بين قرية الدواسر ورأس البيشة، فهل هذه مجرد مصادفات عابرة؟ ثم أن هذه المناطق (في العراق وفي الحجاز) اشتهرت ببساتين النخيل وممارسة الزراعة وإن الفاو والدواسر والبيشة العراقية استوطنتها قبائل عربية معروفة نزحت من نجد والحجاز، وتنتمي في جذورها إلى بطون القبائل العربية الأصيلة التي ولدت في قلب شبه الجزيرة العربية وتوحّدت في المسمّيات القبلية والعشائرية وما زالت ترتبط فيما بينها بعلاقات وأواصر عشائرية متينة نذكر منهم قبائل العتوب والسعدون وشمر وتميم والدواسر وزبيد والشهران وربيعة)).

وفي لسان العرب ١٥/ ١٤٤ مادة (فاو) قال الأصمعي: الفَأو بطنٌ من الأراض تُطيف به الرمال يكون مستطيلاً وغير مستطيل)).

(٢) هي الباو pao وليس الفاو.

أقول إنّ هذه الإحتمالات والأقوال شعبية أكثر مما هي واقعية أو علمية لأننا إذا تفحصنا الكلمة وجدناها عربية لأنَّ الفيروز آبادي في الجزء الرابع ص٣٧٢ من معجمه القاموس المحيط يقول: إنَّ الفاو الصدع بين المرتفعين الوطيء بين الحرشين والدارة من الرمال وبطن من الأرض[1].

وهكذا يقول صاحب المنجد بأنه المضيق في الوادي والموضع الأملس وللإثبات يذكر صاحب المُنجد الفاو أنها من نواحي العراق وأن نفوسها خمسة الآف.

إنَّ هذه الصفات كلها تنطبق على الفاو بما فيها من اللسان المائي الذي هو عبارة عن جزء من الفاو كانت في بنائها الأول على مدخل ماء أو خور صغير تسببه مياه الخليج لأنه بطن من الأرض.

ونرجع إلى أننا قبل أن ندخل في موضوع الفاو نقول إن مساحة القضاء ١٢٢٩ كيلو متراً مربعاً ويتكون من سبع مقاطعات هي كوت بندر وكوت خليفة والمعامر والدورة والفداغية وأراضي السبخة والفاو نفسها.

ومما تجدر الإشارة إليه أن قرية المخراق من ضمن أراضي مقاطعة الدورة كما وأن آخر نقطة من أرض الفاو أي آخر نقطة من أراضي العراق الجنوبي تُسمّى شعبياً المحنيتي وفي صفحة ٢٤ من كتاب أحوال البصرة[2] لابن صبغة الله الحيدري جاء أنّ الفاو من المحال الجسيمة كثيرة البساتين والنخيل والأنهار وكانت من توابع المعامر التي هي ملك راشد السعدون والد ناصر باشا السعدون.

والذي أريد أن أقوله أن المؤرخين قديماً كانوا يعددون أسماء الأنهار وأكثرهم إلاّ

---

(١) النص في ٤/ ٣٧٥مادة (الفاو) قال الفيروز آبادي في القاموس المحيط والفاو الضرب والشق كالفاي والصدع بين الجبلين والوطي بين الحرتين والدرة من الرمال وبطن من الأرض طيب تطيف به الجبال... والمضيق في الوادي يُفضي إلى سعةٍ والموضع الأملس.

(٢) النص موجود في كتاب (أحوال البصرة): للعلاّمة فصيح بن السيد صبغة الله الحيدري البغدادي الذي كتبه سنة ١٢٨٦هـ، نشر دار منشورات البصري، في بغداد، سنة ١٩٦١، ص٢٤.

مـا نـدر يصـفها بوصـفٍ واحـد هـو (نهـر) دون أن يفـرّق بيـنهما حيـث هنـاك (الخرم)[1]وجمعه أخرام وهو مصطلح معـروف في منطقـة الفـاو ويُطلـق عـلى النهـر الكبير والذي هو أكبر من باقي الأنهـار والنُهـيرات والجعـاض ويُسـتعمَل كثـيراً في سبيل تحديد المناطق وتحديد حدودها ومن أشهر تلـك الخـروم هنـاك خـرم الـدورة وخرم الزيادية وخرم الدويب.

وفي سنة ١٨٣٩ كان شخص اسمه (ابن جبران) يسكن الفداغيـة وكـان لـه مـن المواشـي العدد الكبير وكان عدد أفراد عائلته ورعاته كبيراً قـام بضـمان أرض الفـاو وترك الفداغية وانتقل إلى الفاو وسكن هناك.

قيل إنَّ لابن جبران كان علاقة بالقنصل البريطاني في البصـرة كذلك كان يتصـل بربابنة السفن الإنكليزية التي كانت ترسو سفنهم في الفاو.

وقيل أيضاً أنه كان يتاجر بالألبان والدهون والصوف مع البصـرة، ويزوّد السُفن بتعهدات مما جعل الحكومة العثمانية ترتاب منه وقد حدَّثني الحاج يوسـف الشـناف من أهل الفاو أنّ الدولة العثمانية وضعت عليه عيوناً خفية وسـريّة ولكنهـا لم تثبـت عليه بجرم.

وهناك شخص آخر اسمه الحاج راشد النابندي إلتزم سنة ١٨٤٣ بعض أراضـي جنوب الفاو وكان هذا قد بنى جامعاً في الفـاو وزوّده بالأثـاث وأَوقـفَ عليـه مـن النخيل ما يساعده على الصـرف. ويصفه الـبعض بأنـه كـان مـن الرجـال المجـدين والمتدينين واسكن فلاّحيه ببيوت صالحة للسكن كما وأنه زوّدهـم بـالبقر والـدجاج

(١) الخرم جدول (نهر) أكبر من بقية الجداول الأخرى وهو مصطلح محلي كثيراً مايَحـدُّ الجُـزر مـن جهـة الغرب في الجهة العراقية كخرم الدويب وخرم الـدورة وخـرم الزياديـة وخـرم الـدويب هـو الحـد الفاصل بين كوت بندر والحدود الجنوبية لناحية السـيبة التابعة لقضـاء أبي الخصـيب.(ينظر: كتـاب قضاء الفاو دراسة في الجغرافية الزراعية: سالم سعدون المبـادر، منشـورات مركـز دراسـات الخلـيج العربي، العدد ١٥، مطبعة الإرشاد، بغداد، سنة ١٩٧٨، ص١٦ – ١٧)

وغيرها للإستفادة من الحليب والبيض.

قيل إنه جلب أشجار الحِناّء وأَكثَرَ من زراعتها كذلك فإنه أكثَرَ من زراعة الورد واستعمل عِدة وسائل لتقطير ماء الورد ثم دهن الورد وكذلك ماء لقاح النخيل وتقطير ماء ورد الخوخ والبرتقال.

وكنتُ في أيام طفولتي أسمع من المُسنّين بأن الذي كان يريد أن يفتح حانوت عطارية كان يذهب إلى الفاو حيث هناك أحفاد الحاج راشد لا زالوا يحتفظون بمهنة جدهم وقد شيدوا لهم سقائف من (الچينكو) على نهر يُسمّى (نهر العريض) وذلك لفظ بضائعهم وأموالهم.

ومنذ القِدم وحتى عندما كانت الفاو قرية ثم ناحية فقد كانت تُسكَن من قبل عدد كبير من السكان وبالرغم من صحة التعداد القديم فإنّ النبهاني يقول في كتابه (التحفة)[1] والصادر سنة[2] ١٩٢٤ بأنَّ نفوسها عبارة عن فلاحي تلك الأراضي وبعض الموظفين والأفراد والباعة عددهم ٤٠٠٠ نسمة.

وكانت الفاو قد تأثَّرت بالطاعون الذي أصاب منطقة البصرة سنة ١٨٣١م وقد فَتَكَ بالفلاحين خاصة حتى قيل إنَّ بعض البساتين بقيت بدون مُلاّك أو فلاحين[3].

ويُلاحظ إنّ الإنكليز منذ سنة ١٨٦٣ انتبهوا إلى أهمية هذه المنطقة فاتفقوا مع الحكومة العثمانية لبناء دائرة برق وبريد هناك سُمِّيت محلياً باسم البنـگلة والتي تعني السقيفة لأنّ بناءَها في البدء كان يتكون من سقيفة كبيرة قُسِمت حسب الغرض[4].

---

(١) الكتاب صادر سنة ١٣٤٢هـ أي سنة ١٩٢٢ وليس سنة ١٩٢٤.

(٢) النص كما ورد في التحفة ص١٤٥ ((نفوسها: عبارة عن فلاحي تلك الأراضي وبعض الموظفين وأفراد من الباعة المتسبين يبلغ عدد الجميع نحو ٤٠٠٠ شخص))

(٣) هذا النص للنبهاني في التحفة ص١٤٤

(٤) هذا النص للنبهاني في التحفة ص١٤٤ (وكانت شركة الهند الشرقية قد تقدّمت بطلب إلى الحكومة العثمانية أن تمد خطاً للتلغراف أرضياً من بيروت إلى البصرة والخليج إلاّ أن هذا الطلب رُفض إلى ←

وكان موظفو هذه الدائرة من الهنود وقد عمل بعضهم للتجسس والاتصال بالأهالي وكانوا يستقون الأخبار من السكان المحليين والموظفين ويمررون الأخبار المحلية إلى حكومة الهند.

وكانت للحكومة العثمانية[1] دار تَهدَّمت ولم يلتفت إليها أحد ولكن عند مرور مدحت باشا بالفاو سنة ١٨٧٠ وهو في طريقه إلى الإحساء أمر بتعمير هذه الدار كما أَمرَ ببناء تكلفة عسكرية على فم الخليج لتصد قوات الأعداء الغازية ولكن أوامره لم تُنفذ.

ثم في سنة ١٨٨٣ زار والي البصرة علي رضا باشا المنطقة وأمرَ ببناء ثكنة في المحل نفسه الذي قرره مدحت باشا وأَرسلت الحكومة العثمانية بعض القوات والمدافع وبدأت بالبناء ولكن الحكومة الإنكليزية الطامعة بالعراق منذُ القِدم حَرَّضت ايران على الإعتراض بحجّة أن هذا العمل ينافي معاهدة أرض روم الثانية وهكذا أُهمل العمل حتى تهدَّم وأصبح سداً يعوق تسلط المنطقة على الخليج.

ويُقال إنّ التفكير العثماني كان بدرسٍ أخذوه من ضرب الأسطول الإنكليزي للإسكندرية سنة ١٨٨٢، وكيف أنها لم تقاوم لأنها غير محصَّنة. وفي سنة ١٨٨٧م زار الفاو مدير عام التلغراف الهندي الأوربي الكولونبل مردخ سميث الذي طار لبه عندما عَلِمَ بأن الحكومة العثمانية تفكر في تحصين المنطقة، ولذا فإنه كَتَبَ تقريراً سريّاً وسريعاً إلى حكومة الهند بَيَّنَ فيه خطورة التحصين على الخطة البريطانية

أن حَلَّت سنة ١٨٥٧م حيث تم الإتفاق وباشر الإنكليز بمد خط إستانبول بغداد بصرة عن طريق الفاو على أن يكون المشروع تركياً صرفاً.

وفي سنة ١٨٦٨ قامت بريطانيا بربط البصرة بمكاتب البريد وبخط التلغراف الهندي الأوربي حيث أنشأت عند الفاو محطة له.(أربعة قرون من تأريخ العراق: لونكريك: ص٣٥٦ ـ ٣٥٧، والبصرة في عهد الاحتلال البريطاني د. حميد حمدان، ص٦١، والمجمل في تأريخ البصرة: علاء العيسى: ص٢٩١)

(١) هذه المعلومات في التحفة ص١٤٥

والتي كانت تريد أن يكون شط العرب منطقة مغلقة لها حتى أنَّ وزير خارجية بريطانيا اللورد سولز بري استدعى السفير العثماني في لندن رستم باشا وأخبره بأن الأسطول الإنكليزي سيدمر هذه التحصينات.

وهكذا تُرِكَ أمر التحصين إلى سنة ١٩٠٩ حيث أراد والي البصرة سليمان نظيف أن يقوم بإصلاحات في منطقة الفاو فأمر ببناء مدرسة هناك. ويقول النبهاني: في ص١٤٦ من كتابه التحفة إنّ قلّة عدد الطلاب أدّى إلى غلق المدرسة واستعمالها مسكناً للموظفين[1].

وأسست الدولة العثمانية في الفاو محجراً صحياً اتخذ منه موظفوه مصدراً للإرتزاق فهم يدخلون فيه مَنْ لا يربحون منه الرشوة ويطلقون سراح المرضى الدافعين للرشوة، وهكذا كانت هذه الكرنتيلة [الكرنتينة].

ونقف لنعود إلى جانبٍ آخر من جوانب منطقة الفاو فنقول إن عدد نخيلها بلغ مليوناً وسبعمائة ألف نخلة وفيها من أصناف التمور ما يزيد على (٤٣) صنفاً.

ثم هناك الأنهار التي يختلف في عددها المؤرخون والكُتّاب وذلك بسبب عدم وجود بعضها أو تحوّله إلى اسم آخر وهو مبتور ليس له أهمية اليوم أو طُمِر ولكن بحسب اختباري فإنّ عددها هو (١٧٢) نهراً وهذا العدد قابل للتحريف البسيط.

ومما تجدر الإشارة إليه انّ أكثر أنهار هذه المنطقة تُنسَب إلى أشخاص[2] أعلام كما

---

(١) النص كما ورد في التحفة ١٤٦ ((وفي سنة ١٣٣٧هجرية أمر والي البصرة سليمان نظيف بيك ببناء مدرسة صغيرة فيه ولقلة الأطفال هناك اتخذتها الحكومة العثمانية مسكناً للموظفين وجعلت فيها دائرة مخصوصة لها)) والأدق سنة ١٣٢٧هـ وليس ١٣٣٧ هـ، لأن الوجود العثماني في البصرة انتهى قبل هذا التأريخ.

(٢) كثير من الأماكن والأنهار سُمّيت باسم مَنْ سكنها أو عمّرها أو شق نهرها ولكن يوجد أمر آخر هو ارتباط أسماء بعض المناطق مع أسماء كبار معتزلة البصرة فالجاحظ عاش في سيحان التي يتفرع منها نهر الواصلية المنسوب لـ (واصل بن عطاء المعتزلي) مؤسس المعتزلة، ثم نهر الزيادية الذي يُنسب إلى (زياد بن الأصفر) مؤسس فرقة الزيادية وفرق المعتزلة تلك استوطنت هذه المنطقة، وفي ←

أن بعضها يُنسَب إلى أنواع الأشجار المحيطة به أو حيوانات تسكن بقرية.

أما سليمان الفيضي فيحدد أنهار هذه المنطقة ابتداءً من نهر الطويل بالقرب من كوت بندر وآنتهاءً بنهر الغزال حيث يَبتدئ الخليج بـ (٢٢٣) نهراً تُشكل شبكةً مائية.

وكان النبهاني قد عدد أنهار مقاطعة الفاو[1] وحدها فقال (٣٣) نهراً. ويُلاحظ أنه لم يجمع مع هذا العدد أنهار المقاطعات الست الباقية التي هي ضمن منطقة الفاو وهو يحددها ابتداءً من كوت بندر إلى نهر العشار الذي هو آخر أنهار البصرة الجنوبية.

وكان بودي أن أعدد أسماء الأنهار لولا أنها طويلة وكثيرة خاصة وأنَّ هناك أنهاراً متقاربة ومتصلة بعضها ببعض خاصة بفروعها.

ومن ثمَّ يجيء الآن دور النواحي والقُرى والأكوات.

إنها كثيرة ومنتشرة بين البساتين على ضفاف شط العرب وفروعه بل بعضها يمتد إلى ساحل الخليج العربي أو تجاوز الصحراء، وكانت الدولة العثمانية مثلاً قد قَسَّمت الفاو إلى أربع مقاطعات هي الفداغية والدورة والمعامر والفاو نفسها وكذلك هناك قُرى ومقاطعات كبيرة لم تذكرها ضمن ما نشرته الحكومة يومذاك ومنها القطعة والمخراق وعبد اللبان وخريبط والدواسر.

ومن تلك القرى الدورة والتي تُسمّى اليوم بناحية البحار وتبعد عنها قرية كوت بندر بـ (١٢) كيلو متراً، وكذلك هناك كوت خليفة ويبعد عنها (٩) كيلو مترات والمعامر وتبعد (١٢) كيلو متر.

أما منطقة الأسباخ والتي تُسمّى اليوم بناحية الخليج فهناك قرية حوز عيسى عبد العزيز وتبعد ١٢ كيلو متر عن الفاو وحوز الكوت ويبعد ٩ كيلو مترات وحوز طه

الجهة المقابلة للواصلية تقع مدينة عبادان والتي تعود (لعباد بن الحصين).(ينظر: على ضفاف شط العرب، ص٢١١)

(١) النص في ص١٤٥ من التحفة النبهانية.

ويبعد ٦ كيلو مترات ومن أشهر القرىٰ التابعة للفاو المملحة وتبعد ٥ كيلو مترات.

أما الدورة فيحدُّها نهر أبو عقاب من شمالها ونهر عبد الله من جنوبها. وهي كثيفة بالنخل والفواكه وكانت قد أصبحت من أهم المناطق المُصدِّرة لمادة (الخل). وللشيخ مصطفىٰ الإبراهيم قصر هناك كما فيها مدرسة منذ سنة ١٩٢٥ ثم المخراق وهي واقعة علىٰ نهر يُسمىٰ باسمها وهو نهر يخرج إلىٰ الصحراء وكذلك المعامر ذات الخمسين نهراً والسواقي العديدة وكذلك القطعة، وكانت الدولة العثمانية قد بنت فيها قلعة سنة ١٨٩٦ ولكن الضباط الأتراك كانوا يسيئون إلىٰ أبناء المنطقة مما أدىٰ إلىٰ توتر الوضع ثم أهمال القلعة.

وكان راشد السعدون قد اشترىٰ سنة ١٨١١ المطوعة والبهادرية وقد أوقف حاصلات الأخيرة علىٰ فقراء المدينة المنورة وكذلك هناك الدواسر التي كانت ضمن أراضي يوسف الخليفة وكانت مهملة ولكن راشد السعدون اشتراها وعَمَّرها فَسُمِّيت (تعامير راشد) ثم اختصرت إلىٰ المعامر وكانت نقطة تبادل البضائع بين السُفن القادمة من الخليج العربي وتُجّار البصرة. وهناك الزيادة وتقع علىٰ مفترق طرق مائية وهي قريبة من الصحراء أيضاً ولذلك شيدت فيها الدول العثمانية سنة ١٨٩٧ ثكنةً للجيش وكانت في الحرب العظمىٰ الأولىٰ قد تعرَّضت لقصف البوارج الإنكليزية مع أن ثكنتها كانت خالية ولكن شباب القرية احتموا بها وأخذوا يطلقون الرصاص علىٰ الإنكليز.

أما عن الآثار القديمة في هذه المنطقة فهي قليلة جداً لأنها لم تُنقَّب أو تُكتَشَف إلىٰ الآن وخاصة أن أرض هذه المنطقة حديثة العهد جيولوجياً وأن بعضها من سهول الترسبات.

يوجد هناك نهر باسم سنيسل وعليه تل يُعىٰ تل سنيسل وهو واقع بين نهري خيرة أو خير وجوعان ولا يوجد مَنْ يعرف من هو سنيسل هذا صاحب النهر أو التل ولكنه يرجع في تأريخه إلىٰ العهد الإسلامي.

وفي صفحة (٤٧) من (المواقع الأثرية في العراق) وهو من مطبوعات مديرية الآثار العامة العراقية والصادر سنة ١٩٧٠. بأن من أهم المواقع التأريخية في منطقة الفاو التل المُسمّى بتل عمر أو مسلم بن عقيل وهو يرجع في أدواره التأريخية إلى العهد الإسلامي.

وقبل انتهاء البحث الموجز هذا أقول: إنَّ الفاو تعرّضت لغزوين[1] إنكليزيين

---

(١) العثمانيون كما أهملوا حشد القوات الكافية للدفاع عن البلاد العراقية بصورة خاصة والديار العربية بصورة عامة أهملوا تحصين قلاعهم الحربية البحرية ومنها قلعة الفاو الواقعة على مدخل نهر الفاو وهي بناية متهدّمة يحيط بها جدار من الرمل وليس فيها من وسائل الدفاع سوى أربعة مدافع من الطراز القديم لا تصلح حتى لرد هجمات عصابة صغيرة، وفي صباح السادس من تشرين الثاني سنة ١٩١٤ وقفت مدرّعات من الأسطول الإنكليزي أمام هذه القلعة وأنذرت قائدها بوجوب الاستسلام في مدة لا تزيد على ساعتين، إلاّ أن القائد برهان الدين وهو من الضباط القدماء أراد أن يقاوم فأمر باطلاق القذائف على المدّرعات الإنكليزية فكان أن انفجرَّت خمس قذائف فقط إذ إن الإنكليز أسكتوا المدافع التركية وبعد نصف ساعة من الزمن اضطرت حامية القلعة إلى الانهزام إلى موقع (الزين) واحتل الإنكليز هذه القلعة بعد ظهر اليوم السادس من شهر تشرين الثاني سنة ١٩١٤.

اكتفى الإنكليز في ذلك اليوم بما غنموا وانصرفوا إلى إعداد مراكزهم الحربية وجاءتهم في اليوم نفسه خمس بواخر تنقل الجند والأعتدة الحربية وفي اليوم التالي أخذت بواخر أخرى تصل إلى الميناء فبلغ عدد القوات الإنكليزية التي احتشدت هناك فيلقاً كاملاً يزيد بمجموعه على عدد القوات العثمانية في جميع البلاد العراقية.

اما القوات التركية فلم تكن تزيد على ٤٠٠٠ جندي ضعيفة العُدّة والعدد ولذلك أسرع إلى موقع (الزين) قائد الفرقة الـ ٣٨ أمير الآلاي صبحي بك وانصرف إلى تنظيم وسائل الدفاع وتَحمسَّ سكان هذه المنطقة من أبناء العشائر العربية فتطوعوا في صفوف الجيش العثماني للذود عن الوطن. وأول مَنْ اندفع إلى التطوع عجمي باشا السعدون شيخ مشايخ عرب السعدون المشهورة.

ولما استعد الإنكليزية عند مدخل الفاو بدأوا عند فجر اليوم الخامس عشر من شهر تشرين الثاني هجومهم على المراكز العثمانية بقيادة القائد (باريت) فاشتبك الفريقان في معركة شديدة في موقع سيحان وكانت القوات العثمانية مؤلفة من الآلاي ٢٣ وبقية أفراد الفرقة ٣٢ ووحدات الخيّالة وكان الفوز في بدء هذه المعركة بجانب الأتراك إلاّ إن الباخرتين الحربيتين الإنكليزيتين كانتا في النهر وما لبثتا أن صبتا ←

الأول الساعة الرابعة من يوم ٦ تشرين الثاني سنة ١٩١٤ والثاني إنزالٌ مُنظَّم في منطقة الميناء يوم ١ مارس سنة ١٩٤١، وكانت القوات الإنكليزية قد عسكرت هناك قبل هذا التأريخ. ومما تجدر الإشارة إليه أنَّ العثمانيين في الحرب العظمى الأولى كان لهم ١٠٠ جندي وضابط ومدفع واحد في الفاو بينما كانت هناك سرية من الجنود والضباط وقيل إنّ عددهم كان (١٠١)، مع مدفعٍ واحد في الفاو أثناء الحرب العظمى الثانية، مما يدل على تمادي العهد البائد بإهمال تسليح هذا المنفذ المهم.

وأخيراً أقول أني وجدت الكسندر آداموف[1] القنصل الروسي في البصرة سنة

قذائفها بشدة على القوات العثمانية فأجبرتاها على التقهقر إلى الوراء.. وفي ١٧ تشرين الثاني احتل الإنكليز سيحان ثم تعقبوا العثمانيين إلى قرية الساحل وهي تبعد خمسة أميال عن الشمال الغربي من سيحان وهنا نشبت معركة أخرى استمرت خمس ساعات وانتهت بانهزام العثمانيين.

وهكذا توالى الفشل على القوات العثمانية حتى شعرت القيادة بعجزها عن متابعة القتال، فَعَقَدَ القائد العثماني اجتماعاً في مقر الولاية ولما كان الوالي غائباً استشار القاضي الذي يقوم مقامه وآجتمعَ الرأي على ضرورة جلاء القوات العثمانية عن البصرة وفعلاً أخلاها العثمانيون في ٢١ تشرين الثاني ١٩١٤ بعد أن أغرقوا ثلاث بواخر في النهر لسد الطريق النهري.

وفي ٢٢ تشرين الثاني تمكَّنت الباخرتان الحربيتان الإنكليزيتان (شبيكل) و(أودن) من عبور النهر بسهولة ورفع الحواجز التي وضعها العثمانيون وتبعتها باخرتان نقلتا الجنود إلى البصرة، وفي صباح ٢٣ تشرين الثاني احتلت القوات الإنكليزية هذه المدينة وكان احتلالها آخر عهد العثمانيين بالبصرة (ينظر: مجلة الأسرار، بيروت، العدد٢، يوم ١٥/ ٤/ ١٩٣٨، ص١١ – ١٣).

(١) النص موجود في كتاب آداموف، إذ يقول: ((وعلى بعد ستين فرسخاً أسفل أبي الخصيب تقع الفاو التي هي في الحقيقة عبارة عن قرية صغيرة من أكواخ القصب ولكنها تثير الانتباه لأسباب أخرى تماماً فهي أولاً: المحطة الأخيرة لخط التلغراف البري الممتد من إسطنبول عن طريق سكوتاري وسيواس وديار بكر إلى بغداد والبصرة ونقطة البداية للكابل الإنجليزي البحري الممتد إلى بندر بوشهر ومنها إلى كراچي عن طريق جاسك، وثانياً: تتوغل في البحر بفضل موقعها على لسان ضيق وواطيء تكونّه ضفة شط العرب اليمنى فتسيطر على مدخل مصب هذا النهر من الجنوب ولهذا السبب اشترطت الدولة العثمانية وفارس اللتان وقعتا بوساطة روسيا وبريطانيا معاهدة وهي المعاهدة التي تنازلت الدولة العثمانية بموجبها عن منطقة المُحمرّة والضفة اليسرى لشط ←

١٩١٢ يذكر في ص٥٥ من كتابه (ولاية البصـرة في ماضـيها وحاضـرها) وصـفاً لمدينة الفاو يعطي نفس المعنىٰ اللغوي لكلمة الفاو فهو يقول إنهـا تتوغـل في البحـر بفضل موقعها علىٰ لسان ضـيق واطئ تكوّنه ضفة شط العرب اليمنـىٰ (اليسـرىٰ) فتسـيطر علىٰ مدخل مصب هذا النهر من الجنوب.

هذا الموقع جعل من الفاو بوابة جنوبية مهمة، لأَنّها الحصن المنيع لأمة العـرب في المشـرق العربي. بل أن الفاو وهي شوكة في عيون الطـامعين والمسـتعمرين والغـزاة منذ أكثر من أربعـة قـرون حـاول البرتغـاليون السـيطرة عليهـا فـزاحمهم في ذلـك الإنكليز وإلىٰ وقتٍ قريب. وفي سـنة ١٨٩٠ دَخَـلَ الكـابتن بولـديرو قائـد اليخـت الحربي الإنكليزي (سفنـگس) إلىٰ منطقة الفاو محاولاً النـزول في المدينـة مـما أدّىٰ إلىٰ إطلاق النار عليـه فكانـت حجـة لـدىٰ الإنكليـز لتعكـير صـفو الأمـن واسـتدعاء أسطولهم وبسبب ما كانت عليه الدولة العثمانية من ضعف فقد بادرت إلىٰ إرضائهم بمعاقبة المسؤولين العثمانيين مع أنهم قاموا بواجبهم.

وكذلك وقفت منطقة الفاو في وجه الشاه عباس الصفوي عنـدما أرسـل جيشـاً بقيادة إمام قلي خان ليحيط بالبصـرة براً وبحراً فكـان أن هَـبَّ البصـريون برئاسـة أميرهم علي باشا ودمروا الجيش الفارسـي وسببوا له هزيمة مُنكرة سُجِّلَت بـالقول (علي دمرَّ الخان) ١٠٣٦ هـ ـ ١٦٢٦م.

وفي سنة ١٧٣٧م هاجم نادر شاه البصـرة بقوة بحرية وبرية ولم تكـن لـدىٰ والي البصـرة قوات بحرية فكان أن انتزعَ باخرتين من البرتغال وبحركةٍ بحريـة شـجاعة وآلتفاف حول القوة المهاجمة قطع عليهم خط الرجعة وحـدثت معركـة الفـاو التـي آنهزم فيها نادر شاه وأعطته درساً علىٰ أن لا يعود إلىٰ منطقة شط العرب مرةً ثانية.

العرب...)) ص٩١ ـ ٩٢ من ولاية البصـرة في ماضـيها وحاضـرها إلكسندر آدامـوف ترجمـه عـن اللغة الروسـية: الدكتور هاشم صالح التكريتي، العراق، بغداد، .د.ت.

الفصل الثامن

شرق البصرة وأهم أنهار المنطقة وقراها ومُسمّياتها[1]

الموضوع يدور حول منطقة عاشت تأريخاً واحداً محتفظة بسماتها الخاصة وأصالتها بالرغم من كل المصاعب التي لاقتها وكانت أسس بقائها المتميزة هذه عديدة في مقدمتها وحدتها الجغرافية والسكان. «السكانية».

فطبوغرافيتها مع وجود شط العرب والنخيل وأهلها العرب جعلت من هذه المنطقة بودقة انصهار جوهري بقيَ على سليقته وأخلاقه وبسالته، وإلى اليوم بالرغم من تزاحم التنافس عليه فهو الذي حَطَّم قلعة كردلان عندما هاجم «صادق خان» البصرة سنة ١٧٧٥م وقد رفضت الأرض العربية هذا الرمز فجعلته أثراً بعد عين.

الحدود العراقية الإيرانية عند نهر الخيين[2] شيء رسمي بحسب اتفاقية أرض روم الثانية لأنّ هذا النهر بعرضه وطوله وقِدَمه قد جعل منه علامة تفريق في حد البلدين، حيث أُقيمت على جانبي مدخله دعامتان تشيران إلى انتهاء الحدود العراقية وابتداء الحدود الإيرانية عِلماً بأن هناك عدة نهيرات بالإمكان جعلها كحدودنا مثل نهر الخرنوبية ونهر أم العرابيد ونهر ناز الله كما تشير بذلك خرائط الحدود.

---

(١) صحيفة القادسية (بغداد) يوم ١٢/ ٦/ ١٩٨٨ ص١٢.

(٢) المقصود نهر (خيّن) أي (أخوين) قد غرقا في هذا النهر عندما حاول الأول إنقاذ الثاني من الغرق فصارت مأساتهما عنواناً للنهر والنهر عبارة عن جدولٍ صغير متفرّع من شط العرب شمالي المحمّرة يفصل الحدود البرية العراقية عن الإيرانية، كتاب عراق بلا سواحل، كاظم فنجان الحمامي، شركة الغدير للطباعة والنشر، سنة ٢٠١٤، ص٩.

والآن مع الموضوع الذي أُريده وقد عنونته بعلمٍ معروف بحسب القاعدة القائلة المعروف لا يُعرَّف، كما هناك جواز تسمية الكل بالجزء والشائع، وقد جِئتُ باسم نهر جاسم عنواناً لمنطقة عند أهل البصرة بشط العرب ويُقال لأهلها «أهل ذاك الصوب» وهي تمتد من نهر حسن شمالاً وإلينهر الخيَّين جنوباً.

نهر جاسم هذا ومنذ القِدم لم يُعرف لأي جاسم يُنسَب وقد حَدثَّني الشيخ منصور الكنعان نقلاً عن أبيه أنَّ اسم النهر «الجاسم» وليس جاسم وهو يُنسب إلى وصف الأرض المرتفعة يعلوها الماء كما وأنه يُقسِّم منطقته إلى قسمين متساويين بقراهما وأنهارهما المتناظرة وتقريباً كان بالقرب منه خور على شكل لسان مائي تندفع فيه المياه لتزيده أثناء المدّ وعلى جانبيه نخيل تزيد على الألف جريب وسكان كثيرون يربُون الماشية وزراعتهم الخاصة هي الحنطة وله تسعة فروع تروي أرض المنطقة.

يقول «ابن صبغة الله الحيدري» في صفحة ٢٥ من كتاب «أحوال البصرة» نهر جاسم عشرة أنهر كِبار[1]. والمُلاحظ إنّ ذكر هذا النهر على هذا الشكل الجماعي مُرتَّباً من شماله كوت الشيخ والحبابة بينما جنوبه الدعيجي عِلماً بأنَّ المنطقة الشمالية فيها تسعة أنهر كبار حولها البساتين، كما أن نهر الدعيجي كبير وصالح لسير السّفن الشراعية والأبلام النصّارية كما أن الحبابة من أقدم مقاطعات البصرة حتى قِيل إنها تُنسَب إلى أملاك «الحباب بن يزيد المجاشعي» الذي عاش في القرن الثاني للهجرة وقد سُمِّيت باسمه. ومن ضمن هذه المنطقة أيضاً مقاطعة الصالحية ونهر (وتكثر فيها) الورود والغزلان وعليه بعض القصور وتدخل السّفن الشراعية والقوارب البخارية وعلى مدخله رصيف جيد ومياهه وافرة تكفي للسكان الذين يعيشون على ضفتيه برفاه، ومنه أُخِذَ اسم الصالحية وذلك من الصلاح والمعروف عن أهل

(١) والنص هو «ونهر جاسم وهو عشرة أنهر كبار ونهر الدعيجي وهو من الكبار التي يَتفرَّع منها أنهار حوله بساتين كثيرة ونهر البوري وهو من الأنهار ومن الكبار التي يَتفرّع منها أنهار وحولهُ بساتين كثيرة وجزيرة البوارين إثنا عشر نهراً كباراً حولها بساتين كثيرة» ص٢٥.

البصـرة أنهم يطلقون اسم صالح على النعمة الوافرة ولـيس صـحيحاً أن الصـالحية نسبةً إلى الشيخ «صالح باش أعيان»، لأنّ اسم الصالحية يُطلق عـلى هـذا النهـر منـذ أزمنةٍ بعيدة، وكانت الدولة العثمانية قد أنشـأت سـنة ١٨٩٥ مَحجَـراً صـحياً هنـاك، وفَرَضَتْ على كل سفينةٍ وافدة أن تعرض نفسها للفحص والتعقيم هناك ومن ضمن المنطقة أيضاً العجيراوية نسبةً إلى العجير الذي هو (مَصغّر) العجر وقد عَرَّفه العرب فقالوا عجر أي سَمُنَ وضَخُمَ بطنُه[1] فهو أعجر كما وأن العجر أي الأحدب. وأهـل البصـرة ينسبون أراضيهم وأنهارهم إلى بعض الأعلام والأوصاف والأحداث ولّما كانت (ثمور) هذه المنطقة، الفردة منها (الثمرة) كبيرة ومملوءة وريّانة ومُنتَفِخَة فهـي على هذا الوصف والصورة عجير ثم صُغِّرتْ لتصبح عجـيرة ونسـبة الأرض إليهـا عجيراوية خاصّة بعد إطلاق صفة التَحبُّب إليها.

«أحمد نور الأنصاري» في صـفحة ٢٥ مـن كتابـه «النصـرة في أخبـار البصـرة» يقول: «إنّ نهر جاسم ميري يُضمَن بتمرٍ معلوم، وفيه قاع يُقال لهـا الـدغيمات وهـي ملك ورثة الشيخ «عبد الواحد باش أعيان» وقطعة يُقـال لهـا المُفتيـة ملـك لـ«عبد القادر أفندي» الخُمس منها والباقي ملك الكنعان تؤدي العشـر.

ونهر الدغيمات[2] يُذكر أحياناً باسم نهر «الدغيمي» وهو تسعةُ أنهـر، ولقـد جـاء اسم النهر من أوصافه والدغم[3] هو الإدخال وكانت جميع أنهر الدغيمات ذات فروع

---

(١) جاء في القاموس المحيط ٢/ ٨٨ مادة (عَجِرَ) أي كَفِـحَ غلـظ وسَـمنَ وضـخم بطنـه فهـو أعجـز، والعُجرة بالضم موضع العَجر والعُقَدة في الخشبة ونحوها... والعجاجير كُتل العجين.

(٢) قرية الدغيمات من قرىٰ وأكوات شط العرب وكان نصـفها مُلكـاً إلى ورثـة منصـور الحـاج سـلمان، والنصف الآخر إلى عبد الواحد الفريج ولآل الحاج مصطفىٰ طه السلمان، مُسميات البصـرة محلاّتهـا – وأسـرها – أعلامها: عبد الله رمضان آل عيادة الرفاعي، دار تموز، دمشق، سنة ٢٠١٥، ص١٤١.

(٣) جاء في لسان العرب ١٢/ ٢٠٢ مادة (دَغَمَ) «دَغَـمَ الغيـث الأرض» يَـدغَمُها وأدغَمَهـا إذا غشـيها وقهرها، والإدغام هو الإدخال ومنه إدخال حرف في حـرف، وكـذلك الإدغـام إدخـال اللِّجـام في أفواه الدواب وأَدغَمَ الفرس اللجام أدخله في فيه.

مُتشعِّبة ومتداخلة بعضها بالبعض وهي تبعد حوالي كيلو متر واحد من قرية كوت السيد وأكثر بيوتها من الطين ويسكنها أكثر من ٥٠٠ نسمة، ويملك القرية الحاج «منصور» وأصبحت في الأيام الأخيرة تُربّي الخيول الأصائل وكذلك أَصبحت تُكثِر من زراعة الموز الذي بدوره يحب المياه الوفيرة كما أن الطقس ملائم لذلك.

ونرجع إلى (منطقة ذاك الصوب) حيث تُعتَبر من أكثر مناطق شط العرب الشرقية تَشعُّباً للفروع والجداول فهي في المسافة بين قرية كردلان المقابلة لمدينة العشار ونهر «خرنوب». والشلامچة تضم عشرين مقاطعة مع أكثر من ستين نهراً مُتفرِّعاً من شط العرب رأساً وقد تشعَّبت منه النهيرات حتى أنّ نهر «جاسم» نفسه يُسمى نهر العشرة أنهار.

و«النبهاني» في صفحة ٤١ من «التُحفة النبهانية»[1] يعدد مناطق شط العرب التي هي من جنس الشلهات فيذكر نهر «جاسم» بعد منطقة الحسينية ثم يذكر بعد نهر «جاسم الدعيجي».

ويرجع في صفحة ٤٥ ليُعدِّد مناطق المقاطعات التي هي على شكل قرية فيقول إنها ٧٠ مقاطعة وكانت الدغيمات ونهر «جاسم» و«الحسينية» و«الدعيجي» شلهات تزرع الرز البصري الذي يرغبه سكان الخليج لسرعة طبخه وله خاصية لذة الطعم مع استعمال الماء القليل.

ويَحدُّ نهر «جاسم» من الشمال «كوت السّني» و«كوت علوان» و«جنوبي الدعيجي» وشرقاً «السبخ» وغرباً «شط العرب»، وكان «كوت السّني» قبلاً من

(١) يقول النبهاني في ص٤١ من «التُحفة»: «أسماء مقاطعات شط العرب التي هي عبارة عن جُزر في وسط الشط ويسمّونها شلهات وهي: الدغيمات، الحسيبة، نهر جاسم، الدعيجي، السليمانية (شلهة)، الشلاهي، الصالحية، العجيراوية، الدرَّة، الطويلة، السليمانية، البوارين، الحِدّه وهي حِدة الأغوات، أم الخصاصيف، أم القباقب، البليانية، الرميلة، شلاهي القطعة، البحرية، الصوفية، الزيّادية، عويسية، شلهة الدويب، الفداغية».

ممتلكات نقيب البصرة والشيخ «علي المُغني» الذي كان مَعفوّاً من أداء المِيري أي الضرائب. ومما يجب أن لا ننساه أن الأكوات[1] كانت على أنهار سُمِّيت الأكوات

(١) كوت: كلمة بابلية الأصل توارثها العراقيون عن البابليين والكلدانيين والآشوريين، وكان في إحدى المُدن البابلية مدينة بالقرب من بابل تدعى كوت وقد وَرَدَتْ في العهد القديم سفر الملوك الثاني فصل ١٧ آية ٤ «وأتى ملك آشور من بابل وكوت وعواد وسفراييم»، وكلمة كوت تطلق على البيت المُربّع المبني كالحصن أو القلعة ويُبنى حوله بيوت صغيرة وضيّقة بالنسبة إليه ويكون ذلك البيت مقصداً للسفن ترسو عنده لتُكمِل منه ما ينقصها من المؤن والزاد ولا تُطلق كلمة كوت إلاّ على ما يُبنى قريباً من الماء وقد استَعمَل العرب هذه الكلمة وحروفها.... وأُطلقت فيما بعد على إحدى محافظات العراق وفي قضاء الفاو، كوت بندر وكوت الخليفة وكوت الخشنام وكوت شلشيات، قضاء الفاو دراسة في الجغرافية الزراعية: سالم سعدون المبادر، ص١٧.

وفي المطيحة أكوات هي: «كوت ابن قراش، كوت الفارس، كوت العسافية، كوت الصگراوية، كوت بيت قصير، كوت الخرجي، كوت الثاقب، كوت عميش، كوت عمران».

وأكوات حمدان هي: «كوت أم فرج، كوت الفريج، كوت جفال، كوت ثويني، كوت الصِلحي، كوت سرحان، كوت الفدّاغ، كوت الذكيري، كوت الكمرلي».

وفي قرية أبي مغيرة: كوت الفريح، كوت الحمداني، كوت القاضي نسبة إلى «أحمد نور الدين الأنصاري» قاضي البصرة الأول في أواخر العهد العثماني، كوت الحساوي.

وفي البصرة كوت الحِجّاج وسُمي بأسرة آل الحِجّاج وهم من عشيرة بني أسد ومنهم النائب في مجلس النواب الملكي في العهد الملكي المرحوم الشيخ «صالح الحجاج».

أما أكوات شط العرب فهي: كوت الجوع، كوت الباشا، كوت السيد، كوت ابن نعمة، كوت زعير، كوت الگوام، كوت غضبان، كوت الشيخ، كوت سوادي، كوت الدحيمي، كوت السّني.

يتبين من هذا أن كلمة كوت هي مقاطعة صغيرة مملوكة لشخصٍ معين ويُطلَق هذا الاسم (كوت) على المناطق التي تقع جنوب البصرة وجنوب شرقها فقط. وعددها ما بين (٣٠) إلى (٤٠) كوتاً.

والتعريف السابق لكلمة كوت الذي عرضناه ونقلناه عن كتاب قضاء الفاو دراسة في الجغرافية الزراعية للأستاذ «سالم سعدون» المبادر هو مسلوخ من كتاب «سليمان فيضي» «البصرة العظمى»، إذ جاء في ص٥٨ «كوت معناه البيت المربع المبني بهيئة القلعة أو دونه تحصيناً يُتخذ ملجأً عند الحاجة وحوله بضعة بيوت راجعة إلى بيت الأب. ولا يُطلق عليه هذا الاسم إلاّ إذا كان قريباً من الماء مهما كان هذا الماء نهراً أو بحراً أو بحيرة... واللفظة ترتقي إلى عهد الكلدانيين والآشوريين والبابليين فقد جاء في سفر ←

باسمها وكان قد ظهر «كوت علوان» جديداً وهو من ضمن أملاك النقيب وقد أعطاها بالتزام إلى شخصٍ اسمه الحاج «علوان» وهذا عَمَّرَ المنطقة وزرعها بالقطن وشجر التكّي وجدد حفر النّهيرات وجاء بدود القَزّ ليتكاثر هناك وقد تَمَكّنَ بواسطة والي البصرة «عزيز آغا»(1) من أن يحصل على فرمان إرادة ملكية بإعفاء حاصلات أملاكه من الضرائب لأنّه شَيَّد مخفراً للجندرمة في أراضيه وتَكفَّل بإطعامهم وذلك سنة ١٢٤٠هـ ـ ١٨٢٤م.

ويُلاحظ أن منطقة «كوت السّني» و«كوت علوان» أصبحت محصورة بين «كوت الدحيمي» و«الحدادة» من شمالها ونهر «جاسم» من جنوبها بينما يكون «السبخ» من شرقها و«شط العرب» من غربها.

كذلك يُلاحظ أن مقاطعات شط العرب الشرقية (ذاك الصوب) يَحُدُّها شمالاً نهر «حسن» وجنوباً «البوارين»، وأن منطقة «كوت الدحيمي» و«الحدّارة» هي من

الملوك ١٧-٢٤ و«أتى ملك آشور يقدم من بابل وكوت وعوا وحماة وسفروايم» والأدق أنه في سفر الملوك الثاني إصحاح ١٧ آية ٢٤ «وأتى ملك آشور بقوم من باب وكوت وَعَوَّا وحماةَ وسفروأيم وأسكنهم في مُدن السامرة عِوضاً عن بني إسرائيل فامتلكوا السامرة وسكنوا في مدنها» وهنا يتبيّن أن الأستاذ «سالم المبادر» والأستاذ «سليمان الفيضي» قد نقلا النص بصورة غير دقيقة.

(١) جاء في كتاب «تأريخ العراق بين احتلالين» للأستاذ «عباس العزاوي»، طبعة وزارة المعارف، بغداد، سنة ١٩٥٥، ٧/ ٢٥ في حوادث سنة ١٢٤٨ ـت ١٨٣٢ «أن «عزيز آغا» من أعوان «داود باشا»، كان مُتسلّم البصرة مدة أربع سنوات أو خمس فلما خرج منها ذهب إلى المُحمّرة (خرمشهر) ومن هناك فرَّ إلى إيران، وصار يكاتب الأهلين بقصد إحداث الاضطراب فَجَمَعَ على راسه جموعاً كثيرة وعزم على المجيء إلى بغداد ولكن إيران منعت «عزيز آغا» من أن يقوم بأي عمل، وبعدها تم إلقاء القبض عليه في أنحاء شوشتر وكان في حراسته مائتا جندي.... وان آل «عزيز آغا» لا يزالون في بغداد إذ تولوا مناصب كبيرة في الدول العراقية وصاروا أصحاب مكانة مقبولة أعني الأستاذ «أمين خالص» وكان بمنصب رئاسة المفتش الإداري فأحيل إلى التقاعد وكان قد ولّي متصرفية البصرة، و«محمود خالص» الذي شغل عضوية محكمة التمييز وهما ابنا «خالص بن أمين بن عزيز آغا» ولـ«عزيز آغا» أوقاف خيرية في البصرة....».

أصعب المناطق اجتيازاً نظراً لكثرة الجداول حتى أصبحت المنطقة مُقسَّمة إلى محلاّت تسمى «أحواز» كل حوز منها باسم شخصٍ ونظراً لانتقال بعضها من مالكٍ إلى آخر فقد ضاعت حقيقة الأسماء على المتتبعين.

أما الدحيمة أو الدحيمي[1] كمّا تُسمى أيضاً فهما قريتان على نهر يُطلق عليه اسم الدحيم والذي معناه شدة الدفع[2]حيث تزداد سرعة الجريان في هذا النهر فكانت الدحيمة الكبيرة التي تقع على بعد خور قريب من قرية «كوت سوادي» وسكان هذه القرية من حميدان والكنان وقد شيَّدُوا بيوتهم من طينٍ وبعضها بالطابون وأحاطوا قريتهم بسورٍ من طين وكانوا يشتغلون بالزراعة وتبادل البضائع والنقل النهري وعدد نخيلهم أكثر من عشرين ألف نخلة وعددهم أكثر من خمسة آلاف نسمة.

---

(١) كوت الدحيمي ويشمل الدحيمي الكبير والصغير وكوت السيد، والدحيمي الكبير كان ملكاً لورثة «إسكندر ماطوز» ومنهم إلى سارة (الزنـگينة) والدحيمي الصغير كان مُلكاً للشيخ «خزعل» أمير المحمرة وعربستان، وبعد الحرب العظمى (الأولى) ابتاعته شركة «هلس إخوان» الأمريكية والتي سُمَّيت فيما بعد بشركة مزرعة «كوت السيد» وأسست عليها معامل لتصنيع (تعليب) التمور ومخازن تبريد و.... وغرستها بنخيل الحلاوي بعد أن قلعت جميع النخل القديم وجعلتها مزرعة نموذجية وأنشأت فيها بعض القصور والدور لسكن موظفيها وعمالها وكان يدير شؤون هذه المزرعة المستر «داوسن» الذي بذلَ جهوداً وصرف أموالاً طائلة من أجل إكمال زراعة هذه المقاطعة التي سُمِّيت فيما بعد بـ «كوت السيد»، وقد أجرت الشركة عدة تجارب فنية واختبارات حول ما يصيب النخيل وثماره من الأمراض والآفات الزراعية وطريقة مكافحتها واستأجرت العمال بأجورٍ يومية وكانت مساحتها ما يُقارب الألف دونم فبلغت أقصى ما بلغت إليه من ثمار المحاصيل ثلاثين ألف طن من التمر البصري (نوع حلاوي)، ثم اضمحلت هذه المزرعة بسبب قلة المياه والظروف البيئية. وبعد الحرب العالمية الثانية في نهاية الخمسينيات من القرن المنصرم باعتها الشركة إلى الحاج «عبد الكاظم الشمخاني» بمئة وخمسين ألف دينار واستأجرتها منه لمدة خمس عشرة سنة، مُسميات البصرة: عبد الله رمضان آل عيادة، ص١٤٠.

(٢) جاء في القاموس المحيط ٤/ ١١٢ مادة (دَمَّةَ)، «كمنعهُ دفعهُ شديداً».

وهناك قرية «الدحمية الصغيرة» ويسكنها حوالي ألف نسمة يعيشون على الزراعة وتربية المواشي وتبعد عن قرية «الدحمية الكبيرة» بنصف ميل وصناعتهم غزل الصوف وعمل العبي.

و«الدعيجي»[1] سُمِّيت القرية على اسم النهر وفيها تشبيه بتسمية العرب لأرض جنوب العراق بالأرض السواد وذلك لكثرة النخيل التي تُشاهَد على بُعد فتظهر سوداء، وهكذا أرض منطقة «الدعيجي» فهي كثيفة النخل وعلى شكل غابة لا يمكن رؤية مَنْ فيها، ولذلك أَخذت هذه الصفة في شدّة سوادها[2]، وأهل المنطقة يقلبون الجيم ياءً ولذلك يقولون «دعيبي».

وتُعتبر «الدعيبي» من أكبر قرى المنطقة وتبعد حوالي ١٣ كيلو متر عن مستشفى بناه الأتراك في تلك المنطقة ثم استخدمه الإنكليز عند احتلالهم للبصرة في الحرب العظمى وزادوا على بنائها. وإلى الشمال من الدعيجي تبدأ جزيرة الطويلة ذات الموقع المهم نظراً لسيطرتها على ساحل تلك المنطقة زيادة على أنها جزيرة تحيطها المياه العميقة وهي قليلة المسالك ومن الصعب الرسو أو الإنزال فيها. وفيها غابةٌ من نخلٍ كما كانت تزرع الرز والتبغ.

و«الدعيجي» تتكوّن من عدة أكوات وأنهار متقاربة ومتجاورة وسكانها بمجموعهم يزيدون على السبعة آلاف نسمة كما هناك مركز گمرگي قديم كان على شكل قلعة وفيه مدفع من سرية من الجنود المشاة والسوارية (الخيّالة) ثم هُدِّم هذا المركز سنة ١٩١٣ بواسطة احتجاج بريطاني لأنه تسليح لشط العرب وهذا يناقض

---

(١) الدعيجي: من قُرى قضاء شط العرب رقم المقاطعة (٣) يخترقها نهر الدعيجي الذي يَتفرَّع من شط العرب الصغير من نهر الصالحية إلى شرقها كان فيها في العهد العثماني دائرة كمرك ومدرسة ابتدائية ومخفر (مركز) للشرطة.

(٢) جاء في القاموس المحيط ١/ ١٩٥ مادة (الدعج)، والدعجةُ بالضم سوادُ العين مع سعتها والأدعج الأسود والدَّعجاء الجُنون وأولُ المحاق.

بروتوكول الإستانة ثم أُعيد بناؤه سنة ١٩١٤ على شكل مخفر للشرطة (الجندرمة) الحدودية مع موظفين للـگمرك.

وكانت أكثر أراضي «الدعيجي» من الأملاك السنّية «أي أملاك السلطان «عبد الحميد» الخاصّة» كما وأنَّ بعضها للسيد «هاشم النقيب» وخاصة وأن المقاطعة تضم عدة قُرىٰ وأكوات أهمها «الداودية» و«كوت زويد» و«أم أيوب» ونهر «شهاب» و«كوت رشود» و«كوت شعيب» و«الجواجي» و«كوت عبد الله» ونهر «عميرة» وهذه الثلاثة الأخيرة كانت فيها أملاك لعائلة «الزهير» مع بعض القصور والبيوت الفخمة وكُلّ الأراضي كانت تابعة للميري وتصدّر أكثر من كارة من التمر الجديد.

ومن توابع «الدعيجي» «الشلامچة» التي كانت من أملاك «الفدّاغ» ثم أصبحت لملاّكين آخرين وقد عَمَلَ آل الفداغ لتعمير المنطقة والزراعة وضمّوا بعض الأراضي البور إلى الشلامچة بعد أن حفروا عدة نُهيرات لذلك. وبذلك استقطعوا أرضاً من مقاطعة البوارين.

والبوارين تمتد إلى الكشك البصري الذي هو عبارة عن بقايا قصر لأحد أمراء العهد البربري في العراق والذي سبق العهد السلجوقي وكان قد شيَّده في القرن الرابع الهجري لزوجته البصرية التي رفضت أن تتبعه خارج منطقة البصرة فَشيَّد لها هذا القصر الذي سُمّيَ بالكشك البصري حيث كَثُرت في ذلك العهد الأكشاك والطبري يذكر أسماء لعدة أمراء شيَّدوا لهم أكشاكاً.

وكانت للأمير زوجة ثانية من الحويزة رفضت أيضاً أن تتبعه خارج منطقتها فَشَيَّد لها الكشك الحويزي.

وتمتد المنطقة إلى خور الخرنوبية والخَيَّين على الحدود لأنها في حقيقتها تتألف من مجموعةِ قرىٰ. سبعٌ منها كبيرة وست صغيرة. يسكنها أكثر من عشرة آلاف نسمة كما وأنها تضم أكثر من ألفي جريب نخل أكثرها من (النشو) والتمر البرحي والبريم والـگنطار والعويدي وسكانها يُربُّون الماشية كذلك اشتهرت المنطقة أخيراً بزراعة

الفواكه والخس وصيد الإسماك كما وأنّ بعض سكانها يشتغلون بالتجارة وقد اشتق اسمها من (البور) وهي الأرض التي تُتَرك سنة لتُزرَع من قبل أهل المنطقة. الذينَ كانوا يتعرّضون للاعتداءات الفارسية وبعض أتباعهم ولكنهم كانوا يقابلون القوة بالقوة.

وهناك مدرسة عراقية وأن سكان المنطقة عرب يعتزون بعروبتهم.

وتتبع البوارين قريتان هما السليمانية التي تبدأ من جنوب خور الدعيجي ممتدة للحدود وأكثر سكانها من عشيرة العتوب ويسكنون بيوتاً طينية وكان فيها مركز العتوب أيام العهد العثماني نظراً لوفرة المياه وكثرة الحاصلات وحسن الجو وصلاح المنطقة لتربية الخيول الأصائل وتصديرها وتقابل ساحل السليمانية جزيرة وشلهة تُسمّىٰ السليمانية تشتهر بزراعة الرز.

ثم قرية الخرنوبية علىٰ نهر الخرنوبية الذي هو آخر نهر عراقي علىٰ حدود شط العرب الشرقية وتضم أكثر من عشرة آلاف نخلة وكانت الخرنوبية قديماً تشتهر بزراعة التبغ.

وفي الحقيقة إنَّ أكثر أراضي البوارين وَهَبها والي البصرة «عزيز آغا»[1] في ولايته

---

(١) لم يكن والياً على البصرة بل مُتسلِّماً، إذ تم تعيينه مُتسلِّماً سنة ١٢٤٠هـ-١٨٢٤م وقد اقترن اسمه بتجديد مسجد بدر الذي بناه الوالي «محمد كاظم آغا» فنُسب واشتُهر بجامع «عزيز آغا»، التحفة النبهانية، ص٣٠٨-٣٠٩.

وسوق «كاظم آغا»: من الأسواق القديمة في البصرة منذ العهد العثماني وفي زمن متسلم البصرة «عزيز آغا» سنة ١٢٦٢هـ، وجُدّد بناءه ووسَّع في زمن متسلم البصرة «محمد كاظم آغا» سنة ١٢٣٦هـ، وكان يُسمّىٰ آنذاك بسوق «كاغ ماغة» أي سوق آغا وبقي السوق إلى نهاية الخمسينيات وبقيت أطراف منه إلى نهاية السبعينيات وحدوده تبدأ من شارع عرباين الربل أم حصانين وينتهي خلف بيت باشا أعيان وهو سوق مُسقّف قديم ويُقسم إلى عدة أسواق متنوعة فيه، ومنه سوق الذهب (لليهود) وسوق النجارين وسوق الصفّارين وسوق البزازين و..... يُنظر: كتاب تراث البصرة: عبد الله رمضان آل عيادة، الجزء الأول والثاني، ص١٦-١٧، دار تموز، دمشق، ط١، سنة ٢٠١٤.

الثانية للبصرة سنة ١٢٦٨هـ ـ ١٨٤٨م كوقف للمدرسة السليمانية التي أُدمجَت بعد ذلك بمدرسة الرحمانية وعلى هذا فإنَّ حاصلات المنطقة كانت تحت نَظَّارة الأوقاف الذين اهملوا بالسابق شؤون تلك الأراضي الموقوفة وتُركت للخرص وتلاعب الأيدي ولذلك كادت أن تصبح خراباً.

وأرجع لأُبين بأنَّ أحدهم سألني عن معنى «الشلامچة» ولماذا سُمِّيت هذه المنطقة بها وكنتُ قد فَسَّرتُ للسائل ولكنني أريد تبيان ذلك للأخوة القرّاء لأن الشلامچة لفظة أُخذت من الشلمج[1] أو ما يُسمّى الشليم أو الزؤان وهو نباتٌ طُفيلي كان ينبت بين سنابل الحنطة وله حَبٌّ مثل الحنطة ولكنه رديء وكان يكثر في هذه المنطقة قبل أن تصل أيدي الإصلاح إليها.

(١) وقد ورد في معجم البلدان لياقوت مجلد ٣/ ١٥١ منطقة باسم شلاَم قال: «شلاَم بوزن سلام بُطيحة بين واسط والبصرة».

الفصل التاسع

لماذا سُمّيَ بشط العرب[1]؟ وكيفية تكوينه؟

يتكون هذا الشط من اقتران نهري دجلة والفرات عند القرنة. حيث يجري بإتجاه الجنوب الشرقي فيصب في الخليج العربي قاطعاً (٢٠٤) كيلو مترات ثم يستمر في امتداده بالخليج ولمسافة خمسة كيلو مترات.

وأن شط العرب من نقطة ابتدائه إلى آخر أرض عراقية جنوباً يسقيها مكوّناً على ضفتيه غابةً من النخيل تُقّدرُ بحوالي ستة عشر مليون نخلة بعمقٍ يتراوح بين ١ ــ ٢ كيلو متر تُسقى بواسطة فروع الشط (٦٣٧) فرعاً منها (٤٧٠) على ضفة الشط الغربية و (١٦٧) فرعاً على ضفته الشرقية ضمن الحدود العراقية، كما وأن هناك حوالي ثمانين فرعاً ضمن أراضي عربستان.

ولشط العرب رافدان هما السويب وكارون، حيث يأخذ السويب ماءه من الحويزة بينما ينبع الثاني من منطقة «كوه رنك» حاملاً معه كمياتٍ كبيرة من الغرين يَصبُّها في شط العرب معرضاً بذلك الملاحة للعراقيل مما استوجب العمل على الحفر وتنظيف الشط ليساعد البواخر الكبيرة على الدخول في شط العرب وللبصرة. ومما يُلاحظ أن شط العرب وفروعه تتأثر بالمد والجزر، ولذلك فإن ارتفاع المياه وانخفاضها في الشط والفروع تأتي بأوقاتٍ مُعيَّنة من الشهر حيث يكون ذلك عندما يكون القمر في المحاق وهلالاً ثم مرة ثانية عندما يكون الهلال بدراً ويُسمّى المد الأكبر وقد ساعدت هذه العملية الفلاّح البصري في السقي حيث تكون المياه

(١) صحيفة القادسية (بغداد) يوم ٧/ ٨/ ١٩٨٨: الصفحة ٧.

بمتناوله كما وأنها ساعدت على تنظيف الشط.

ويتأثّر الشط بالصيهود وهو حادث موسمي يبتدئ من شهر تموز حتى تشرين الأول وتكون خلال هذه المدة المياه العذبة التي تصل إلى الشط قليلة أي أنّ الصيهود يعني شحة المياه وهو عكس الفيضان كما وأنه لا يشبه الجزر الذي هو حدث يومي.

ومن أعظم الفيضانات التي تأثَّر بها الشط في القرن العشرين هو الذي حدث سنة ١٩١٤ وسنة ١٩٣٤ وسنة ١٩٤٦ وسنة ١٩٥٤ وسنة ١٩٦٩، حيث غَمَرَتْ مياه زائدة من دجلة والفرات والسويب وكارون والكرخة في وقتٍ واحد فأتلفت المزارع والبساتين وأماتت الأشجار حيث وصل تصريف الشط للمياه حوالي خمسة آلاف متر مكعب في الثانية وهذه قدرة فائقة لم يَتَحمّل الشط أكثر منها أَدَّت إلى انغمار الأراضي بالمياه وتكوين بحيرة دامت طويلاً سمّاها أهل الجنوب (البطيحة) إذ تَبطَّحت المياه أي سالت واتسعت، ونظراً لتأثّر الشط بالمد والجزر فإنّ فروعه وقنواته وتُرعه تطفح بالماء أثناء المد فتسقي الأراضي الشاسعة دون عناء حتى يُروى كُل عرقٍ وتتم الفائدة ثم ينسحب الماء بالجزر. وهكذا فإنّ الشط يساعد المزارعين طوعاً ساقياً حوالي ١٦ مليون نخلة ضمن منطقة البصرة فقط وذلك لأن المنطقة المُسقاة يبلغ طولها ١٠٨ أميال وعرضها ابتداءً من الشط إلى الداخل أكثر من ميل وعليه فهي بمسافة تُقدَّر بـ ١٣٨٠٠٠ فدّان بضمنها المنطقة الداخلة في حدود عربستان ومساحتها ٣٧ ألف فدان فيبقى حوالي (١١١٠٠٠) فدان وبمعدل ١٤٠ نخلة للفدان فيكون عدد نخيل البصرة المروّية بواسطة شط العرب (١٥٥٤٠٠٠) نخلة.

وهُناك جُزر في شط العرب تزرع الرز وأشهرها أم الخصاصيف[1] بقسميها مع أم

(١) تقع أم الخصاصيف قبالة الحدود العراقية الإيرانية الساحلية في شط العرب ويكون قربها إلتقاء فرعي شط العرب، وعند بلوغ نصف أم الخصاصيف يُطلق عليها أم الرصاص إذ ينتهي طرفها الجنوبي عند مصب الكارون في شط العرب ويكون غربها قرية كوت الزين والطرف الجنوبي من الجزيرة هو المقابل للمحمّرة (أم الرصاص)، وكانت في أم الخصاصيف مركزاً للجوازات ومخفراً للشرطة وهي ←

تابعة إدارياً لناحية السيبة وطول الجزيرة الكلي بقسميها ثمانية كيلو مترات وعرضها ٢٥٠ متراً، أما أم الرصاص فطولها حوالي ١٢كم وعرضها ما بين (١ ــ٢) كيلو متر وكلّما اتجهنا إلى الجنوب يصل عرض الجزيرة إلى أمتار فقط. يُنظر: تراث البصرة، أنهار البصرة وقراها ومقاطعاتها الزراعية: عبد الله رمضان آل عيادة، ص٧٦-٧٧.

وبسبب محاذاة الجزيرة للممر الملاحي المؤدي إلى موانئ البصرة وموقعها القريب من الحاجز الرملي الذي بنته رمال نهر الكارون فوق الممر الملاحي اتخذت سلطة الموانئ العراقية من شاطئها الجنوبي مكاناً لإقامة فنارين ملاحيين لتهتدي بهما السفن عند اجتيازها لهذا الحاجز المُسمّى بسد كارون فاكتسبت الجزيرة أهمية ملاحية مضافة، ثم قامت الموانئ العراقية بنصب عوّامة مِلاحية قرب لسانها الجنوبي على شكل وعاء فولاذي كبير يشبه (الدبة) فَطغَت عليها تسمية (جزيرة الدبّة) في فترة من الفترات التي مَرَّت بها.

وما أن وقعت الحرب العالمية الأولى في العام ١٩١٤ حتى اتخذت منها القوات البريطانية مكاناً لتخزين الذخائر والأعتدة والبارود واستغلّت قيمتها التعبوية في تدكيس الأسلحة وبناء المشاجب والتحصينات العسكرية. ثم انسحب البريطانيون منها مُخلّفين وراءهم البارود والرصاص بكمياتٍ كبيرة، فسارعَ الأهالي إلى نبش مواقعهم بحثاً عن الرصاص والذخيرة المخبأة في الطرق الشمالي للجزيرة فأطلقوا عليها منذ ذلك الحين تسمية (أم الرصاص) لكثرة ما وجدوه من رصاص، على ضفاف شط العرب كتابات من ذاكرة الطين والماء: كاظم فنجان الحمامي، دار تموز، دمشق، ط١، سنة ٢٠١٢، ص١٢٢-١٢٣).

ولَعلَّنا نذكر معلومة مهمة هنا ذكرها السيد «كاظم فنجان الحمامي» تَتَعلَّق بمنطقة مضيق الشيطان القريب من هذه الجزيرة، إذ قال: «ينحصر مضيق الشيطان بين الطرف الجنوبي لجزيرة (الشمشومية) والجزء الشمالي من جزيرة (أم الرصاص) ويقع إلى الجنوب من ميناء «أبو فلوس» بمسافة أربعة أميال بحرية. وهو أضيق الممرات الملاحية في شط العرب وأضيق المضايق العالمية على وجه العموم ويبلغ عرضه حوالي ١٥٠ متراً فقط.... وفي هذا المضيق تَتَعرَّض السفن التجارية الكبيرة العابرة للمحيطات أثناء عبورها لقوةٍ خفية تؤثر في بوصلتها المغناطيسية فتضطرب وتتحرّك بشكلٍ عشوائي مما يدل على وجود قوة مغناطيسية أو قوة جذب شديدة وغريبة حيث تنحرف إبرة البوصلة بزاوية كبيرة وتنجذب نحو الضفة الشرقية لشط العرب، ولما كانت هذه السفن الكبيرة تعتمد فيما مضى على الاتجاهات التي تحددها البوصلة المغناطيسية وترسم مسارها فإن هذا الانحراف الفجائي في هذه المنطقة يؤدي حتماً إلى جنوحها عن خط سيرها. وبخاصة أثناء الملاحة الليلية»، المصدر نفسه ٨٠-٨١.

الرصاص وأم الجبابي[1] والمحمودية[2] والفدّاغية[3] والزيّادية[4] والـگليصاوية والمحلة والصالحية[5].

أما أهم مقاطعات شط العرب المصدِّرة للتمور جنوباً فهي السراجي ومهيجران ويوسفان وحمدان واليهودي[6] وأبو مغيرة ونهر خوز وأبو الخصيب والبلجانية

---

(١) جزيرة أم الجبابي (اليبابي): تقع على شط كوت الزين إذ يحدها كوت الزين من الغرب ومن الشرق جزيراتا أم الخصاصيف وأم الرصاص، طولها ٢كم وعرضها نصف كيلو متر وهي من أوقاف عزيز آغا مُتسلّم البصرة سنة ١٢٦٥هـ ولا تزال تحت تصرف ورثته السادة محمود خالص وأخوه أمين خالص وهم من الأُسر البغدادية. ينظر: تراث البصرة: عبد الله رمضان آل عيادة، ص٧٥.

(٢) جزيرة المحمودية: وهي تُسمى الآن جزيرة السندباد وتُسمى جزيرة الفحم. وتقع قُبالة المطار المدني في المعقل جنوبي جزيرة المُحمَّدية وسط شط العرب وتبلغ مساحتها ثلاثمئة وستين دونماً ومئتين وخمسين متراً، ويمر بها جسر خشبي قديم يربط بين المعقل والجهة الشرقية لشط العرب وكان قد أُنشيء عام ١٩٤٨، ويبلغ طوله ٥٠٠ متر، وهي من متنزهات البصرة ذات الماضي الجميل. المصدر نفسه ص٧١.

(٣) جزيرة الفداغية: هي مقاطعة مكملة للصالحية وتقع على نهر الصالحية جنوب الصالحية.

(٤) جزيرة الزيادية: هذه الجزيرة يحدها شرقاً شط العرب وعبادان وغرباً الشط الفاصل بينها وبين مقاطعة الدواسر وجزيرة الدويب تابعة إلى ناحية السيبة إدارياً. المصدر نفسه ص٧٨.

(٥) جزيرة الصالحية: وهي عبارة عن جزيرة فيها أقسام متعددة الصالحية الأولى والثانية والعجيراوية الأولى والثانية ونهايتها مقاطعة الدرة، وغربها مناطق البراضعية والسراجي وميتان وعويسان ومهيجران ويوسفان وحمدان والحمزة والصنگر وأبو مغيرة ونهر خوز.

كان في مدخل نهر الصالحية في العهد العثماني ثلاثة قصور لأسرة المرحوم «إبراهيم آل الزهير» أحدهم كان لسكناه والآخران كانا تحت تصرف الحكومة العثمانية حيث جعلتهما محجرين (كرنتينة) يُحجر فيها المسافرون الذين يأتون من خارج العراق إلى البصرة لمدة عشرة أيام عندما تنتشر الأمراض المعدية ومنها الهيضة والكوليرا في الهند والبلاد المجاورة للعراق وفيها بساتين عامرة آنذاك وحدائق غنّاء وقصور فخمة و.... المصدر نفسه ص٧٢-٧٣.

(٦) اليهودي: وهي قرية الحمزة الحالية وقد كانت تُسمى باليهودي سابقاً، وقد ذكرها «الطبري» في تأريخه ١١/ ٢٧٧، فقيل إنها قُدّمّت كهدية من الخليفة «هارون الرشيد» إلى الطبيب اليهودي «جبرائيل بن بختشيوع» وذلك لمداواته إحدى جواريه كما ذكر ذلك صاحب كتاب «عيون الأنبياء في

←

والزين والسيبة والدواسر والمعامر والفاو.

أما مقاطعات شمال الشط فمنها السويب ومزيرعة والنشوة وكتيبان والكباسي كما هناك الشربتي والهارثة والخربطلية وجزيرة الصقر.

وجزر زراعة الرز تُدعى عند البصريين (شلهة) وهي تدفع بحاصل من الرز يُسمى «التمن البصري» وهو مرغوب في أقطار الخليج العربي لأنّه ينضج بسرعة ولا يحتاج إلى ماءٍ كثير في طبخه.

والمُلاحظ أن البصرة عندما أُسست سنة ١٤ هجرية ٦٣٥ ميلادية وإلى ما بعد أربعة قرون وثلاثة عقود من السنين أي إلييوم ٢٠ شعبان سنة ٤٤٣ هجرية ٢٨ كانون الأول سنة ١٠٥١م كان شط العرب يُدعى[1] «دجلة العوراء». ولكن من هذا التأريخ حيث ثبت ذلك وَسَجَّله صاحب السفرنامة في رحلته عروبة الشط وأنّ سكانه على الضفتين عرب وسمّاه بشط العرب وهكذا ابتدأ هذا الاسم وقد جاء في السفرنامة «للبصرة سور عظيم يحيط بها ما عدا الجزء المُطلّ على النهر وهذا النهر هو شط العرب» ويلتقي دجلة والفرات عند حدود مدينة البصرة وتلتقي بهما أيضاً

طبقات الأطباء» وقال: «كان هذا الطبيب مسيحياً ويدعى «جبرائيل بن بختشيوع بن جرجس» والقصة التي أوردها صاحب «كتاب عيون الأنباء» هي كالآتي: «يُحكى أن «جعفراً بن يحيى بن خالد البرمكي» قال لـ«بختشيوع»، أريد أن تختار لي طبيباً ماهراً فقال ابني أمهر مني وليس في الأطباء مَنْ له نظير، وهكذا أُحضر الابن لعلاج جارية «هارون الرشيد» وقد عالج الجارية فأعجب «هارون الرشيد» فأمر له بنصف مليون درهم وأقطعهُ أرضاً في البصرة وعلى إثرها سُمِّيت المقاطعة باليهودي، وهذا ما نقله الشيخ «عبد القادر باشا» أعيان في موسوعة «تأريخ البصرة» ص٢١١. ويُنظر: تراث البصرة: عبد الله رمضان عيادة، الجزء الأول والثاني: ص٧١-٧٢.

(١) كان «حامد البازي» قد أثبت أنّ «ناصر خسرو» قد زار البصرة سنة ١٠٤٥م وهو خطأ، والصحيح أنها سنة ١٠٥١هـ وقد ذكرها هنا صحيحة.

و«ناصر خسرو» أول من ذكر هذا الإسم «شط العرب» الذي كان يُسمى «دجلة العوراء»، إذ قال: «البصرة سور عظيم يحيط بها ما عدا الجزء المُطل على النهر وهذا النهر هو شط العرب» ينظر: رحلة ناصر خسرو، نقلاً عن: المجمل في تأريخ البصرة: علاء العيسى، ص٢١٩.

قناة الحويزة فيُسمّى النهر حينئذٍ شط العرب، وفي الحقيقة أن شط العرب في أصله كان امتداداً لنهر دجلة حينما كان كل من دجلة والفرات وكارون يصبّون في الخليج رأساً ولم يكن قد تمَّ ٱلتقاء الرافدين بمطاره والتي هي القرنة.

فمثلاً جاء في الجزء الخاص بجغرافية البلدان من كتاب التأريخ الطبيعي للمؤرخ الإيطالي «بلايني» (٢٣ــ٧٩) ميلادية فهو يقول عن دجلة بأنه يستمر في مجراه فيصب في البحيرات الكلدانية ثم يخرج منها بقناة واسعة فيمر يمين مدينة جاركس ثم يصب في الخليج العربي.

ويذكر الدكتور «طارق الكاتب» في صفحة ١٩ من كتابه «شط العرب وشط البصرة والتأريخ» بأن «بلايني» هذا سمّى الخليج بالعربي وأنه قال إنّ مدينة جاركس تقع على نهاية الخليج حيث تبدأ الأجزاء المهمة من بلاد العرب، وكذلك نرى صاحب كتاب «مراصد الاطلاع» يذكر في صفحة ٧٥ من كتابه بأنَّ كور دجلة[1] إذا أطلق هذا الاسم فإنّه يُراد به أَعمالَ البصرة ما بين ميسان إلى البحر كُله.

لقد غَيَّر دجلة مجراه وانسابَ عبر ما يُعرف اليوم بنهر الغرّاف تاركاً أصله بماءٍ سحج أُجيزَ أن يُطلق عليه «دجلة العوراء»؛ وذلك بعد أن أعوَّر ماؤه، وفي اللغة فلاة عوراء أي صحراء لا ماءَ فيها كما يُقال عار عين الماء أي دفنها وسدَّها. إنَّ إبدال دجلة لمجراه هذا كان سنة ٦٢٨ ميلادية بعد فيضان عظيم لم يمكن حسره والتُغلّب عليه ويصادف ذلك في السنة الثامنة للهجرة النبوية الشريفة. فلما جاء العرب المحررون انشغلوا بالحروب وهكذا أُهملت المنطقة إلى نهاية تحرير العراق وكان دجلة قد غيَّر مجراه وبدأ العرب ببناء السدود.

وشط العرب اليوم عنوان نهر عربي وأن هذا اللسان الزاهي المُتكوّن من الرافدين هو المنفذ الوحيد للعراق نحو الخليج العربي وأقطار آسيا. وهكذا تمخر فيه البواخر

(١) وقال ياقوت في معجم البلدان مجلد ٤/ ص١٥٩: «كور دجلة إذا أُطلق هذا الإسم فإنما يُراد به أعمال البصرة ما بين ميسان إلى البحر كله يُقال له كور دجلة».

العظيمة وفي ميناء أم قصر البواخر العملاقة، وإذا كان هذا الشط العربي الخالد هو وريث دجلة فإنّ دجلة نفسه سمّاه البابليون والآشوريون «دكلات» وهي نفس اللفظة العربية «دجلة» وإذا قُلنا أنّ للخليج العربي عدة ألسن (جمع لسان) تمتد داخل سواحله وأن شط العرب لا على اعتباره يصب في الخليج بل على أنه أحد تلك الألسن فهو بتعريفه لسانٌ بحري عذب له الفضل على صيد اللؤلؤ في الخليج حيث توجد اللآلئ والدرر في الأبحر التي تصب فيها مياه عذبة.

وكذلك نظراً لعرض شط العرب عند مصبّه حيث يبلغ أكثر من كيلو مترين مع وفرة في المياه وعمق وصلابة لكي يستقبل البواخر الكبيرة بغاطس حوالي عشرة أمتار إلى الفاو وكذلك تسعة أمتار إلى المعقل. ونشاهد كثرة السفن الشراعية في الشط إلى جانب البواخر والأبلام والمهيلات وخاصة في موسم التمور الذي يبدأ من شهر أيلول، وكانت المصادر القديمة تُقدِّر صادرات تمور البصرة بأكثر من أربعة ملايين منّاً بصرياً. قُدِّرت بعد ذلك بمليون ليرة كما قُدِّرت قبل ربع قرن[1] بعشرة ملايين دينار وهكذا ازدادت، وينقل «سليمان فيضي» في صفحة ١٥ من كتاب

---

(١) ورد أنّ احصائيات التمور المُصدّرة للخارج لسنتي ١٩٣٨ ــ ١٩٣٩ قد بلغت الآتي:

السنة ١٩٣٨

العدد	النوع	الوزن/ الطن
٢١٨٨٠٩٦	صندوق	= ٦٠٩٣٥
١٧٢٧٠٧٥	خصّافة	= ٨٨٨٢٠
٢٣٢٦٢٨	أوعية مختلفة	= ٣٥٨٩٣

السنة ١٩٣٩

العدد	النوع	الوزن/ الطن
١٩٣٧٩٣٢	صندوق	= ٥٧٣٠٧
١١٩٧١٩٥	خصّافة	= ٩٩٧٧٢
٤٩٠٧٠٢	أوعية مختلفة	= ٣١١٨٢

«البصرة العظمى» أنَّ ضواحي البصرة مُخصِبة جداً بفضل شط العرب ونبت بها الرز والورد والتبغ والفواكه والتمر وهو أهم تجارتها ويبلغ ثلاثة مليونات آقة بأربعة ملايين فرنك[1].

والخليفة «هارون الرشيد» يقول «نظرنا واذا كل ذهب وفضة على وجه الأرض لا يعادل ثمن نخل البصرة»[2].

ويُلاحظ أيضاً أن الترسّبات والغِرَين التي يحملها نهر كارون ويصبها في الخليج العربي سببت ومنذ القِدم سداً في مدخل الخليج العربي كان يعوق المياه المنحدرة من الرافدين من الصب في الخليج العربي وعليه فإنّ كُلاً من دجلة والفرات بات يدفع ببعض مياهه إلى الأراضي المنخفضة قبل وصولها الخليج. وهكذا أصبحت هناك بحيرة من المياه سُميّت (الهور) وصادفَ أن الفرات ولسببٍ ما قد غَيرَّ مجراه أيضاً عن تلاقيه بدجلة وأخذ يدفع بمياهه إلى هور الحمار ثم يأخذ هذه المياه نهر الكرمة «كرمة علي»[3] وعليه فقد أصبح الجزء الممتد بين القرنة وكرمة علي امتداداً لدجلة.

وبهذا يكون مجموع ما تمَّ تصديره بالطن ١٨٥٥٤٨ طن سنة ١٩٣٨ و١٨٨٢٦١ طن سنة ١٩٣٩، هذا الوزن بالطن ثم يقسم على الوزن بالمن البصري، المصدر: حاضر البصرة: عبد المجيد حسن الغزالي، بغداد، سنة ١٩٤١، مطبعة المعارف، ص١٨٦».

(١) النص في كتاب «البصرة العظمى»: لـ«سليمان فيضي»: عني بنشره: الدكتور «عبد الحميد فيضي»، مطبعة دار التضامن، بغداد، سنة ١٩٦٥، ص ١٦، وضواحيها مخصبة جداً ينبت بها الأرز والورد والحنطة والتبغ وأنواع الفواكه والتمر وهو أهم تجارتها بسبب كثرته بها فإن غيطانه تمتد إلى ما فوق البصرة بمسافة عشر ساعات تنتهي إلى خليج فارس ومقدار التمر الحاصل منها يبلغ سنوياً ثلاث مليونات آقة بقيمة أربعة ملايين فرنك...

(٢) ورد هذا القول في معجم البلدان ١/ ٤٣٩. وقال الأصمعي: «سمعتُ الرشيد يقول نظرنا فإذا كل ذهب وفضة على وجه الأرض لا يبلغ ثمن نخل البصرة».

(٣) أمر بحفر هذا النهر الشيخ «علي السعدون» عام ١٨٣٠م وحملت اسمه، إذ قام هذا الشيخ «علي بن ثامر سعدون» أثناء حصار الزبير عام ١٨٣٠ بشق هذه القناة مساعدة منه لأمير قبائل المنتفك حينذاك «الشيخ عيسى بن محمد السعدون» وهو ابن شقيق الشيخ علي بن ثامر كي ترتوي منها ←

إنّ محافظة البصرة محصورة بين هورين كبيرين هما هور الحويزة من الشرق وهور الحمّار من الغرب وأنّ لفظة الهور هي بفتح الهاء وسكون الواو وقد ذُكرت في المصادر القديمة على أنها بحيرة تجري إليها مياه غياض وآجام وهي تتكوّن من تجمّعات المياه العذبة التي تنقلها الأنهار فيكثر فيها القصب والبردي وتعيش فيها الإسماك والطيور.

وهناك رأي في تكوين شط العرب يقول إنَّ كارون عندما كان يصب رأساً في الخليج العربي كان يحمل أتربةً وطيناً وصخوراً سببت في ضيق ممرات مَصبَّات دجلة والفرات مما دفع بمياهها منسابةً في منخفضات غرب دجلة وشرق الفرات وهذه تلاقت مكوّنة نهراً واحداً هو شط العرب الذي يمتد إلى الشمال مع تقلص في الرافدين اللّذين تم تلاقيهما في القرنة.

وابتداءً من القرنة ولمسافة سبعين كيلو متر يمتد هور من الغرب محاذياً لشط العرب هو هور الحمّار المستنقع المائي الذي تعيش فيه الجواميس إلى جانب السكان مع وفرة في الإسماك والطيور والقصب والبردي ويمده الشط بماء المَدّ.

أما في النصف الأسفل من شط العرب فيحاذيه ممرٌ للماء يُعرف بخور الزبير[1]

خيول أمير قبائل المنتفك عند حصاره لمدينة الزبير الذي دام أكثر من ستة أشهر وشاءت الأقدار أن يُقتل الشيخ علي وآبن أخيه «هزاع بن فارس» في ذلك الحصار عند معركتهم مع آل الزهير. والشيخ «علي بن ثامر» هو كذلك شاعر نبطي فقد أخاه الشيخ «عبد المحسن بن ثامر» عام ١٨١٣م الذي قُتل على مشارق بغداد والشيخ «علي بن ثامر السعدون» هو جد رئيس الوزراء العراقي المرحوم «عبد المحسن فهد بن علي بن ثامر السعدون» الذي كان من مواليد الناصرية عام ١٨٨٩ ومن المناوئين للاحتلال البريطاني. ينظر: كاظم فنجان الحمامي: على ضفاف شط العرب: ص١٨٥-١٨٦.

(١) ذكرنا فيما سبق مجموعة من الجزر الموجودة في شط العرب ولكن يوجد في شط البصرة سنٌّ صخري وجزيرة لم تذكرها كتب التأريخ أو المرحوم «حامد البازي»، وقد ذكرها الأستاذ «كاظم فنجان الحمامي»، إذ قال: «يقع في منتصف قناة شط البصرة سن صخري عند الكيلو ٣٧ تقريباً وهو عبارة ←

الذي يتصل بالخليج العربي بواسطة خور شيطان وخور عبد الله، والخَور في اللغة[1] هو المُنخفض من الأرض بين نشزين ولا تُستعمل هذه الكلمة إلاّ إذا كان لطريق مائي وهو بفتح الخاء وسكون الواو وتُجْمَعُ على (أخوار) وهي عبارة عن مدخل لمياه الخليج المالحة المنتهية إلى اليابسة أو قربها، ومن أشهر أخوار البصرة «خور موسى» و«خور عبد الله» و«خور الزبير» غرب شط العرب مكوّناً في نهايته الشمالية حوضاً من الماء على شكل كف مفتوح يتأثّرُ دائماً بمد الخليج فترتفع فيه المياه المالحة وفي أثناء المَدّ الكبير أو الفيضان الذي يُدعى بماء الموج يغمر مسافة كبيرة حوله فيصل إلى مدينة الزبير ويعزلها عن البصرة فيصبح البلم واسطة النقل بين البصرة والزبير.

وأهل البصرة عرفوا الخَور من قديم وسمّوه (الخُر)[2] وهو انحدارٌ أرضي تسير فيه مياه الأمطار ويؤدي إلى فسحةٍ وكانت في شمال غربي مدينة البصرة بقعة لسباق الخيل اسمها (خُرطراد).

وكذلك فإنّ العرب منذ القِدم عرفوا الأهوار فقالوا عنها (آجام)[3] ومفردها (أَجَمَة) بفتح الجيم والميم، وعند أول مجيئهم إلى البصرة التي كانت تحيطها الآجام

عن كتلة صخرية صلبة مغمورة بالماء وتشكّل عقبة واضحة بوجه السفن المارّة بها، إذ يتطلب من السفن تركها إلى الشرق وسلوك الممر الغربي».

وكذلك توجد جزيرة في هذه القناة هي (جزيرة المحمود) وتقع شمال حوض الاستدارة الموجود في خور الزبير بحوالي ٨٠٠متر، يبلغ طول الجزيرة المذكورة حوالي ٦٠٠متر، وتشكل هذه الجزيرة عائقاً ملاحياً بوجه السفن الداخلة إلى شط البصرة من جهة البحر ومن المقرر أن تقوم المؤسسة العامة للموانيء بتثبيت علامات وأنوار ملاحية على هذه الجزيرة لتأمين سلامة السفن المارّة في المنطقة. يُنظر: على ضفاف شط العرب، ص١٩٥.

(١) جاء في القاموس المحيط ٢/ ٢٥ مادة (الخوار)، «والخَورَ المُنخفض من الأرض والخليج من البحر ومصب الماء في البحر».

(٢) جاء في القاموس المحيط ٢/ ١٩ مادة (الخرير) «والخَرُّ السقوط كالخُرُ وهو الخُريرُ من علوٍ إلى سُفل يَخُرُّ».

(٣) جاء في القاموس المحيط ٤/ ٧٤ مادة (أجم) «والأجمةُ مُحرّكة الشجر المُلتف والآجام الضفادع».

استعمل العرب قصبها وقَطَعوا البردي وزرعوا النخل بدله. لأنّ البصرة أرضُ نخلٍ واهتم العرب في بناء السدود وكان منهم «حسان النبطي» عامل «الحجاج» وصاحب «منارة حسان في الأهوار» وكان الخلفاء لا يمانعون في الصرف على النواظم والسدود لكي لا تُحرم البلاد من الموارد.

وأخيراً وفي سنة ١٢٩٨ هـ ـــ ١٨٨٠ ميلادية كان مُتصرف البصرة «مظهر باشا»[1] يحب الزراعة ولذلك أعجبته روعة شط العرب والنخيل والأهوار فكتب إلى والي بغداد «رديف باشا» لإنشاء سد على منطقة الجزائر لتنظيم المياه (مياه الفيضان) الداخلة إلى شط العرب فتمَّ إنجاز هذا المشروع بعد الموافقة.

وكان السَدّ يتكوّن من ١٢٨ أسطوانة بلغت طولها جميعاً حوالي أربعين ألف متر مربع وكان عرض الأسطوانة ١٥ــ٢٠ متراً وقد بلغت كُلفة السد حوالي مائتي ألف ليرة.

وقد كانت للسد أبواب ونواظم وهناك عمال وحرّاس يعملون ليل نهار لصيانة السد والمحافظة عليه، حيث كانت العشائر تهاجم السد حينما تثور على الدولة العثمانية كما وأنَّ سياسة الدولة العثمانية الأخيرة وخطتها إهمال العراق بصورة عامة والبصرة بصورة خاصة أدّى إلى انهدام السدّ وخرابه.

وبعد هذا الموجز من التحدث عن شط العرب رَسَمتُ في مخيلتي صورةً فولكلورية عن البصرة وهذا الشط وما ورثته مدينة البصرة من تراث الأجداد، فَسُرتُ بالقارب في الأهوار وشاهدتُ الجاموس إلى جانب البشر وشاهدتُ بيوت الچبايش وأطفالاً عُراة ملطخين بالطين يغوصون إلى جانب الجاموس وبعضهم

---

(١) في سنة ١٨٨١م ــ ١٢٩٨هـ تقدّمَ «مظهر باشا» بتقرير رفعه إلى السلطات «عبد الحميد الثاني» ناشد فيه السلطات العثمانية الإهتمام برفع المستوى الزراعي والتصدي إلى الأطماع الإنكليزية الرامية إلى نهب خيرات العراق-بصورة عامة-والبصرة خاصة، المجمل في تأريخ البصرة، ص٣٠٠، وأن بقاء البصرة في حالة من التخلف يخدم مصالحهم.

بيده (فالة) صغيرة يقذفها على السمكة وهي في الماء فيصيبها إصابة الرامي الماهر المُتمرِّس وكذلك شاهدتُ النسوة وهُن يَعجُنَّ العجين وبعضهن تخبز في التنور وهُنَّ يَلفَّنَّ رؤوسهن بعمائم ويتحدثّنَ بلهجةِ أهل الهور الطيبة البسيطة.

وسِرتُ بالبلم في شط العرب وشاهدتُ غابة النخيل وبيوت الفلاّحين بعضها من قصبٍ وبعضها من طين وَلَفتَ نظري امرأة (تروس) لزوجها الفلاح لكي يتم السقي إلى جميع المشارات وأخرى سبقتها في حَشّ الجت (البرسيم) حيث هناك ثلاثة من الخراف يمعمعنَ سائرات خلف الفلاّحة المُجدِّة.

وهناك أبلام عائدة لضفة شط العرب اليمنى حيث أَنزَلَتْ ركّابَها من الذين كانوا يتسوقون في العشار وبعضهم كان قد اصطحب معه بعض الخُضر والفواكه عندما ذهب صباحاً إلى العشار وهناك فلاح قد صَعَدَ النخلة بالفرود وأخذ يرمي بعثوق النخلةِ إلى الأسفل حيث كان هناك ولده وعمره عشر سنين يجمع العثوق على حصير وهو بذهنه مُتَّجه إلى شخص في قاربه يسير بمحاذاة ضفة الشط وهو يغني أبو ذيات أطوار البصرة[1] المشمومي والعنيسي.

---

(١) للبصرة فنونها ومجالس طربها وأنماطها الغنائية وقد انفردت البصرة بروحية التطرّب والأغاني المَرحة الخفيفة المُتسِّمة بالإيقاعات السريعة المُستوحاة من البيئة البصرية... ففي مجال الأبوذية ظهرت في البصرة العديد من الأطوار العذبة مثل:

١. المشموم.
٢. العينسي.
٣. الصيهودي.
٤. السفّان.
٥. الملاّحي.

ومنه هذه الأبوذية.

گلبي أهواي ناس أخيار عشار (العشرة)
ولا مرة نوى بدنياه عشار (على الشر)
إلساني يلهج بكل حين عشار (العشار)

إنَّ بسمة شط العرب وخيره وسعفاته المُورِقة ونخلته الخالدة قد أخذت الصفحات من مذكرات «الرحّالة والكُتّاب منذ أقدم الأزمنة»، وكان لها الوصف الرائع مِمَّنْ زاروا البصرة حتىٰ في أيامها العصيبة. فهذا الرحّالة الإنكليزي «جاكسون» والذي وَصَلَ شط العرب يوم ١١ حزيران سنة ١٧٩٧ يقول إنَّ «السكان يُسمّون النهر الذي يتكوّن من ٱلتقاء دجلة والفرات في القرنة ممتداً نحو البصرة ليصب في الخليج باسم شط العرب» ويقول: «علىٰ جانبي شط العرب بساتين الخُضار والفواكه ومنها أنواع التفاح الطيبة المذاق من النوع المُسمّىٰ «كودلنغ» وهو تحريف «كواندك» ولكنه أشد حلاوة من مثيله الكولندك الإنكليزي وهو رخيص جداً».

وهذه الأديبة الرحّالة والمؤرخة الفرنسية مدام «ديولافوا» والتي وصلتْ البصرة يوم الثالث من أيلول سنة ١٨٨١ تقول في رحلتها: «ها نحن نخترق شط العرب بزورقنا فرحين ننظر إلىٰ ضوء القمر وكأننا في البندقية. ولكن ليست هذه بندقية إيطاليا بل هي بندقية الإقليم الاستوائي فالسماء صافية رائعة والبيوت مختفية تحت ظلال غابات النخيل وأشجار الليمون والموز الذي تُكوّن أَشجارهُ غابةً صغيرة تحت غابة النخيل الكبيرة. كما هناك القوارب تقف مشدودة أمام كُلِّ دار حيث شوارع المدينة أنهار ونهيرات فما أروعها.

ويَتَحدث الرحّالة «محمد ثابت المصري» والذي زار البصرة سنة ١٩٣٠ في

وعلىٰ الخورة يبه نهر سوية

امنحنا يا هوىٰ منك شملنه (نشم)

إلتقينة والسعد منك شِملنه (من الشمل)

ومثل ما انجمع بالگرنة شملنة (الشمل)

الفرات ودجلة يتلاگن سويه

ينظر: البصرة ومجالس الطرب: ثامر العامري: مجلة التراث الشعبي، العدد الخاص عن تراث البصرة، سنة ١٩٨٩، ص ١٥٣-١٥٩.

رحلاته إلى ربوع الشرق الأدنى فيقول: «دخلنا شط العرب بالباخرة قادمين من الخليج العربي وكانت ضفاف الشط تنأى لعظيم اتساعه وكانت غابات النخيل تسد الآفاق وتَتَخلَّل تلك الغابات مسايل للمياه لا تدخل تحت حصر وهي بعض شعاب شط العرب اللانهائية وقد أُقيمت عند مصابّها مراسٍ صغيرة أُقيمت حولها مساطح البلح فلا عجب فإنّ البصرة من أَغنى بلاد الدنيا بالتمور».

ثم يقول: «ولقد ركبتُ البلمَ البصري وهو زورقهم النحيل الأنيق المطلي بالألوان وتَجوَّلتُ في شط العرب وشط العشار فتلذذتُ الروعة والسحر والجمال من مظاهر شط العرب والبصرة».

وهذا هو المرحوم الشيخ «علي الشرقي» فهو عندما يَتحدَّث عن البصرة في كتابه «العرب والعراق» في صفحة ٥٣ يقول: «يعجبني ذلك النوتي الذي يجذّف جندول البصرة لا جندول البندقية وفي أعالي الأفق الأخضر ـ بسعفاتِ النخل تتلاقى نبرات صوت النوتي بصوت ذلك اللاّقط لحبّات الرطب الذهبية».

الفصل العاشر

الأنهار الستة وشناشيلها وقصورها وجسورها وسور البصرة وأبوابه[1]

حَصرتُ بحثي في هذا المضمار بالأنهار الستة التي تُعَرف بأنها تخترق البصرة. كما ذكرتُ بعض القصور والشناشيل التي امتازت بها البصرة حيث عُرفت بمدينة الشناشيل. وكذلك ذكرتُ الجسور التي على تلك الأنهار مع نبذ تأريخ وجودها والأقوال والأسماء الشعبية لها. ثم تَحوَّلت إلى سور البصرة وأبوابه وقد حاولت إيجاز الحديث عنه فقد جئت بالنقاط المهمة بالنسبة لنا. وأرجو أن أكون قد وفُقت في ذلك وأكون قد أَديت خدمةً للحبيبة التي لا أنساها بصرة العروبة الصامدة ورمز كرامتنا والله الموفّق.

نهر الجبيلة

قال لي أحد سكان منطقة الجبيلة: «إنَّ هذه المنطقة كانت في قديم الزمان مرتفعة على شكل جبل صغير يُسمّى (جُبيل) وعُرفت المنطقة باسمه. ولكن الحقيقة أنَّ الجبيلة معناها «أرض تسكنها جماعات غير متجانسة من الناس» ولأنها تقع بين نهري معقل من شمالها والخندق* من جنوبها وهي خالية وقريبة من المرافئ فهي مقصد سكن العمال والعاملين في السفن، وقال آخر: إنّ أحد المتصوفة من منطقة الجُبيل البحرانية كان يسكن هناك ويُدعى بالجُبيلي وقد تُوفّيَ ودُفِنَ هناك، وكانت له كرامات فَسُمِّيت المنطقة باسمه أو أنه من جبيل لبنان».

---

(١) نشرته مجلة التراث الشعبي، سنة ١٩٨٩، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ص١٦٠-١٧٦.

* الأدق نهر الرباط جنوبها.

وعلى هذا فإنّ نهر الجُبيلة لم يذكر ضمن البصرة القديمة واعتبره البعض بقايا المعقل وأنه حُفِرَ متأخراً مع نظيره نهر كوت الإفرنجي[1] نسبةً إلى كوت الإفرنجي القلعة والقرية التي تأسست في أوائل القرن السابع عشر وكانت الممثلية الإنكليزية فيها.

و«النبهاني» عندما يَتحدَّث عن هذا النهر يقول «إنّه متصل إلى حد النخيل[2] ويعني امتداد النهر من تفرّعه من شط العرب سائراً للغرب من الشط باتجاه الصحراء ولمسافة ثمانية كيلو مترات ومتشعَّباً إلى مئات الشُعَب. وكانت بريطانيا قد شَيَّدتْ على مدخله معملاً لتصليح السّفن مع عِدة أرصفة لتفريغ وتحميل البضائع.

و«سليمان فيضي» في صفحة ٥٩ من البصرة العظمى يُحدِّد هذا النهر بموقعه بين نهر الرميلي من شماله والخربطلية من جنوبه[3] وقد ذهب البعض على أنه هو نهر «الأبلة القديم» ولكنهم واهمون فليس هناك أي دليل على ذلك. ولربما كان هذا النهر من الأنهار القديمة التي استُبدِلت أسماؤها وبعضها طُمِرت أو بُتِرتْ بسبب الإهمال وإلاّ لما استنتج على أنه نهر الأبلة.

ويحدثُنا الرحّالة الإنكليزي «جاكسون» والذي زار البصرة سنة ١٧٩٧ قائلاً: «إنه نزل من السفينة في البصرة واستصحب دليلاً ليوصله إلى محلِ المُقيم الإنكليزي في البصرة مستر «صموئيل» الذي كان يسكن منطقة الجبيلة.

ويقول «ابن غملاس» في صفحة ٥ من كتابه «ولاة البصرة ومتسلموها» «إنَّ

---

(١) كوت الإفرنجي هو نفسه المعقل كما يرى محمد طارق الكاتب في مقاله بمجلة الموانئ، سنة ١٩٧٢، مجلد١، عدد١٠، ص٧.

(٢) التحفة النبهانية ص١٧.

(٣) في كتابه «البصرة العظمى» ص٥٩ «النهر بالرقم ٨٥ الرميلة «تصغير رملي ٨٦ الجبيلة، ذهب بعضهم إلى أن هذا النهر هو نهر الأبلة وخالفهم كثيرون ٨٧ الخربوطلية نسبةً إلى مدينة خربوط نسبة عامّية تركية».

الأبلة واقعة شرق البصرة وأَخطأ مَنْ ذهب إلى أنَّ الجبيلة التي في شمال البصرة هي الأبلة[1] ويخطأ «ابن صبغة الله الحيدري»[2] عندما يجعل من فرعي نهر الجبيلة نهرين الأول باسم نهر الجُبيلة والثاني باسم كوت الإفرنجي، بينما هما نهرٌ واحد له شعبتان في منطقة كانت تدعى «بورث مارين» أو الميناء البحري وهي من أراضي منطقة الجُبيلة وكان كل من النهرين يَتشعَّب إلى عدة شُعَب صغيرة لتلقي أولاً بساتين المنطقة وحدائق القنصلية الإنكليزية المملوءة بالموز و(المنگة) وأشجار التكي حيث كانت تُربى دودة القز. وكذلك أول بحيرة أسماك عرفتها البصرة كانت في منطقة كوت الإفرنجي بالجبيلة وذلك سنة ١٨٨٠ كما أنها عرفت أشجار الكلوبتس والنبق.

وإذا أردنا أن نؤكد أنها مدينة البصرة فإنَّ نهر الجُبيلة يكون خارج المنطقة وهو اليوم أقرب إلى المعقل ويسقي منطقة تكاد تكون خالية من النخيل.

(١) النص في كتاب «البصرة ولاتها ومتسلّموها من تأسيسها حتى نهاية الحكم العثماني» ١٤-١٣٣٢هـ لابن الغملاس، الدار العربية للموسوعات، طبعة الأولى، سنة ٢٠٠٨، بيروت، ص٩ «فسار عتبة إلى البصرة ودخلها وحكم فيها وأحسن السيرة ثم عاد إلى المدينة بعد ستة أشهر من تولّيه ثم تُوفي فعُين بدلاً عنه «المغيرة بن شعبة» وبعد سنتين من ولايته صرفَ عنها فَعُين للبصرة «أبو موسى الأشعري»، وكانت إذ ذاك الأبلة معمورة المغَاني محفوفةً بالمزارع والنخيل والأشجار وكانت تُدار حكومتها بواسطة حاكم من مرازبة الفرس وهي (الأبلة) الآن خربة يقلُّ العمران فيها وهي واقعة في شرقي البصرة وأخطأ مَنْ ذهب إلى أن جُبيلة التي في شمال البصرة هي الأبلة...».

(٢) النص هو «وأما الأنهر التي في جهة الشمال فمنها نهر الخندق وهو من الكبار التي يتفرّع منها أنهار حولها بساتين كثيرة ونهر الرباط الصغير وهو من الكبار حوله بساتين كثيرة والمطابيج نهران كبيران حولها بساتين كثيرة ونهر الجُبيلة الصغير وهو من الكبار حوله بساتين كثيرة وكوت الفرنكي وهو ستة أنهر كبار حولها بساتين كثيرة وهو من المحال الجسيمة....»، ص٢٥.

نهر الرباط

«ابن صبغة الله الحيدري»[1] عندما يَتحدَّث في صفحة ٢٥ من كتاب «أحوال البصرة عن الأنهار» يقول «إنَّ الأنهر في الجهة الشمالية من البصرة كثيرة ومنها نهر الرباط الصغير وهو من الأنهار الكبار وحوله بساتين كثيرة». ثم يذكر نهر المطابيج ويقول «إنهما نهران كبيران حولهما البساتين» ولم يذكر «ابن صبغة الله» أنّ هُناك نهراً باسم الرباط الكبير كما يذكره «سليمان فيضي» في صفحة ٥٩ من كتابه «البصرة العظمى» فيقول «إنّ هناك نهر المفتية ثم نهر الرباط الكبير وبعده نهر الرباط الصغير»[2].

أما «النبهاني» فيذكر في صفحة ١٧ من «التُحفة» «إنّ هناك نهراً واحداً يُسمّى بنهر الرباط[3] دون أن يذكر كبيراً أو صغيراً» وأنا أقول إنّ هذه هي الحقيقة لأنّ على جانب نهر الرباط محلة كبيرة قُسِّمَتْ إلى منطقتين أو محلتين كل منهما تحمل اسم الرباط وللتفريق بين المَحلَّتين وضِعَتْ لفظةُ كبير أو صغير كما هو في محلة الصبخة على نهر العشار فهناك صبخة صغيرة وصبخة كبيرة وكانتا محلةً واحدة باسم الصبخة فلّما قُسِّمتا صارت إحداهما كبيرة وهي القديمة والثانية الصغيرة وهي الحديثة.

وهناك من المُعَمَّرين مَنْ حدثني بأنَّ نهر الرباط كان بعد تَفرّعه من شط العرب يَتَشَعَّب إلى شعبتين كبيرتين تتلاقيان بعد مسافةٍ بعد أن تكون كُل شعبة مَرَّتْ بمحلةٍ من المَحلَّتين وعلى هذا جاءت صفة الكبير والصغير.

والشيخ «فتح الله الكعبي» عندما يَتحدَّث عن أحداث البصرة سنة

---

(١) ذكرنا النص فيما سبق.

(٢) ورد تسلسل الأنهار في كتاب البصرة العظمى ص٥٩ «٨٩ المفتية ٩٠ الرباط الكبير ٩١ الرباط الصغير ٩٢ الخندق ٩٣ العشار...».

(٣) يقول عنه النبهاني ص١٧: «نهر الرباط متصل إلى حد النخيل».

١٠٧٨هـ١٦٦٧م يذكر اسم «محلة الرباط»[١]. كما يُعلِّق الدكتور «طارق الكاتب» في صفحة ٣٧ من كتابه «شط العرب وشط البصرة» على أقوال «فتح الله الكعبي» فيقول: «وقد جعل الكعبي موقع نهر معقل بين الرباط والهارثة وهو الموقع الموجود به النهر المذكور إلى يومنا هذا وبما أنَّ «الكعبي» من أبناء هذا البلد فنحن نُعوِّل على أقواله».

وكان «ابن بطوطة» قد ذكر في رحلته إلى البصرة[٢] سنة ٧٢٦هـ١٣٢٥م قائلاً: «نزلنا رباط «مالك بن دينار»». والمعروف أن نهر الرباط يُنسب إلى «رباط لمالك بن دينار» المتصوّف البصري وكان هذا الرباط على فوهته وقد شُقَّ النهر بعد تَشييد الرباط.

وتقع على نهر الرباط مكينة السوس وسايلو البصرة ومعامل الطحين وكان هذا النهر يشتهر قديماً بزراعة الموز والفواكه وهو يسقي أكثر من نصف مليون نخلة متداخلة في ترتيب زراعتها وأكثرها من النشو أي صغار النخيل. وأهل الرباط من قديم الزمان كانوا كرماء ويربّون المواشي وهم أُناس يَتصفُون بالأخلاق الفاضلة والروح العربية وتَتَفرّع من النهر وعلى جانبيه حوالي تسعين فرع تَتَشعَّب حتى لتكاد أن تغطي أرض المنطقة بشبكةٍ مائية بين كل عشرة أمتار نُهير صغير يُدعى «جعفر» وعلى هذا يقول سكان المنطق أنهم أَبناء الجعافر والماء الحلو.

---

(١) النص كما ورد في زاد المسافر ولهنة المقيم والحاضر «أصحاب الناحية الشمالية والمُراد بهم ما يلي البصرة من الجهة الشمالية ويحدّها شمالاً القرية المعروفة بالشرش وتشمل على قرى كثيرة منها (الرباط) و(المعقل) و(الهارثة) و(الدير) و(نهر عنتر) و(الشرش)» وزاد المسافر هو: للشيخ فتح الله بن علوان الكعبي، ط الاولى، في البصرة، سنة ١٩٢٤، والثانية بيروت، الدار العربية للموسوعات، سنة ٢٠٠٢، ص٣٧.

(٢) النص موجود في رحلة ابن بطوطة «في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار» ص١٠٢ «فتزلنا بها رباط مالك بن دينار» توفي ابن بطوطة سنة ٧٧٩هـ والرحلة بتحقيق: محمد عبد الرحيم، نشر دار الفكر، ومؤسسة الكتب، بيروت، سنة ٢٠٠٩م.

نهر الخندق

«ابن غماس» في صفحة ٢٢ من كتاب «ولاة البصرة ومتسلِّموها» يقول: «في سنة ٢٥٥ هـ/ ٨٦٨ ميلادية وليَ البصرة الأحوص الباهلي وأُرسلت العساكر تحت قيادة «جعلان التركي» لمحاربة الأعداء فلم يتمكَّن منهم فَحَصر همته فعمل خندقاً على البصرة[١]. و«النبهاني» يؤيد هذا القول في صفحة ١٩٤ من «التُحفة» فهو يذكر حفر الخندق[٢] حول البصرة وطبعاً إن كُلّاً من المؤرخين يعنون البصرة القديمة التي لم تذكر المصادر القديمة وجود الخندق حول البصرة بل أنّ الكل يؤيدون وجود السور وأن البصرة الحديثة لم تُؤسّس قبل سنة ٨٨٣ ميلادية.

وفي الحقيقة أن نهر الخندق لم يذكر في التأريخ ضمن أنهار البصرة لأنّه نهر اصطناعي حُفِرَ ليكون خندقاً وليس كنهر للزراعة والإرواء ويمكننا أن نرجع لتأريخ حفره على عهد القائد العباسي الموفّق لما أَسّسَ الموفقية[٣] أو البصيرة وهي

---

(١) يقول ابن الغملاس في ص ٢٨: «وفي سنة ٢٥٥هـ ولي البصرة الأحوص الباهلي وأُرسلت العساكر الكثير في قيادة جعلان التركي لمحاربة الزنج فجاء جعلان هذا والعساكر معه وابتدر في محاربة الزنج فلم يَتمكَّن منهم بشيء فَحَصر همّته فَعَمل خندقاً على البصرة وحفظتها من مهاجمات الزنج...».

(٢) النص في التحفة ص١٩٤-١٩٥ «وفي سنة ٢٥٥هـ وليَ على البصرة الأحوص الباهلي وأرسلت العساكر الكثيرة تحت قيادة «جعلان التركي» نحو البصرة لرد غارات الزنوج فجاء جعلان بالجنود إلى البصرة وجعل يحارب الزنوج فلم يتمكّن منهم بشيء فحصر همته في محافظة البصرة فخندقَ عليها وجعل يحافظها».

(٣) تولى «الموفق العباسي» البصرة بعد مقتل صاحب الزنج سنة ٢٧٠ هـ، وهناك اعتقاد أن منطقة (الحمزة) في أبي الخصيب هي من بقايا مدينة الموفقية التي بناها الموفق العباسي قائد الحملة التي حاصرت صاحب الزنج سنة ٢٦١-٢٧٠هـ فأسماها باسمه بعد أن بناها بشكلٍ مبدئي لأغراض عسكرية، وكانت الموفقية على ضفاف شط العرب مجاورة لمدينة المختارة عاصمةً (صاحب الزنج محمد بن علي) وكان لها طريق يجري فأخذت السفن تصل إليها وهي محملّة بالأموال والبضائع المختلفة وكانت المختارة تشكو الحصار الذي فرضه جيش الموفق بالله العباسي واتخذ داراً لضرب النقود. ينظر: تراث البصرة: عبد الله رمضان الجزء الأول والثاني: ص٧٠-٧١.

البصرة الحالية سنة ٢٧٠هـ ٨٨٥ ميلادية لأنّه سَوَّر البصرة[1] الحديثة، كما وأنه حَفَرَ خندقاً حول السور والذي بات يشمخ مدافعاً عن البصرة. وكانت لهذا الخندق جسور أمام كُل باب من أبواب البصرة في سورها كما كانت فروع النهر تمتد إلى جهته الغربية والمُسمّاة بالشمالية وهي مُتشعِّبة جداً بينما يكون السور في شرقه.

ويُلاحظ أن مخازن الحبوب أصبحت مُشيَّدة على الجهة الشرقية من مدخله كذلك كانت الأرصفة والكمرك بينما تقع محلة أم الدجاج مبتدأ من مدخلة على الجهة الغربية ممتدة لمسافة. وسُمِّيت هذه المَحلَّة بهذا الاسم نسبةً إلى «الدجّاجين» وهم الحمّالون وأعوان الملاّكين ونَسَبَ الاسم بعضهم إلى وجود الكثيرة من طيور «دجاج الماء» الذي كان يملأ المنطقة لأنها منخفضة تتكون فيها المستنقعات.

وكُريَ هذا النهر أو الخندق عدة مرات لتزداد أعماقه للدفاع حيث كان يُطوِّق البصرة، كما يطوق نهر العشار ممتداً إلى جهة غرب البصرة وباب الزبير ثم يلتقي بفروع نهر العشار والخورة وأخيراً السّراجي، وبذلك يضم منطقة زراعية ويسقي الصحراء وأواخر النخل مما كان يساعد أهل البصرة على الصمود. ومن الذين اهتمَ

---

(١) سور البصرة: كان للبصرة سور من الطين غير المفخور ارتفاعة ١٨متراً ومن يأتي إلى البصرة عليه الدخول من بوابة السور وأن يمرّ بالمخفر وموقعها السابق قرب تقاطع مستشفى البصرة العام كان يتحتَّم على الغرباء تأمين أسلحتهم في المخفر قبل أن يُسمح لهم بدخول المدينة. والتجوال فيها وكان السور المربّع الشكل يحمي البصرة من الغزوات واللصوص ويُشعر أبناء المدينة بالأمان.

وقد ورد ذكر هذا السور على لسان الرحالة البريطاني «جيمز بكنكهام» الذي زار البصرة عام ١٨١٦م واصفاً السور وأبعاده ذاكراً له خمسة أبواب ثلاثة فيها تواجه جنوبي الجنوب الشرقي وتبدأ من هناك حتى النهر وتدعى (باب المجموعة) و(باب السراجي) و(باب الزبير) أما البابان الباقيان اللذان يواجهان الشمال الغربي فيدعيان (باب الرباط) و(باب بغداد) وهذا الباب الأخير يؤدي إلى وسط المدينة وإلى أعظم قسم مأهول فيها. ينظر: رحلتي إلى العراق: جيمز بكنكهام: ترجمة: سليم طه التكريتي، ص٢٥٢-٢٥٣، طبعه المجمع العلمي العراقي، سنة ١٩٦٩، ينظر: مقال سور البصرة ومخفرها: باسم حسين غلب، مجلة الخطوة، العدد ٦، شوال سنة ١٤٣٧هـ، ص٩٣.

بنهر الخندق وتوسيعه الوالي «باتكين الرومي»[1] سنة ١٢٢٠ ميلادية، وكذلك «علي باشا افراسياب» سنة ١٦٠٤م، والوالي «سليمان باشا» ١٧٧٠ ميلادية، والوالي «ناصر باشا السعدون» سنة ١٨٧٥م والوالي «محسن باشا» سنة ١٨٩٩م، كما وأن والي البصرة سنة ١٩٠٥ «مخلص باشا» أَمَرَ بتهديم السور القديم ليشيِّد سوراً جديداً قوياً ولكنه نُقِلَ عن البصرة فَبَقِيَ السور مهدَّماً حتىٰ زال أثره.

ويقع نهر الخندق بين نهر الرباط من شماله ونهر العشار من جنوبه مكوّناً منطقة كانت تدعىٰ «الجوزة» أو الكلأ وسُميت أخيراً «الدوب» الذي كان عبارة عن فسحة لتجميع الأخشاب والفحم.

وكان الرحّالة «أبو طالب» قد تَحدَّث في صفحة ٤٠٨ من رحلته إلىٰ العراق قائلاً: «البصرة مدينة أعظم من بغداد وهي مركز تجاري كبير وسورها وخندقها العميق واسطة للدفاع[2]» وكانت زيارة «أبي طالب» للبصرة سنة ١٨٠٤م وكان الدكتور

---

(١) تولّىٰ باتكين الرومي البصرة ٢٣سنة في سنة ٦٣٠هـ-١٢٣٢م تولّىٰ إربل وهو «أبو المظفر باتكين بن عبد الله الرومي الناصري» ولِدَ سنة ٥٦٠هـ-١١٦٥م واشتغل بالعلم وحفظ القرآن المجيد من رجال السياسة والأدب وكان مملوكاً لـ«عائشة بنت الخليفة المُستنجد بالله» المعروفة بـ«الفيروزجية» خدم في الجيش وأقام بتكريت مدة، وسُلّمت إليه البصرة بحربها وخراجها فعمّرها وأحسن السيرة في أهلها وبنىٰ لها سوراً مُحكَماً بالأبواب الحديدية، وجَدَّد بها المدارس وأنشأ مدرسةً للحنابلة ولم يكن يعرف بالبصرة لهم مدرسة وعمل مدرسةً لتعليم الطب... توفي في بغداد سنة ٦٤٠هـ ودُفن بالجانب الغربي من بغداد في مقبرة الشونيزية. ينظر: الحوادث: لابن الضوطي: ص٢٠٩-٢١٠، حققه وضبط نصه وعلَّق عليه: الدكتور بشار عواد معروف، والدكتور عماد عبد السلام رؤوف، ط١، قم، سنة ١٣٨٤هـ، وينظر: الأعلام للزركلي: ٢/ ٣.

(٢) جاء في رحلة أبي طالب خان إلىٰ العراق وأوربا، ترجمها من الفرنسية إلىٰ العربية: الدكتور مصطفىٰ جواد، نشرته دار الورّاق، بغداد، سنة ٢٠٠٧، أي أعادت طبعه، ص٢٨٤، قال: «وفي اليوم الثالث والعشرين من ذي القعدة سنة ١٢١٨هـ الموافق لليوم العاشر من آذار سنة ١٨٠٤م وصلت البصرة، وهي مدينة أعظم بكثير من بغداد وهي مركز اجتماع التجار لجميع أصقاع الشرق ←

«طارق الكاتب» قد تَحدَّث في صفحة ١١٢ من كتابه «شط العرب وشط البصرة» قائلاً: «إنّ من يَطلّع على نهر الخندق يُلاحظ تقوّسه حول المدينة شأنه شأن الخنادق العراقية». ومع إنّ نهر الخندق هو كسورٍ ثانٍ للبصرة للدفاع فهو يسقي ٤٠٠٠٠٠٠ نخلة أكثرها من الحلاّوي والجبجاب ونظراً لعمقه فإنّ السّفن كانت تدخله ويسهل عليها نقل التمور.

نهر العشار

كُنتُ صغيراً وأنا أسمع أنّ نهر العشار مُبلَّط[1] وقد تحقق لي ذلك عندما كُريَ النهر

وسورها وخندقها العميق المملوء بالماء من ماء دجلة يصونها من كل اعتداء، وفي داخل السور بساتين واسعة وكروم ونخيل وتُسقى كلها بنهرٍ يتصل بدجلة» يقصد دجلة العوراء أو شط العرب.

(١) كتب الأستاذ رجب بركات مقالاً مطوّلاً هو «نهر العشار أصل نشوء مدينة البصرة الحديثة وله حق بذمتها» ونشرته مجلة الخليج العربي، التي يصدرها مركز دراسات الخليج العربي، في جامعة البصرة، العدد ٣-٤، سنة ١٩٨٥، ص١١١-١١٨، وفيه عرض تأريخي مهم عن كري هذا النهر ولكن الأستاذ حامد البازي لم يستفد في بحثه هذا من مقال الأستاذ رجب بركات الذي صدر قبل أربع سنوات من بحث البازي ومما جاء فيه «بعد خراب البصرة القديمة على أيدي المغول إثر اجتياحهم لها الذي استمر زهاء تسع وثلاثين سنة (٧٥٦-٧٩٥هـ) (١٣٥٥-١٣٩٥م).

وعلى الرغم من الفتك والدمار وما لحقها من بطش «تيمورلنك» وتفشّي الأوبئة فيها، أبى المهاجرون من أهلها إلاّ أن يحفروا نهراً يتخذونه مورداً يستقون منه ويغرسون ما يأكلونه وهم على مقربة من مصرهم الأول الذي هاجروا منه مُعلليّنَ عودتهم إليه بعد أن تنقشع الغمة بانحسار الموجة المغولية ولم يُعلل سبب إطلاق تسمية (العشار) على هذا الجدول الذي تم حفره.

وفي بداية القرن التاسع من الهجرة النبوية الشريفة وفي مطلع القرن الخامس عشر للميلاد (سنة ٨٠٠-٨١٠هـ) (١٣٩٧-١٤٠٧م) نزحَ مِنْ بقي على قيد الحياة من الناجين من هول التعسف من أهالي البصرة القديمة إلى موقع النهر الجديد وأنشأوا مساكنهم إيذاناً منهم بإنشاء مدينة البصرة الحديثة.

وبعد زيارة «مدحت باشا» إلى البصرة وتحديد قوانين البلديات تم الشروع بتطهير النهر وكريه وأُنجِزَ ذلك بولاية «عبد الله باشا» سنة ١٢٩٥هـ-١٨٧٨م وهذه أولى عمليات التطهير والكري والحفر للنهر بعد أن مضى أكثر من خمسة قرون على شقّه وحفره.

←

سنة ١٩٣٢.

فقد برزت معالم الكري وشاهدتُ القير والتبليط بعيني. وكانت أول عملية تطهير[1] بالمعنى الحديث قد جرت للنهر على عهد الوالي «مُظهر باشا» والذي كان

أما التطهير الثاني للنهر فقد تم بعد مضي ما يُقارب خمس عشرة سنة من الأول، إذ قامت المؤسسة البلدية مع المعنيين من أصحاب المصلحة بالتطهير والحفر وذلك في ١٣١٠هـ-١٨٩٢م، وجرى التطهير الثالث بعد سبعة عشر عاماً من الثاني، إذ قامت بلدية البصرة بتطهير شامل له في ولاية راقم أفندي وذلك سنة ١٣٢٧هـ/ ١٩٠٩م وتم كذلك فتح (الجادة الرشادية) المحاذية لضفة النهر الجنوبية وتم إنشاء (١٢) جسر وقنطرة على مداخل الأنهر الفرعية منه وفي سنة ١٩٣٢ تم تطهير النهر للمرة الرابعة وفي هذه المرة وصل الحفر إلى أعماق النهر المُبلّطة بالقار.

ولكن البلدية عبر تأريخها ردمت أكثر من واحد وعشرين فرعاً من نهر العشار تُوصله بنهر الخندق وخاصة عند فتحها للشارع المحاذي لنهر العشار. وكان قبل ذلك قد تم ردم إثني عشر فرعاً في العهد العثماني.

وهنا يتفق «حامد البازي» مع «رجب بركات» على أنّ قاع النهر مُبلّط بالقير. ولكنهما يختلفان في سنة التطهير الأول وفي اسم والي البصرة.

(١) وهناك مَنْ يذهب إلى أن الذي «حَفَرَ نهر العشار هو (وشهيج) أحد ملوك الفُرس، وقد شُقَّ هذا النهر الخارج من شط العرب قبل الملك (سابور) ذي الأكتاف أحد ملوك الفرس في عاصمة سلمان باك وطاق كسرى، وسُمِّي فيما بعد بنهر العشار نسبة إلى العشر في العهد العثماني حيث كانت تؤخذ في ذلك الوقت كرسوم على المحاصيل الزراعية [النهر أقدم من هذا التأريخ وَرَدَ في سنن أبي داود بالإسم نفسه] وقد جُدد حفره سنة ٨١٠هـ في زمن دولة (قره قوينلو) والدولة الصفوية في القرنين الخامس عشر والسادس عشر الميلاديين في العراق وفي ولاية (محمود بن قره يوسف) سنة ٨١٥-٨١٧هـ.

وتمَّ كري نهر العشار للمرةِ الثالثة عام ١٩٣١ في العهد الملكي. ينظر: تراث البصرة: الجزء الأول والثاني، ص٥٧.

وهناك نهر في الفاو يُقال له العشار لذا قيل إن البصرة أولها العشار وآخرها العشار في الفاو وقالوا: إنه حُفِر سنة ٧٥هـ ونهر العشار في البصرة سنة ٧٣٥هـ، وقد يكون الالتباس الذي حصل بأن الأبلة قريبة من العشار بفرسخ واحد قد تكون الأبلة جنوب البصرة القريبة من نهر العشار الذي في الفاو ←

يحمل رتبة روم أبلي وذلك سنة ١٨٧٩ حيث كانت الدولة العثمانية قد أرجعت البصرة من ولاية إلى متصرفية، ولكن واليها تحدّى الدولة وقام بعدة مشاريع صالحة ولكنها لا تعجب الأتراك الذين نَحُّوه عن البصرة وكان قد عمل لنهر العشار مُسنّاه بالطابوق وكانت أكثر الشناشيلات مُشيَّدة على ساحله.

وفي العدد رقم ٩٨ من جريدة الأوقات البصرية الصادرة في تموز ١٩١٧ نشرت أمراً من الحاكم العسكري بجبر الملاّكين الذين تقع أملاكهم على ضفاف النهار المُهمّة أن يغرسوا الدفلى وغيره من الشجر المثمر وقد بقيت بعض من تلك الشجيرات على نهر العشار وإلى ما قبل سنتين وكانت هذه الأشجار دائمة الخضر وجميلة المنظر[1].

وتَحدَّث «أحمد نوري الأنصاري» في صفحة ١٧ من كتابه «النصرة في أخبار البصرة» إن نهر العشار يسقي النخيل والأشجار التي هي داخل سور البصرة ومنه يستقي سكان البلدة. وهو يتأثّر بالمد والجزر وأنّ انخفاض الماء بالجزر وارتفاعه بالمدّ يُسهِم في تنظيف النهر وتطهيره من الشوائب وكانت لساحل العشار سبع شرائع هي مواقف للقوارب والزوارق وغيرها.

وعندما تولّى ولاية البصرة «سليمان نظيف» سنة ١٩٠٩ أَمرَ بقص الشارع

وليست الأبلة الحالية القريبة من نهر العشار الذي في البصرة فقد ورد ذلك في سنن «أبي داود» ذكره للأبلة والعشار.

(١) الشارع الموازي لنهر العشار هو (جادة الرشادية) وتَمَّ شق الطريق بعد استملاك الأراضي الواقعة على النهر مع بناء تسع قناطر على نهر العشار وقد اعترض على ذلك «طالب النقيب» و«أحمد باشا الزهير» لأن أراضيهم وبساتينهم تعرضت للاستملاك وقد افتتح الوالي «سليمان نظيف» تلك الجادة في جمادي الآخرة سنة ١٣٢٨هـ وتم إنارة هذه الجادة بمصابيح زيتية وعددها عشرة مصابيح وهي من نوع «الكتريك لوكس» ولكن الأستاذ «حامد البازي» لم يشر إلى مصدر المعلومة وهو كتاب «بلدية البصرة» ص١٢٥-١٣٠.

الموازي[1] للنهر وأضاف ثلاث شرائع وعمل لها أبواب حديدية ونوّره بالفوانيس الكبيرة.

وقد تم تطهير النهر سنة ١٣٠٠ هـ على عهد الوالي «علي رضا باشا» وقد أشارت إلى ذلك جريدة البصرة[2] في عددها الصادر في رمضان سنة ١٣٢٧ هـ قائلة بضرورة تطهير نهر العشار الذي لم يُنظَّف منذ أكثر من ربع قرن، لأنّه ليس هو بمصدر لمياه الشرب بل واسطة لإرواء البساتين والنقل المائي. ومما يُحظ أن المؤرخين لم يذكروا قديماً للبصرة نهر باسم نهر العشار وإنما ذكروا مشهد العشار وهو اسم عام لكل محل تُؤخَذ فيه العشور أو هو مقام لصاحب العشر، والدليل على ذلك أن هناك نهراً في منطقة الفاو كان اسمه نهر «إبراهيم العبد الجبار» فلّما شُيِّدت عليه قاعدة أخذ العشور سُمِّي بـ«نهر العشار». ولا يُعرف متى حُفِرَ هذا النهر وإنما جاء اسمه معبِّراً

---

(١) جريدة الأوقات البصرية العدد ٩٨المجلد ١١ في الخامس من تموز الموافق ٢٦ رمضان سنة ١٣٣٦هـ «إعلان...بناء على تحسين منظر البصرة ونواحيها أن الحاكم العسكري يسأل جميع الملاّكين الذي لهم ملك واقع على الأنهر المهمة أن يغرسوا على حافة الأنهر شجرة الدفلى وغير شجر مُورِّد والشجر المثمر والمورِّد.

الماجور أي.أس. ميك حاكم البصرة العسكري».

وهكذا تمت زراعة أشجار الكالبتوس لأول مرة على الأنهار.. وكانت مشاتل البلدية تفيض عن حاجتها وتطرح الفائض من الأشجار للبيع حتى أوصت بتسويقه إلى بغداد وقد نشرت بلدية البصرة إعلاناً في جريدة الأوقات البصرية العدد ١٨٧ السنة السادسة ١٥ أغسطس سنة ١٩١٩ عن توفير كميات كبيرة من الأشجار لديها مُعدّة للبيع ومنها أشجار البرتقال والعنب والخوخ والليمون الحامض والتين والمشمش و ... وأمام كل نوع من هذه الأشجار سعره.

ولكن السيد «حامد البازي» لم يذكر مصدر معلوماته تلك وهي طبعاً كتاب بلدية البصرة.

(٢) المقصود جريدة الولاية الرسمية (البصرة) بعددها ٥١٩ في ١٥ رمضان سنة ١٣٢٧هـ وبعد ثلاثة أشهر من العمل في تطهير هذا النهر الذي تم تقسيم العمل فيه على أربع مراحل تم افتتاحه بمهرجان شعبي كبير وذلك في ذي الحجة من عام ١٣٢٧هـ. ينظر: عن هذا الموضوع: بلدية البصرة: رجب بركات، ص١٢٠-١٢١.

عن العهد الإسلامي والعشور. ومما تجدر الإشارة إليه إنّ جريدة «الزوراء البغدادية» انفردت بنشر خبراً مفاده أن هذا النهر حفره بعض أفراد العشائر والأعراب حوالي سنة ٧٠٠هـ وزرعوا النخيل على حافتيه وأحدثوا البساتين وكانوا أثناء ذلك يعيشون في حظائر تُسمّى صرائف وهي معمولة من قصب.

ثم استطردت لتقول ولما دخلت البصرة تحت حكم «سليمان القانوني» وعُرِفَت أهمية البصرة لذوي الأمور فأُسِسَتْ مدينة على بُعد نصف ساعة من البصرة العتيقة لتكون مداراً لأخذ رسم الكمرك ثم أصبحت هذه البصرة. ومع أنّ هذا الخبر فريد وعجيب فإنّها لم تذكر مصدره ولا إلى شخصية الذين أَسسوا البصرة وحفروا النهر، وكان نهر العشار نظيفاً وصالحاً للشرب ومياهه غير ملوثة بسبب الاعتناء به وتطهيره الدائم وكان السَقَّاء البصري يحمل منه الماء في قِرَبٌ ليوصله إلى البيوت حيث يُصّفى بالحبوب والأكواز والشرابي والحبانات والغلي.

كانت البلدية قد لوّثت نهر العشار حينما سَمَحَتْ بأن يكون النهر محلاً لصب المجاري القذرة بل سَلَّطت كل قاذورات البيوت عليه بحجّة إنقاذ الشوارع والطرقات من التلويث وتكون بذلك كالمستجير من الرمضاء بالنار، وليتها دعت القاذورات تجف في الشوارع من أن تَتَجَّمع لتكوّن مستنقعاً في قلب المدينة تأوي إليه الجراثيم.

ومما تجدر الإشارة إليه أيضاً أن البصرة لم تعرف توجيه المياه الآسنة إلى نهر العشار حتى في أيام الاحتلال الإنكليزي كانت هناك شبكة لتصريف مياه الأمطار كما كانت الأوامر الصارمة مع اليقظة ضد كل مَنْ يلوث النهر أو الشارع.

وكانت بلدية البصرة قد رَتَّبت فوانيس على حافة نهر العشار فلّما أُهمِلت قليلاً كتبت جريدة «البصرة» في عددها الصادر في ١٩ شوال سنة ١٣٠٧ هجرية/ ١٨٨٩ميلادية تستلفت نظر الحكومة إلى ذلك لأهمية النهر. وكانت الجريدة في عددها الصادر في ربيع الأول سنة ١٣١٠هجرية قد أشارت إلى كري النهر،

وقالت متعجبة: «كيف أن هذا النهر لم يُكرَ منذ ست عشرة سنة وأنَّ ذلك لعظيم الإهمال» وكانت التطهيرات تجري بالعمل الشعبي المُسمّى (سخرة) وذلك لديمومة نظافته.

وَتَتَبَعُ نهر العشار على حافتيه ٤٨ من الفروع الصغيرة والكبيرة لتكوِّن من البصرة بندقية الشرق وهي تسقي بساتينها وواسطة للتنقل والجمال وشاهدها البلم العشاري الذي أُجري أول سباق للزوارق في تأريخ البصرة وذلك سنة ١٩١٠، كما كان حفيد نهر الأبلة القديم وزميل نهر الخورة الحديث للأُنس والنُزهة وعليه عندما تم تطهيره سنة ١٩٠٩ أُقيمت حفلة اشتركت فيها موسيقى الجيش والزوارق المُزيّنة وأُطلقت المدافع.

ونرى مع أن النهر كان نظيفاً فإنّ اللجنة التي أُلّفت لتطهيره توصي بأن يكون التطهير كل خمس سنوات وذلك لأهميته وطبعاً جاءت عليه الأغذية البصرية الفولكلورية.

واكف على العشار بطرك السديري
سنة ضحك كذاب عينه على غيري

نهر الخورة

عَرَفَ العرب الخَور على أنه طريق للماء لم يحفره أحد تجري إليه الأمطار ويتراجع فيه ماؤها عند المد ويَصبُّ في البحر، والخورة لفظة اشتقّت من الخور وبمناسبة حديثنا عن هذا النهر نرجع إلى بعض المصادر التي ذكرته مع مناقشتنا لما قالته هذه المصادر.

نحن الآن مع «سليمان فيضي» وهو في صفحة ٥٩ من كتابه «البصرة العظمى»

يقول[1]: «يُعد هذا النهر من أبدع متنزهات البصرة ولا سيما في فصل الربيع ويُقال إنه نهر الأُبُلة القديم الذي كان يقال عنه إنه إحدىٰ متنزهات الدنيا الأربعة».

وأنك إذا رجعت إلىٰ «ياقوت» حيث يقول ما بين البصرة والأُبُلة مُتَعبَّد «سهل ابن عبد الله التّستري» أي منطقة الحمزة جنوب البصرة الحالية عندئذٍ لا يكون نهر الخورة علىٰ صفة تقرّبه من نهر الأبلة القديم.

وجاء في معجم البلدان علىٰ لسان «ياقوت» إنّ دجلة العوراء[2] «اسم شط العرب القديم» كانت خَوراً، والعرب في تحريرهم لأرض البصرة وجدوا الخور هكذا مُكوِّناً حدوداً علىٰ بعد ثلاثة فراسخ وقد سمّوه «الخزر» بينما كان يُدعىٰ قبلاً بالأجانة ويقول «ياقوت» من هذا الخور يبتدأ نهر الأجانة ويقع نهر الخورة الحالي بين نهري ابن كامل من شماله والشيرازية من جنوبه وأراضي الخورة كانت تابعة لمنطقة السراجي حتىٰ أن «النّبهاني» في تحفته يقول نهر الخورة تابع للسراجي[3]. وطول نهر الخورة عشرة كيلو مترات، وله عِدة فروع تمتد علىٰ يمينه ويساره ولكنها كلها تدخل ضمن سور البصرة القديم مكوَّنة شبكةً مائية يتصل بعضها ببعض، متصلة بنهر المناوي والسراجي والمقدسية والمحرقة، وبعضها يمتد إلىٰ داخل محلة جسر العبيد ومحلة المشراق مطوِّقة المنطقتين ثم تعرج إلىٰ منطقة الكواز وحسن داده

(١) النص في ص٥٩ من البصرة العظمىٰ «الخورة: يُعد هذا النهر من أبدع متنزهات البصرة لا سيما في فصل الربيع ويقال إنه نهر الأُبُلة القديم الشهير في التأريخ الذي كان يُقال عنه إنه إحدىٰ متنزهات الدُنيا الأربعة».

(٢) عندما رجعت إلىٰ معجم البلدان لـ«ياقوت الحموي البغدادي» ت٦٢٧هـ، طبعة دار إحياء التراث العربي، بيروت، سنة ٢٠٠٨، المجلد الثاني/ ص٢٩٠ وجدت النص «ودجلة العوراء اسم لدجلة البصرة علمٌ لها».

(٣) في التُحفة ص١٧ «نهر الخورة تابع للسراجي متصل إلىٰ حد النخيل».

والمناح ومستشفى العزل «دويد»[1]. وإلى الصحراء لتسقي أكثر من ألف جريب من النخيل وإلى محلاّت الذنايب أي آخر نخلة زيادة على ذلك فإنّ هذا النهر يكوِّن خندقاً داخلياً للبصرة يكسبها مناعةً في الدفاع الداخلي. وكان هذا النهر مقصد السيّاح وقُصّاد النزاهة والكسلات وقضاء ساعات وأيام بين نخيله، وكأنها قطعة من الجنة مع انسياب البلم العشاري والماطورات (القوارب التجارية) بين أزاهيره وأنواع طيوره المُغرِّدة وسمكه الوفير وعلى هذا جاءت الأغذية الفولكلورية البصرية.

بالخورة الكيفية

بالخورة مع الشبّان حلوة گعدة البستان

خديه يشبه الرمان رمان الفلاحية

بالخورة الكيفية

(١) هو مستشفى الحمّيات العزل في منطقة دويد جنوب غرب مدينة البصرة الذي كانت تعُزل فيه المصابات بالأمراض الزهرية في العهد العثماني وقد تحوّل في العهد البريطاني إلى معزل للمصابين بالأمراض المُعدية أمثال الطاعون والكوليرا والملاريا وقد قدّم خدماته النافعة في الحد من انتشار الأمراض المعدية خاصة وأن السلطات كلّفت مختاري المناطق بالإخبار عن الإصابات بالأمراض المعدية في محلاّتهم وأصبحوا مسؤولين قانونياً في حالة تقاعسهم عن ذلك.

وقد صادقت وزارة المالية في ٧/ ١١/ سنة ١٩٣٣ على تخصيص المبالغ المالية اللاّزمة لإنشاء مستشفى العزل الجديد في البصرة وقد حُدد موقع مستشفى العزل الجديد المنشأ في الجهة القريبة من مستشفى تذكار مود وقد ربط بينهما ممر، وأُحيط المستشفى الجديد بسياج لمنع دخول الناس سراً وقد تم إنجازه سنة ١٩٣٧. التأريخ الصحي لمدينة البصرة أواخر العهد العثماني حتى سنة ١٩٣٩: ص٥٩ وص٧٢..

نهر السراجي[1]

جاء في صفحة ٧٩ من كتاب «إمارة كعب العربية» أن السراجي نهرٌ عظيم ومن أعظم مقاطعات البصرة السبع الجنوبية وحوله بساتين كثيرة وتخرج منه أنهار عديدة أيضاً وأنّ قراه مشتملة على عدِة مساجد. وقد سُمي بالسرّاجي نسبةً إلى رجلٍ كان يعمل السروج في المحل المذكور لـ«آل راشد» الذين ملكوا البصرة بعد السبعمائة

---

(١) وقرية السراجي من أشهر قرىٰ البصرة الجنوبية تقع جنوب قرية (أم المرضعات) أي البراضعية، يخترقها نهر السراجي الكبير المُتفرّع من شط العرب وهو متصل إلى حد النخيل وعليه نحو ثلاثة ألآف جريب نخل ورقم المقاطعة ١٤ وعدد القطع الزراعية ٣٩٤ قطعة ومساحتها ١٠٠٣ دونماً، .... وجامع السراجي يعود تأريخ تجديده إلى سنة ١١٤٠هـ ـــ١٧٢٧م، وقال «السمعاني» في شرطه لمقامات الحريري إن سروج قرية من قرىٰ البصرة تُعرف الآن بالسراجي لوجود العلماء والزهاد ومنها الشيخ «عبد العزيز المرجاني نصر السَمَّان» ومن ذريته الكاتبة المعروفة «غادة السمَّان» وهما سراجا القرية المذكورة.

وعند صدور نهر السراجي يوجد قصر فخم يعود إلى «آغا محمد جعفر» ويقابله على الجهة الثانية قصران كبيران هما إلى «عبد الوهاب باشا القرطاس» في قرية الشطّانية التابعة إلى قرية ميتان. وقرية ميتان سُمِّيت نسبةً إلى اسم القائد الفارسي «المرزبان بن ميتان» صاحب إمارة ميتان في هذه المنطقة الذي حارب القائد «عتبة بن غزوان» عند فتح البصرة وتمصيرها.

والقصران اللذان مَرَّ ذكرهما قد هُدّما في عام ١٩٥٠ عندما بوشر بفتح طريق على شط العرب مُتمِّماً لشارع الكورنيش. يُنظر: مُسمَّيات البصرة: عبد الله رمضان آل عيادة، ص٤٦-٤٧.

وزاد «عبد الله رمضان» في كتابه تراث البصرة: الجزء الأول والثاني، ص٧٤-٧٦. قائلاً: «وفي منطقة السراجي بُني قصر «آغا محمد بن آغا جعفر بن آغا عبد النبي» وكان قصراً فخماً مزداناً بالصور والزخارف وكان في مدخله (أسدان) مصنوعان من مادة البرونز ويُسمىٰ قصر أبو السباع وهو اليوم ضمن مجمّع القصور الرئاسية فقد اتُّخِذَ ضمن هذا المجمع سنة ١٩٨٨، ومن علماء منطقة السراجي وزُهادها الشيخ «عبد الرحمن بن محمد بن أبي الجوزي» والشيخ «عبد العزيز المرجاني» والشيخ «نصر السمّان» وهم من علماء الفقه والحديث واللغة، وقرية السراجي تتصل بـ(عويسان) من بعد الجسر وهي تقع ضمن حدودها الإدارية البلدية وهي تابعة لقضاء أبي الخصيب وفيها جامع قديم عند رأس جسر السراجي (جامع عويسان). تراث البصرة: الجزء الأول والثاني، ص٧٤ -٧٥

وواحد من الهجرة، وتَحدَّثَ «لوريمر» في صفحة ١٣٥ من «دليل الخليج»[١] فقال: «إن السراجي قرية كبيرة على خور كبير يبعد ربع ميل عن جنوبي خور البراضعية ويسكنها ٢٠٠ نسمة من قبيلة العيدان، ويوجد منزل ضخم عند تفرع الخليج من النهر على الضفة اليمنى، وهذا المنزل لـ«عبد الوهاب باشا القرطاس» وعلى الضفة اليسرى قصر يملكه آغا جعفر وكيل شركة الهند للملاحة.

وجاء في صفحة ٢٦ من كتاب «زاد المُسافِر» للشيخ «فتح الله الكعبي»: «أنّ السرَّاجي بتشديد الراء اسم نهر من أنهار الناحية الجنوبية من البصرة وهو غاية العمارة وفيه موضع اسمه خريبط يُضرب به المثل في كثرة الفواكه[٢]. وكان «النبهاني» قد تَحدَّث في صفحة ١٨ من كتاب «التُحفة» قائلاً: «أنه نهر متصل إلى حد النخيل[٣] وعليه نحو ٣٠٠٠ جريب من النخل الممسوحة وكذلك ٤٥٠٠ جريب غير ممسوحة». وكذلك قال: «قرية السرّاجي تقع على النهر وفيها مسجد قديم عليه

---

(١) ذكرها «لوريمر» في المجلد الأول من القسم الجغرافي ص١٢٩ والنص: «سراجي قرية على بعد ميلين من جدولٍ كبير يبعد ربع ميل عن جنوبي جدول البراذعية فيها ٢٠٠٠ نسمة من قبيلة عيدان وقبائل أخرى يسكنون الأكواخ ويوجد منزل ضخم عند تفرع الجدول من النهر على ضفته اليمنى وهذا المنزل تابع لـ«عبد الوهاب القرطاس» كما يوجد منزل آخر على الضفة اليسرى يملكه آغا جعفر وكيل شركة بومباي وفارس للملاحة».

(٢) النص في ص٣٦ فيه اختلاف قليل «ويُضرب به المثل في حُسن العمارة وكثرة الفواكه والثمار» في البصرة اليوم. وقد بُني على الطراز الحديث، أمر ببنائه المرحوم «عبد الوهاب باشا ابن أحمد القرطاس» خصيصاً لقرينته في ملكها الآيل لها إرثاً من والدها المرحوم «يوسف باشا بن قاسم باشا الزهير» وتوفي يوسف باشا سنة ١٣١٣ هـ».

(٣) في التحفة ص١٨ «نهر البراذعية ونهر الدوغه كلها منبترات وتابعة للسراجي، ونهر السراجي الكبير متصل إلى حد النخيل وعليه نحو ٣٠٠٠جريب ممسوحة ومع غير الممسوح قيل ٤٥٠٠ وقرية السراجي أكبر المقاطعات وفيه مسجد قديم عليه منارة طويلة مُنقَّشة بالفسيفساء ولم يوجد بالبصرة مع عظمها سوى هذه المنارة، وأخرى تشبهها في محلة المشراق. وفي شرق السراجي قرية على شط العرب الكبير تسمّى الشطّانية والخضراوية وبها قصر عظيم هو أحسن قصور البصرة».

منارة طويلة مُنقَّشَة بالفُسيفساء كما هناك قرية اسمها الخضراوية تقع شرق السرّاجي وتابعة لها وفيها قصر القرطاس الذي أصبح سنة ١٩٠٩مقراً لحزب الإتحاد والتَرقّي».

و«أحمد نوري الأنصاري» في صفحة ٢٠ من كتاب «النصرة في أخبار البصرة» يقول: «السرّاجي وهي المقاطعة الثانية في البصرة يؤدي جريب نخلها سبعة قروش ونصف وغير الموظف يؤدي العشر الشرعي» ثم يقول «ويَحُدُ المنطقة من جهة القبلة (الغرب) السبخ وشمالاً خندق البصرة المُسمّى بالخورة وشرقاً شط العرب وجنوباً حدود مقاطعة مهيجران. ويتبع منطقة السرّاجي عدة أنهار منها ماهو مندثر مثل نهر المحرقة، ونهر المقام، ونهر الدوغة ومنها ما عليه قرىٰ ولكنه شبه مهمل مثل نهر المزاينة، ونهر ميثان، ونهر البراضعية، حيث إنّ هذه الأنهار الثلاثة كانت قد بدأت هذه السنوات وتتبع نهر السرّاجي عِدة شوايخ لأنهار تسقي بساتين واسعة منها نهر كوت الضاحي، ونهر فريج السخر، ونهر أبي سلال، والشعشاعي وباب الهوىٰ، والشطبان، وفَجَّة العرب، وشتوي، وخريبط، ونهر الشطبانية يكوِّن الحدود الشمالية لمنطقة نهر السرّاجي بينما الحدود الجنوبية تمتد إلىٰ نهر القس. والسرّاجي قيل إنه نسبة إلىٰ رجل يعمل السروج وقيل بل إنها نسبة لرجل كان اسمه «سريج» وكان حداداً ويعمل السيوف وإليه تُنسب أيضاً السيوف السُريجية البصرية واستندوا بذلك إلىٰ قول الشاعر البصري «ابن معتوق»[1] وهو يهنيء أمير المشعشعين «السيد علي»[2]

(١) هو شهاب الدين بن معتوق الموسوي الحويزي شاعرٌ بليغ من أهل البصرة، فُلج في أواخر حياته، وهو من أهل البصرة، الأعلام: للزركلي: ٣/ ١٧٨.

(٢) السيد علي خان المشعشعي كان قد ولِد سنة ١٠١٨ هـ وتولّىٰ فيما بعد أمور منطقة الحويزة من الشاه عباس الثاني واستمر في حكمه حتىٰ وفاته سنة ١٠٨٨هـ وفي سنة ١٠٨٤هـ تم نفيه إلىٰ أصفهان وأهله من الشاه سليمان، ومن ثم أعاده للسلطة حتىٰ وفاته ١٠٨٨هـ فتولاّها ابنه «السيد حيدر»، إمارة المشعشعين، ص٥٤.

بقوله:

قضـــب حمرهـــا تظـــن سريجـــاً وهـــي بالنـــار بـــالنجيع ســـقاها

ونقول عنها نسب بصـري كيفما كان وهو يدل على الصفتين ولكن عمل السرـج كان بكثرة في هذه المنطقة كما كان عامل السيوف مثله والنهر حُفِرَ بعد سقوط الدولة العباسية وكل شيء إليه جائز.

من جسور البصـرة

سنة ١٣٠٧ هجرية ١٨٨٩ميلادية شُيِّد جسر الصيادلة والذي عُـرِفَ بجسرـ سـوق الهنود نظراً لوقوعه في مدخل هذا السوق ثم هُدّم سنة ١٩١٦ وشُيِّد بالحديد وسُمّي بجسر «واينلي» وفي سنة ١٩٣٢ سُمّي بجسر «الأمير غازي». وفي سنة ١٣١٣هجرية ١٨٩٥ميلادية شُيِّد جسر الخندق بالخشب للمرور ولكنه هُدّم سـنة ١٩١٥. وشُـيِّد بالحديد واستُعمل للأغراض العسكرية، كما شُيِّد على نفس النهر وفي منطقة الساعي جسر سُمّي بجسر «ليك» إلاّ إنّ الناس يُسمّونه بالجسر الأحمر[1]، خاصة بعد أن جُدد وأُطلِيَ بالصبغ الأحمر سنة ١٩٣٢ وبقي كذلك إلى ما قبل سنتين قليلـة حيـث أُبـدل صبغهُ بالأبيض، علماً بأنه كان اسم علم لمنطقة أصبحت تسمى محلّة جسر الأحمر وأنا أرجو أن يُعاد صبغه بلونه التراثي الأحمر.

كذلك شُيِّدَ سنة ١٨٩٥ جسر على جنوبي نهر العشار ليُسمى بجسر الغربان نسـبة إلى نوع من القوارب البصـرية كانت تدعى «الغراب» ولكـن اسـمه الرسـمي كـان جسر بغداد وهو عند مدخل محلة نظران.

وفي سنة ١٨٩٩ شُيِّد جسر «الخورة» من الجهة التحتانية من قلعة البحريـة، وقـد هُدِّم هذا الجسر سنة ١٩١٦ وبُني من جديد بالآجر والحديـد وسُـمّي بجسرـ مـود،

(١) الجسـر الأحمر: وقد بُني في سنة ١٩١٧ ويربط محلة الساعي من الجهة الجنوبية مع محلة الطويسـة مـن الجهة الشمالية.

ولكن العامّة يُسمّونه جسر الخورة. وفي سنة ١٨٩٨ شُيِّدَ جسر نهر السرّاجي وقد ساهم الملاّكون في تَشييده إلى جانب البلدية.

ومن الجدير بالذكر أن العبور على الجسور كان بأجور تختلف نسبتها للعابر إذا كان كبيراً أو صغيراً أو كانت واسطة نقل أو حيوان وكانت الجسور تُعطى بالالتزام.

وهناك جسر «الصبخة» الحقيقي ويُدعى بجسر «ياسين» وهو يربط محلة السيف بمحلة الصبخة لمدخل طريق يمتد إلى منطقة «جبال خمّاس». وعند نهاية الجسر من محلة الصبخة يطل فندق كان اسمه «جراند أوتيل» وهو من فنادق الدرجة الأولى وقد عُمِلت له حديقة اصطناعية مُتسلِّقة متعلقة مما زادت في جمال الفندق كما زادت في جمالية الشارع والجسر وقد اشترى هذا الفندق «كرموش» وهو اليوم من البيوت التراثية.

وهناك جسر المنديل[1] وقد شيّده «عبد اللطيف المنديل» سنة ١٩٢٨ ليربط مدخل داره المُطلّة على نهر العشار بمحلة السيف وقد جُدِّد هذا الجسر عدة مرات. وكذلك جسر «أندريا» الموازي لجسر الغربان ويربط مدخل دار أندريا الواقعة في محلة الصبخة الصغيرة بمحلة السيف والدار تعود إلى «نصوري أندريا». وجسر «طلعت المسيح» وكان يُسمّى بجسر «الأرمن» نظراً لكونه يقع أمام محلة «الأرمن» وهو جسر كبير ولكنه كان خاصاً وأُنشئ سنة ١٩٢٨ وكانت السفن تسير من تحته وهو يقابل المجمع التلفزيوني اليوم.

ومن الجسور المهمة أيضاً جسر «الرباط» وكان ضخماً وقد شُيِّد على أرض فُرشت عليها طبقة من الكونكريت المُسلَّح رقم ٦ وذلك سنة ١٩٥٤ نظيراً لمثيله نهر «الخندق» الذي شُيِّد عليه جسر بنفس الضخامة وكان الناس يُسمّون جسر «الرباط»

---

(١) وهو جسر عائلي خاص ببيت المنديل يقع مقابل مدرسة الهدى للبنات يربط بيت المنديل قرب المتحف في محلة السيف والضفة الثانية التي تقع في محلة الصبخة الصغيرة التي يقع فيها بيت المنديل وهو على نهر العشار ولا يتجاوز طوله ٢٠ متراً.

باسم جسر «مكينة السوس» نظراً لوقوعه إلى جانب المكينة وهو يربط امتداد شارع دينار إلى محلة التميمية.

وكان الحاج «حمود الملاّك»[1] قد قام سنة ١٩١٠ بتشييّد جسر على نهر العشار عند محلة المعصرة القديمة والمُسمّاة اليوم بمحلة التحسينية. وفي سنة ١٩١٧ جُدِّد الجسر- وفي عهد الحكم الوطني تبرّع أبناء المحلَّة بتشييد الجسر من جديد بالحديد وقد تم بنائه في آب ١٤ سنة ١٩٢٤ وبَقيَ إلى الستينات حيث هُدم. ومن الجسور المهمة جسر «فلسطين» الذي أُنشئ مقابل مركز إطفاء البصرة ومستشفى السعدي وذلك

---

(١) **آل الملاّك**: تنتمي هذه الأسرة إلى عشيرة الحلاف أحد أفخاذ بني تميم وقد نزحت إلى البصرة منذ زمن بعيد واشتغل أفرادها بالتجارة وكان أشهرهم المرحوم الحاج حمود باشا الملاك الذي أدّى خدماتٍ جليلة للبصرة فحصل على وسام الدولة العثمانية وقد أنجب ثلاثة أولاد هم:

السيد عبود الملاّك: ولِد في البصرة سنة ١٨٨٥، درس في مدارس الحكومة العثمانية وبعد اشتغل بالتجارة ثم أنتُخِب في عهد الحكم الوطني نائباً في المجلس التأسيسي لمرتين عن البصرة.

الثاني عبد الجبار الملاك: وقد ولِدَ سنة ١٨٩٥ في البصرة وبعد دراسته الإعدادية درس اللغة الفرنسية وعمل في التجارة والسياسية وكان رئيساً لفرع الحزب الوطني في البصرة وفي سنة ١٩٣٧ انتخب نائباً عن البصرة.

الثالث حبيب الملاك: ولد سنة ١٨٩٧ في البصرة ودرس في المدارس الأمريكية والتركية ثم اشتغل بالتجارة وانتخب عضواً للمجلس البلدي.

وقد بنت هذه العائلة:

١. الجامع الموجود في العشار والمُسمّى باسمها.
٢. جامع في الثكنة العسكرية التركية هدّمه الجيش البريطاني.
٣. جامع العباسية في منطقة العباسية.
٤. جامع في النجف يعرف باسم الملاك.
٥. ملجأ خيري للفقراء.
٦. تبرعت بمساحة من منطقة أم البروم اتخذت مقبرة ثم أصبحت من الأملاك العامة.
٧. جسر على نهر العشار.

ينظر: حاضر البصرة: عبد المجيد الغزالي: ص٣٦٥-٣٦٦.

بكلفة ١٤٠٢٩٩٤٣ دينار وقد تم تَشييده في ٢٩ حزيران سنة ١٩٥٣ وسُمِّي الشارع الذي يبتدئ منه الجسر بشارع فلسطين وهو يمتد باتجاه الخورة وتقع عليه بناية اتحاد نقابات العمال فرع البصرة والمكتبة المركزية. كما نُظِّمت حديقة مقابل مدخل الشارع وهي على شكلٍ مستدير مع استدارتين لليمين واليسار لتُستعمل لمرور السيارات وذلك سنة ١٩٥٧ وكان مركز توليد كهرباء البصرة المسمى «باورهوز» يقع في العشار بالقرب من مركز المحافظة اليوم وقد شُيِّد لهذا المركز جسر حديدي كانت تسير عليه سكة حديدية مُخترِقة مدينة البصرة وقد هُدّم هذا الجسر سنة ١٩٦١ وبُني بالطابوق بعد أن كان مبنياً بالحديد وسُمّي بجسر «النور» بعد إنْ كان اسمه جسر «نيكسن» والناس يسمّونه جسر «باور هوز».

ومن الجسور القديمة في البصرة جسر «أم البروم»(١) والذي سُمّي بجسر «باريث» ثم أُبدل إلى جسر «أنس» لأنه ابتداء لشارع ساحة أنس ولكن الاسم

(١) أم البروم: يقول عبد الله رمضان آل عيادة، في كتابه تراث البصرة: الجزء الأول والثاني، ص٢٧٣، «في سنوات المجاعة التي حدثت في البصرة لمدة خمس سنوات (١٨٧٥-١٨٨٠م) أقام المرحوم «حمود باشا الملاك» ومعه أهالي العشار مطبخاً كبيراً مجاناً لتوزيع الطعام على الأهالي وكان يطبخ في القزانات (القدور الكبيرة) أو البُرمة الكبيرة، لذلك سُميت هذه الساحة على اسم البُرم أو البروم التي كان يطبخُ فيها الطعام آنذاك، وهذه الساحة كانت مقبرة في زمن العهد الملكي».

وهذا الرأي هو المشهور ولكن هناك تأويل آخر لهذه التسمية وهو كونها مقبرة قديمة فكانت جثث الموتى تنقل إلى النجف بواسطة السفن (المهيلات) لأنه لا توجد وسائط نقل كالسيارات أو القطارات، ولذا فنقل الجثث يكون بواسطة البُرم (أي الحِب) الفخارية وتوضع الجثة داخل هذه البرمة بوضعية القرفصاء وهي طريقة الدفن البابلية والسومرية القديمة ويضاف لها ماء السدر والكافور وتُنقل هذه البُرم بالسفن عن طريق نهر العشار ثم شط العرب ثم الفرات ثم النجف وتُدفن هناك ولهذا فهذه المنطقة هي أشبه بميناء البُرم الذي يتم تجميعها فيها حتى تأتي تلك السفن لنقلها فهي مقبرة وميناء لنقل الجثث كذلك. وهو واضح في قصيدة السيّاب أم البروم فقد كتب عنها قصيدة (أم البروم) في عام ١٩٦٢ أي بعد ثلاثين سنة من مسح هذه المقبرة التي تَحوَّلَت إلى متنزه عام ١٩٣٢ واكتمل في عهد الملك غازي فَسُمِّيت حديقة غازي.

المشهور هو جسر «أم البروم» ويقع مقابل المحافظة. وكانت الفكرة منذ القِدم أن يكون أمام مقر الرئاسة جسر لسهولة وصول الناس إلى المرجع الأعلى وخاصة أيام إمارة «آفراسياب» العربية وقد أُقيم جسر من خشب أمام جامع المقام وبقيَ لمدة يُستعمل بكثرة وأنه تقع عليه منطقة العشور وقد شُيِّد هذا الجسر بالحديد وبهندسة جيدة سنة ١٩١٦ وكان يفتح للسُفن وسُمّي بجسر «المقام» وقد هُدّم سنة ١٩٦٥ وشُيِّدَ محَلَّه جسرٌ لا يليق بسمعة البصرة وها هي الآن الحكومة تهتم بذلك لتُشيِّد ما يليق بمكانة البصرة.

القصور والشناشيل

الشناشيل[1] هو الواجهة العُليا من البيت والمُطلّة على الخارج والمعمولة من خشب وهو على أنواع، سُمِّيت حسب اصطلاحات البنائين فمنها «الشناشيل، أبو البالكون، والشناشيل المَقبّط، وأبو الشمسية، والمعَّرج، وأبو الطيقان، والمُخلَّط،

(١) كُتبت رسالة ماجستير عن هذا الموضوع «المشربيات-الشناشيل-في العمارة السكنية في العراق خلال الحكم العثماني ٩٤١-١٣٣٦هـ، ت ١٥٣٤-١٩١٧م وهي للطالب «نبيل عبد الحسين راهي» في كليه الآداب جامعة بغداد في الآثار الإسلامية سنة ٢٠٠٦، وجاء في تعريف الشناشيل ص٦ «يُعتقد أن هذه التسمية مشتقة من كلمتين في اللغة الفارسية هما (شاه نشين) والتي تعني خير مجلس أو مجلس الملك.. وعند الرجوع إلى ما تعنيه هاتان الكلمتان في معاجم اللغة الفارسية وجدنا أنّ كلمة (شاه) تعني الملك أو السلطان و(نيش) تعني المقعد أو الثقب إلاّ أن هناك كلمة أخرة هي (نشمين) تعني محل الجلوس، فربما يكون المصطلح مشتقاً من شاه نشمين والتي معناها محل جلوس الملك.

وقد تكون من أصلٍ لغوي عراقي قديم فمن المُحتَمَل أن يكون بهيئة samas - il ولعلَّ التوافق الموجود ما بين samas وكلمة sanas يدعونا إلى الإعتقاد أن samas-il هي sanasil لأن دلالة الكلمتين ترتبط بضوء الشمس وعلاقة الشناشيل بضوء الشمس علاقة مباشرة، وهناك رأي لباحث في العمارة يعتقد أن كلمة شناشيل ربما تعود إلى أصول يونانية حيث تأتي بصيغة (سناسيل) في الإغريقية الحديثة ونقلت إلى التركية ثم اللهجة العراقية».

والأخير هذا يُستَعمل الطابوق فيه مع الخشب في البناء والتشييد.) ولفظة شناشيل مغولية تركية جاءت البصرة بعد سقوط الدولة العباسية وهي تتكوّن من مقطعين (شاه) أي ملك (شين) أي مجلس وعلى هذا فهي تعني مجلس الملك أو المقصورة لأنّ الشناشيل في بنائه الأول كان عبارة عن مقصورات ثم حُوِّر إلى منزل سكن عام. ونقول شناشيل للمفرد وشناشيلات للجمع وليس مفردها شنشول كما يعتقد البعض وهي على لغة أكلوني البراغيث وأن الأغنية الفولكلورية تؤيد ذلك.

فدوة للشناشيلات تگعد بيهن الحلوات
تكثر بيهن الضحكات فدوة للشناشيلات

وهذه الأغنية:

شناشيلك ياسيف اليوم يحلَه الليل بيه النوم
بس آنه أظل مهموم كل ليلي أجر حسرات

وكان العرب في جزيرتهم قد عرفوا تعدد الطوابق وقد جاءت الآية الكريمة تؤيد ذلك: ﴿ إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ ﴿٧﴾ الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ﴾. والعرب سَمّوا ذلك (الطنوف) وكانت البصرة ثمرة معركة القادسية حاضرة بناها العرب المسلمون، وهي مركز تَجمُّع انطلاقهم وقد قصدها الناس من كل صوبٍ وأنشأوا فيها من فنون الأمم فكان من ذلك هذا الشناشيل أخيراً. وقصورها القديمة التي كَلَّف تأثيث أحدها مليون درهم فإلى أي حد كانت سعة القصر وفخامته وكان منها قصر ناهق والقصر الأحمر زربى وقصر زياد وقصر أنس الذي قِيلَ فيه:

زر وادي القصر نعم القصر والوادي لابد من زورةٍ من غير ميعادِ

وقد زاد الثراء البصري بعد الفتوحات في إمكانياتهم لتشييد القصور في بصرة «عتبة بن غزوان» سنة ٦٣٥ ميلادية، فلمّا غلوا إلى بصرة الموفق وهي البصرة الحالية اليوم والمؤسسة سنة ٨٨٥ ميلادية ازدادت رغبتهم في بناء القصور لتوفر الوسائل والإمكانات والأيدي الفنية الأجنبية من هندية وصينية حتى إذا ما تعلَّم البصريون

ذلك الفن زادت الهمّة نشاطاً وكانت البصـرة مركز تَجمُّع الخشب العالمي وإنّ أرض البصـرة الطينية الرخوة لا تَتَحمَّل بناء دار من طوابق من الطين، فاستعمَلت الخشب لأنه موجود وخفيف. وكان المَهَرة في فن التشييد من بنائين ونجارين يدفعون بالفن البصـري للأمام مع الزجاج المُلوَّن ودقة الزخارف وعمل المقرنصات والزخارف المتناظرة حتىٰ سُمِّيت البصـرة بمدينة الشناشيل. وساعدت الأنهار الكثيرة المخترقة لشوارع البصـرة من جماليتها لأنّ الشناشيل كان يُقام علىٰ سواحلها ثم يرتبط الشناشيل بالساحل الثاني بالجسور والقناطير لتزيين القصـر والشارع معاً.

ولأَنَّ الحدائق كانت داخل القصور لأنها مكشوفة دائماً تُعطَّر بـالورد والريـاحين حتىٰ إذا ما دَخَلت الدار البصـري كُنتَ نشواناً بالعطور والـدار تناديـك أنهـا عطـرٌ بعطر وكانت قصور البصـرة الحديثة كثيرةٌ أذكر منها «أبو السباع» المُشيَّد سنة ١٩٠٢ في منطقة السرّاجي وعلىٰ ضفاف شط العـرب وكـان بطـابقين وفي مدخلـه شـريعة وسُلَّم ذو أسطوانتين متقابلتين علىٰ كُلٍّ منهما أسـد مـن برونـز وكـان هـذا القصـر يُخصَّص لأمير عربستان عند زيارته للبصـرة وقـد خطّطـه المعـمار الحـاج «مصـطفىٰ نوري» بمساعدة المعمار «إسطة علوان» و«إسطة نعمان».

وقد أشار إلىٰ هذا القصـر «لوريمر» في كتاب «دليل الخليـج» وقـال «إنـه لتـاجرٍ بصـري هو وكيل شـركة الهند وكان «لوريمر» قد زار البصـرة سـنة ١٩٠٣. وَذكـرَ أيضاً قصـر «ابن زهير» أو ما يُسمّىٰ أيضـاً بقصـر «القرطـاس» لأنَّ القصـر لابنـة «علي باشا الزهير» و«القرطاس» زوجها وقد أصبح هذا القصـر سـنة ١٩٠٩ مقـراً لحزب الإتحاد والترقّي وكانت له مَشـرعة تظللها سدرة كبيرة «شجرة النبـق» وفيهـا جاءت الأغنية البصـرية:

بشـــــريعة ابـــــن زهـــــير جـــــد مـــــن يـــــا لـــــبلام
حـــــدرج يـــــا ســـــوره اليـــــوم عونـــــه الغُفـــــه ونـــــام

ويحدثنا «لوريمر» في صفحة ٣٩٠ من كتاب «دليل الخليج»[1] فقال عن دار النقيب في الگزارة ما يلي: «نهر الگزارة يقع على بعد ٥٠٠ ياردة أسفل القنصلية البريطانية وتقع عليه قرية كبيرة يليها منزل خاص بالسيد هاشم النقيب وهو ابن أخ نقيب البصرة الحالي وأنّ هذا المنزل مُؤجَّر الآن لشركة السادة ونكهاوس وشركاه وكلاء شركة هامبورغ الأمريكية لخطوط البواخر البحرية».

وكان يعني بنقيب البصرة يومذاك «السيد رجب» والد السيد «طالب باشا النقيب»، ومما تجدر الإشارة إليه أنه كان هناك نُهير صغير يُدعى بنهر السراي وكان يُطوِّق القصر من ثلاث جهات ويَسقي بستانه وحديقته الغَنّاء بينما يحادد من شماله نهر الگزارة ليصبح القصر داخل جزيرة تحيطها المياه مع الأزاهير والأشجار المثمرة.

وهناك قصور عديدة داخل البصرة وخارجها منها قصر النقيب في السبيليات وقصر النعمة وقصر الحاج «محمود العبد الواحد» في أبي الخصيب وقصر خرموش المُشيَّد على جسر الصبخة والذي كان يوماً ما نادي لناشئة الوطن كما أصبح من فنادق الدرجة الأولى وكانت فيه قاعة للعب الشطرنج ومسرح لفرق موسيقية وأحياناً لإقامة حفلات رقص.

وفي سنة ١٩٣٥ شَيَّد «خلف جلبي» داره على شط العشار وكان من طراز هندي ذي قِباب وقد اشترك الفنان المهندس الهندي «جسلان» في تخطيطه وقد أصبح هذا القصر يوماً لصالح بك ثم مقرّاً لوزارة التموين فرع البصرة سنة ١٩٤٣ ثم مقراً

(١) النص في كتاب «لوريمر» «دليل الخليج»، القسم الجغرافي المجلد الأول ص٣٤٥ هو «نهر الكزارة تقع عليه قرية كبيرة يليها أسفل منزل خاص بسيد هاشم أحد أبناء إخوة نقيب البصرة الحالي ويقع هذا المنزل على بعد ٥٠٠ ياردة أسفل القنصلية البريطانية وهو مُؤجَّر الآن إلى شركة السادة ونكهاوس وشركاه وكلاء شركة هامبرج الأمريكية لخطوط البواخر البحرية»، دليل الخليج القسم الجغرافي: ترجمها: مكتب أمير دولة قطر، طبع في مطابع علي بن علي، الدوحة.

لشركة نفط البصرة وأخيراً داراً للذكير ثم تحوّل إلى فندق سُمِّي بفندق الميناء إلّا أن هُدّم ظُلماً وعدواناً سنة ١٩٦٥.

ومن القصور البصرية قصر السبتي في المنطقة المقابلة لمنطقة الدوكيارد في العشار وقد شُيِّد هذا القصر سنة ١٩٠٤ وأشرف على هندسته وبنائه الحاج «مصطفى نوري» وهو جد عائلة «السبتي» من الأم وهو الذي كان قد شارك في تخطيط قصر أبو السباع وقصر أمير عربستان في الفيلية، وقد نُظِّمَت فيه وسائل الراحة من تدفئة وتبريد بطريقة فنية راقية خاصة وأنه كان يحادد حمّام «السبتي» الشهير بالعشار. ولقد أُخذت باب القصر وأُعطي هدية إلى مركز التراث البغدادي لتساهم البصرة مع أُختها بغداد في الحفاظ على العاديات والتراثيات الثمينة.

سور البصرة وأبوابه

لاشك أن الرحّالة «ناصر خسرو» والذي وَصَلَ في العشرين من شعبان سنة ٤٤٣هـ ـ ٢٨كانون الأول ١٠٥١ميلادية عندما يتحدَّث في رحلته عن البصرة يعني البصرة الحديثة وليست بصرة «عتبة بن غزوان» بدليل قوله: «للبصرة سورٌ عظيم يحيط بها ما عدا الجزء المُطل على النهر وهذا النهر هو شط العرب»[1].

ثم قال: «وكان معظم البصرة خراباً والجهات العامرة متباعدة ولكن بابها وسورها محكمان وقويان».

وكان الشيخ «فتح الله الكعبي» قد تَحدَّث في كتابه «زاد المسافر» بقوله: «أسواق البصرة معمورة وفيها من الفواكه والثمار ما تَشتهيه الأَنفُس وتَلذُّ الأعيُن محاطة بسورٍ حصين بجميع جهاتها» والمعلوم عن «الكعبي» أنه يَتَحدَّث عن أحداث البصرة سنة ١٦٦٧م. وكان والي البصرة «شمس الدين باتكين» قد اهتم بسور البصرة في أواخر عهد الدولة العباسية وقد شَيَّد عليها سوراً منيعاً سنة ٦٠٤هـ

(١) هذا ما ذكره ناصر خسرو في رحلته.

١٢٠٧م بسمكٍ عريض وبناءٍ مُحكَم وقد شاهد ذلك الشاعر الإحسائي «علي بن المُقرّب»[1] الذي مدح أمير البصرة وأشار إلى السور بقوله:

بنى بالبصرة الفيحاء سوراً ... يضاهي السد سبكاً وانعقاداً
وأيّده بمثل اللهب تأبى ... على الأيام صفته انهداما

وكان لسور البصرة أبواب اختلف عَددُها كما اختلفت أسماء بعضها بالنسبة للنقلة والمؤرخين وكان «ابن العراق» قد تَحدَّث في صفحة ٧٢ من كتابه «معدن الجواهر» قائلاً[2]: «إنّ للبصرة أربعة أبواب هي باب المشراق وباب البحري وباب

---

(١) هذان البيتان هما:

بنى بالبصرةِ الفيحاء سوراً ... يُضاهي السَّدَّ سبكاً وانعقادا
وأيّده بمثل اللهبِ تأبى ... على الأيام صُفّتُه انهدامَا

وكلمة صُفَّتُه أي حجارته المصفوفة.

وردا في قصيدةٍ مدح بها الشاعر «ابن المقرب» والي البصرة الأمير «شمس الدين أبا شجاع» وهو رجل تركي كان أميراً على أهل البصرة من الخلافة والقصيدة بثمانين بيتاً مطلعها:

طحا بحرُ الهموم به فهادا ... وعَوَّضهُ من الغَمضِ السُّهادا

والبيتان السابقان هما بالرقم ٥٥، ٥٦ من القصيدة.

والشاعر علي بن المقرَّب بن الحسن بن عزيز بن ضبّار... العبدلي العامري البحراني الربعي العيوني الأحسائي الذي عُرف بخمسة ألقاب وأربع كَنى ولِد في العيون عام ٥٧٢هـ في ربوع البحرين فهو ابن أسرة حاكمة اتصل ببلاط الخليفة العباسي الناصر لدين الله (٥٧٥ -٦٢٢هـ) والمستنصر بالله (٦٢٣ - ٦٤٠هـ) وأمير البصرة شمس الدين باتكين، وأمير الموصل بدر الدين لؤلؤ (ت٦٥٧هـ) والملك الأيوبي الأشرف (ت٦٣٥هـ) وتوفي سنة ٦٣٠هـ في البحرين.

ينظر عن حياته: مقدمة المحقق والشارح لديوانه: الدكتور أحمد موسى الخطيب، ديوان ابن المقرب العيوني وشرحه، طبعة مؤسسة عبد العزيز سعود البابطين، سنة ٢٠٠٢، ص١٢ و١٣ والقصيدة في الديوان ص٣٤١-٣٥٠.

(٢) النص هو «إنّ البصرة بصرتان، فالبصرة القديمة التي تَقدَّم ذكرها، وأما التي نذكرها الآن فهي البصرة الحادثة وهي التي عمرّها الأمراء قريباً وهو أنهم لما كانوا ساكنين بالبصرة القديمة كان يبعد عنهم الماء الحلو ولا يجدون ما يشربونه إلاّ بعد مدة.... والبصرة الحادثة فيها أربعة أبواب وهي ←

السيفي وباب الجبل».

طبعاً إن «ابن العراق» هذا من رجال القرن العاشر الهجري أي بعد ١٥٠٠ ميلادي وعليه فلربما كان قد غلط في نقله وإلاّ فإنَّ أبواب سورة البصرة خمسة وقد ذكرها «نيبور» عند زيارته للبصرة سنة ١٧٦٥ وعدّها قائلاً: «هي باب الرباط وباب بغداد وباب الزبير وباب السرّاجي وباب المجموعة[1] وقد حدّثني أحد المُعمِّرين بأنّ للبصرة سبعة أبواب منها باب في السيمر أو الصيمرة وباب الصبخة وباب نظران أو بغداد وباب الزبير وباب القبلة وباب المجموعة وباب الخضراوية. وكان إلى جانب كل باب مخفر للشرطة يُسمّى «قُلّغ» وهناك خارطة لشط العرب قديمة محفوظة بدار الكتب الوطنية بباريس برقم ٢٢٧٩، وقد جاء فيها إن لشمال البصرة بابين باب رباط كبير وهو راجع إلى «محمود الثامر» (يريد به «حمود الثامر») وباب رباط صغير وهو تابع للعشار وراجع للميري».

باب المشراق وباب البحري وباب السيفي وباب الجبل وهو الباب البري لأنّ كل مَنْ قصدها من ناحية البر لا يدخل إلاّ منه، وأما ما كان من باب السيفي فإنه إلى مشرق الشمس وهو صوب البحر، وأما ما كان من الباب البحري فإنه مقابل باب المشراق وبين البابين قصبة واحدة متصلة بهما»؛ معدن الجواهر بتأريخ البصرة والجزائر: الشيخ نعمان بن محمد بن العراق من علماء القرن العاشر للهجرة: مراجعة وتصحيح: الدكتور حسن الزين، دار الفكر الحديث للطباعة والنشر، بيروت، سنة ١٩٨٧، ص١٦٣-١٦٤.

(١) نص نيبور كما ورد في كتابه ٢/ ١٨٣ هو «معظم الأبنية مصنوعة من الخشب الثمين الذي يُنقل من المناطق الآخرى تغطي الحجارة بعض الأسوار بينما استُعمِل الصلصال لبناء المنازل وسور المدينة الكبير...تضم المدينة خمسة أبواب:

١. دروازه أو باب الرباط.
٢. دروازة بغداد.
٣. دروازة الزبير.
٤. دروازة الصراجي (السراجي).
٥. دروازة المجموعة تقع قرب دار النقيب باشا...».

وكان والي البصرة «سليمان باشا» والذي سُمِّي أخيراً بالكبير قد لاحظ قوة ومنفعة سور البصرة أثناء حصار «صادق خان» سنة ١٧٧٤ لأنّ سورها دافع عنها مع أنه كان مُهلهلاً ولا مُحكماً وكانت المدافع تؤثر فيه فيتصدع ولكن البصريين كان يصلحون الصدع بهمتهم القعساء.

وعليه فإنه لما أصبح والياً للعراق عَمَّر سور البصرة واهتم به وقوّاه بسمكٍ وارتفاع وأَكثَر من وضع المزاغل ومحلاّت المدافع وأبواب قوية عليها شرفات للدفاع والمصادر كلها تُشير إلى أن أهالي البصرة كانوا داخل السور بمعنويات عالية يقفون على السور ليحصدوا الأعداء.

يُحدّثُنا الرحّالة الإنكليزي «جاكسون»(١) فيقول في صفحة ٣٠ من كتابه «مشاهدات بريطاني في العراق» وكان قد وصل البصرة يوم ١٨ حزيران سنة ١٧٩٨ بأنّ البصرة يبلغ طول أسوارها من ضفة النهر حتى الصحراء زهاء أربعة أميال وطولها من الشمال حتى الجنوب ثلاثة أميال وقد شُيِّدت هذه الأسوار من اللِّبن بصفة رئيسية وهي بالطبع لا تستطيع المقاومة على الأخصّ بوجه المدافع.

ثم قال: «ولقد شاهدتُ من هذه المدافع عدداً في الريف ولكني لا حظتُ عشرةً

---

(١) في صباح اليوم الثامن عشر من حزيران سنة ١٧٩٧م-١٢١٢هـ وصل الرحّالة الإنكليزي «جاكسون» إلى البصرة قادماً من بومبي على ظهر الباخرة (بيرل) متوجهاً إلى موطنه بريطانيا وقد وصف البصرة بقوله: «وهي مدينة واسعة جداً مكتظة بالسكان، وفيها سوق يمتد فيها زهاء الميلين وهو مزوّد تزويداً حسناً بالسلع»، كما وصف أسوارها ومساجدها فقال: «يبلغ طول أسوار المدينة في ضفة النهر حتى الصحراء الكبرى زهاء أربعة أميال وطولها من الشمال حتى الجنوب نحو ثلاثة أميال وقد شُيّدت هذه الأسوار من اللبن بصفة رئيسة، وفي المدينة تقوم عدة مساجد وجوامع ذات منائر وكثير منها جميلة البناء وبعض هذه الجوامع مغلفة بالقاشي المزجَّج الذي يعطيها مظهراً فريداً» يُنظر: مشاهدات بريطاني عن العراق سنة ١٧٩٧: للرحالة الإنكليزي جاكسون: ص٣٣-٤٧، ترجمة: الدكتور خالد فاروق عمر، ط١، الدار العربية للموسوعات، بيروت، سنة ٢٠٠٠، والمجمل في تأريخ البصرة: علاء العيسى: ص٢٨٢.

منها في المدينة ومعظمها مصنوعة من البرنز».

وقد جاء في صفحة ١٦٢ من كتاب «بلدية البصرة»[١] ما يشير إلى أن سور البصرة اندثرت معالمه قبل تأسيس بلدية البصرة حيث لم يكن من الحجارة ليقاوم عاديات الزمن.

والمعلوم أنّ تأسيس بلدية البصرة يرجع إلى سنة ١٨٦٩، وأن القاضي «أحمد نور الأنصاري» يشير في مذكراته التي قَدَّمها إلى الوالي «منيب باشا» سنة ١٨٦٠م قائلاً: «البصرة محاطة بسورٍ من أربع جهاتها وسورها من اللِّبن غير المفخور متداعي».

كما وأنّ «ابن غملاس» قد ذكر في صفحة ٧١ من كتابه «ولاة البصرة ومُتسلِّموها» إنّه «في سنة ١٢١٦هـ ١٨٠١ميلادية تَعيَّن لمتصرفية البصرة سليم بك وكان من آثاره تعمير سور البصرة»[٢].

---

(١) النص في كتاب بلدية البصرة (١٨٦٩-١٩٨١) للسيد رجب بركات، تقديم: الدكتور حامد ناصر الظالمي، دار ومكتبة البصائر، بيروت، طبعة ٢٠١٣، ص١٦٢ «إن نظام محافظة الأبدات أشار إلى القلاع والأسوار إذا لم يكن بقاؤها ضرورة، والتي يسوغ هدمها بموجب النظام المذكور تترك عرصاتها إلى البلدية إذا كانت داخل الأماكن التي توجد بها بلدية وإلى الولاية إذا لم تكن بها بلدية أو كانت خارج حدود البلدية فإن الأسوار التي يمكن أن تكون مُلكت إلى البلدية هو سور البصرة الذي اندثرت معالمه قبل تأسيس بلدية البصرة ولم يكن ذلك السور من الحجارة ليقاوم عاديات الزمن» ونظام محافظة الأبدات صدر سنة ١٣٣٠هـ وهو قانون حق الأراضي المتروكة إلى البلديات والولايات من الأسوار والقلاع القديمة.

(٢) النص ورد في كتاب ابن الغملاس ص٨١، «وفي سنة ١٢١٦هـ تَعيَّن لمتسلمية البصرة سليم بك ثم انفصل عنها سنة ١٢١٧هـ وفي هذه السنة توفي والي بغداد سليمان باشا ومن محاسن آثاره التي تذكر فتُشكر تأسيسه قصبة كوت الإمارة وتعمير سور البصرة وإعماره أكثر أماكن قصبة الزبير وكان قد أفنى عليها الزمان فكادت أن تندثر آثارها وبنى داخل البصرة الأسواق والفنادق وغيرها وسعى في إعمارها سعياً تشكره البصرة عليه».

الفصل الحادي عشر

قصور البصرة التراثية[1] نوافذ أصيلة تطلُ على الحاضر

تتَميّز مدينة البصرة عن نظيراتها من مدن العراق بأنَّ أرضها طينية رخوة لا تقوىٰ علىٰ تحمل بناء الدور من عدة طبقات من الطابوق ومواد البناء المعروفة الأخرىٰ، فلجأت إلىٰ استعمال الخشب لخفته وتوافره، إذ كانت البصرة مركزاً لإنشيال عدة أصناف منه من أنحاء مختلفة من العالم، فضلاً عن توافر الأيدي العاملة المحلية والأجنبية، وقد ساعد وجود الزجاج المُلوَّن علىٰ نشوء فن ممتزج بالخشب دفع بالبنائين والنجّارين والمَهرة الآخرين إلىٰ أن يُبدعوا أيما إبداع في فن الزخارف والمقرنصات والشناشيل التي تميزت بها معظم البيوت البصرية، وكانت هذه الدور ولا سيما دور الأثرياء منهم، غالباً ما تُقام علىٰ ضفاف الأنهار. التي تتغلغل في شرايين المدينة تحوطها البساتين إتقاءً من لفحات الهجير التي تُغلف أجواءها في الصيف. وتتخذ هذه الدور الطابع الشرقي في البناء، الذي من معالمه الخارجية الشناشيل ومن معالمه الداخلية الحوش الذي تحفُّ به حجرات وغُرف تتفاوت حجمها وارتفاعها.

وقد وصفت الرحّالة الفرنسية مدام «ديولافوا» في رحلتها إلىٰ العراق في عام ١٨٨١ والتي أَطلقت علىٰ البصرة اسم بندقية الشرق، وصفت بيوتها بأنها مختفية تحت ظلال غابات النخيل الكثيفة، وأشجار الليمون المُثقلة بالأثمار وأشجار الموز تحت ضوء القمر الفضي، وأمام الدور زوارق جميلة، كُلّ شيء فيها فاتنٌ من بساط

(١) صحيفة العراق (بغداد) الأحد ٢ رجب ١٤١٠هـ الموافق ٢٨/ ١/ ١٩٩٠ ص٦.

أخضر زاهٍ، ومن أشجار فاكهة.

وبعد هذه التوطئة التي لابد منها، نستعرض بشكلٍ موجز أشهر القصور التراثية التي ما زالت قائمة في البصرة حتىٰ اليوم، وبعض ما تهدَّم منها ولم يُعد له وجود في الوقت الحاضر.

قصر آغا جعفر (أبو السباع)

يربض هذا القصر في منطقة السراجي وعلىٰ ضفاف شط العرب ويُنسب تأريخ تشيّده إلىٰ مطلع هذا القرن أي سنة ١٩٠٢ ويتألف القصر من طبقتين، عدا الطبقة الأرضية، وعند مدخله شريعة يقوم عليها سُلمان رخاميان متقابلان انتصب علىٰ كل منهما تمثال أسد مصنوع من البرونز ويضم القصر ثمان عشرة غرفة كبيرة وصغيرة وكثير من (البالكونات) التي يشّكلُ الزجاج المُلَّون والمقرنصات البصرية عنصراً رئيسياً فيها. ويلحق بالقصر بستان كبير يحتضن عدداً كبيراً من نخيل التمر النادر الأصناف. ويُقال إن تكاليف القصر بلغت أكثر من (٣٦) ألف ليرة عثمانية يؤمئذٍ وقد خَطّطَ بناء القصر المعمار الحاج «مصطفىٰ نوري» بمساعدة عمال بصريين مهرة وعُمال من الهند والصين.

أما مالك القصر «آغا جعفر بن عبد النبي» فهو تاجرٌ بصري كان وكيلاً لشركة الهند للملاحة البخارية فضلاً عن أنه مُنِحَ عام ١٩٠٩ امتيازاً بتسيير باخرتين في نهر الفرات وامتيازاً بتسيير إحدىٰ البواخر التجارية لشركة «فونكهاوس الألمانية» في شط العرب في مطلع عام ١٩١١.

وقد شهد هذا القصر زواج نجل أمير عربستان الشيخ «خزعل» من ابنة «آغا جعفر» بعد سنتين من بنائه، وكان الشيخ «خزعل» يحل فيه عند زيارته للبصرة. وتَحوّل القصر إلىٰ كازينو ومطعم. بعد أن استملكته الدولة في مطلع الأربعينيات، وفي نهاية الثمانينيات اُتخذ قصراً رئاسياً بعد أن تمت صيانته.

قصر السبتي في العشار

قصر تراثي آخر يقوم في المنطقة المقابلة لمنطقة «الدوكيارد» في العشار، وقد شُيِّد عام ١٩٠٤ وأشرف على هندسته وبنائه الحاج «مصطفى نوري»، وهو جد عائلة «السبتي» وكان قد شارك في تخطيط قصر أبو السباع وقصر أمير عربستان في الفيلية، وقد نظمت في قصر السبتي وسائل الراحة من تدفئة وتبريد بطريقةٍ فنية راقية خاصة وأنه يحادد حمام السبتي الشهير في العشار.

ويُذكر أنّ باب هذا القصر أُهدي إلى المتحف البغدادي من قِبل الدكتور «أحمد السبتي» وهو بارتفاع أربعة أمتار، ويعود تأريخ تصميمه إلى عام ١٩٢٦ وقد اُتخِذَ باباً رئيساً للمتحف.

قصر بيت النقيب

يقع هذا القصر على شارع الكورنيش وتطل واجهته على شط العرب وينتصب على مدخله الرئيس باب مزخرف كبير ويتألف القصر من طابقين يحتضنان قاعات كبيرة تزينها عقودٌ مدببَّة من خشب الصاج، وتغلف سقوفها أخشاب هندسية مزخرفة وله باحه تتوسطها سُدِّرة وأبواب كثيرة، كما يمتاز القصر بشناشيله البصرية الشهيرة وقد قامت دائرة الآثار والتراث بصيانة هذا القصر الذي يعود تأريخه إلى ما قبل ثمانين سنة تقريباً. ليكون متحفاً تراثياً.

قصر الشيخ خزعل

يقع قصر أمير المُحمَّرة الشيخ «خزعل» في البصرة القديمة (منطقة الصبخة الكبيرة) ويتَميّز بشناشيله الرائعة التي تزين واجهته الأمامية ويتألف القصر من بنايتين رئيستين ومن طبقتين أولاهما للسكن وثانيهما وهي الصّغرى لأعمال الخدمة، وتحتضن الطبقتان عدة غرف يحيطها فناء ذو باحة كبيرة تتصدَّرها (طارمة) ذات سقوف مُغلَّفة بالخشب المزخرف والزجاج المُلوَّن والتيجان المزخرفة.

وهذا القصر بين عدة قصور كان يسكنها الشيخ «خزعل» عند قدومه إلى البصرة وقد تُرِكَ لمدة من الزمن، ثم سكنه نجله وخدمه وأُهمل بعد ذلك[1].

(١) يقع هذا البيت في محلة السيف التي تضم العديد من بيوت الميسورين والوجهاء ويذكر أهالي المحلة أن الشيخ خزعل لم يقم ببناء هذا البيت وإنما بناه شخص آخر غير معروف واشتراه منه الشيخ خزعل مع عدد من البيوت الأخرى التي اشتراها في مناطق متفرقة من البصرة، كما أنه لم يسكنه بصورةٍ مستمرة كون مقر إمارته كان في مدينة المُحمّرة.

يطل البيت من الناحية الغربية على زقاق فرعي تقع أمامه مباشرة قنطرة تربط جانبي نهر العشار ومن الناحية الجنوبية يطل البيت على نهر العشار مباشرة وفي هذه الواجهة يكون مدخل البيت الرئيس، وتبرز الشناشيل من الطابق العلوي لهاتين الجهتين الغربية والجنوبية.

الجناح الجنوبي في الطابق العلوي والذي يشرف على نهر العشار مباشرة ويتكوَّن من أربعة غرف والغرفة التي تقع في الزاوية الجنوبية الغربية مكوَّنة من غرفتين متداخلتين حيث تفضي الغرفة الرئيسة إلى غرف مستطيلة الشكل ملحقة بها أبعادها (٤٠ ,٣ × ٢٠ ,٧) ومن هذه الغرفة تبرز واجهة من الشناشيل مُطلّة على النهر ببروز يمتد ٧٠ سم.

الهيكل الأمامي لشناشيل الواجهة الجنوبية مكوَّنة من خمسة شبابيك أبعاد كل منها (٧٠سم ×٨٠ ,١ سم) وتنتهي من الأعلى بنوافذ صغيرة نصف دائرية... والمنطقة المحصورة بين نهايات الشبابيك من الأعلى والظلة فقد شغلها النجار بألواح خشبية صُفت بشكلٍ طولي... وموضوعها الزخرفي عبارة عن أغصان نباتية ملتوية متكررة وهو ما يُعرف بأسلوب الرقش العربي. أما الظلة والتي تبرز قليلاً عن مستوى الهيكل الأمامي فقد جعلها النجار متدرِّجة من الأسفل إلى الأعلى.

أما الواجهات الجانبيتان اليمنى واليسرى لهذه الشناشيل فتتكون كل منهما من شباكٍ واحد يطل على الشارع ولا يختلفان من ناحية التصميم عن الهيكل الأمامي من حيث الشبابيك والحشوات.

ومن الملاحظات البارزة على بيت الشيخ خزعل هو تعدد الشبابيك المفتوحة إلى الخارج من جدرانه فلم يكتفِ المعمار بالشناشيل لأغراض التهوية نظراً لصغر حجمها بالمقارنة مع ضخامة حجم الدار والأجنحة البنائية التي يضمّها وما يحتاجه هذا المبنى الضخم من تهوية وإضاءة لا تستطيع هذه الشناشيل أن تقوم بتوفيرها لذا لجأ المعمار إلى الشبابيك والفتحات في الطابقين العلوي والأرضي، إلّا أنه حافظ على وحدة التصميم بالنسبة للشبابيك فجعل تصميمها قريباً من تصميم الشناشيل وزودها بمظلات من الأعلى لحمايتها من أشعة الشمس المباشرة والأمطار... ينظر: المشربيات (الشناشيل) في العمارة السكنية في العراق خلال الحكم العثماني: ص٣٤ــ٣٦).

قصر ابن زهير

ويُسمّى أيضاً «قصر القرطاس» لأنّ القصر، لابنة «علي باشا الزهير»، و«القرطاس» زوجها وقد أصبح هذا القصر في سنة ١٩٠٩ مقراً لحزب الإتحاد والترقّي[١] وكانت له مشرعة تظللها سدرةٌ كبيرة «شجرة نبق» وفيها جاءت الأغنية البصرية

بشريعة ابن زهير جد من يالبلام حدرج يا سوره اليوم عونة الفغه ونام

قصر خلف جلبي

شَيَّد «خلف جلبي» هذا القصر على نهر العشار في عام ١٩٣٥، وكان على الطراز الهندي المُتميّز بالقِباب وشارك الفنان المهندس الهندي «جسلان» في تخطيطه. وقد آل هذا القصر يوماً إلى «صالح بك»، ثم أصبح مقراً لوزارة التموين فرع البصرة في سنة ١٩٤٣ ثم مقراً لشركة نفط البصرة وأخيراً داراً للذكير، ثم تحوّل إلى فندق

---

(١) تاريخ إنشاء هذا البيت هو في نهاية القرن التاسع عشر، يقع في محلة الباشا ويشغل مساحة من الأرض تطل على نهر العشار مباشرة حيث يوصل إليه بواسطة قنطرة خاصة بالبيت تؤدي إلى المدخل مباشرة، والبيت مكوّن من طابقين، الطابق الأرضي منه يتقدَّمه رواق أبعاده(١,٧٥ × ٧متر) أما الطابق العلوي بمسافة (١,٧٥سم) وهي المساحة نفسها التي يتكوّن منها عرض الرواق الذي يتقدّم الطابق الأرضي ولضخامة حجم الشناشيل فلم يلجأ المعمار إلى إسنادها بكوابيل لحمل هيكلها وإنما لجأ إلى إسناد الهيكل على ستة أعمدة، الهيكل الأمامي لشناشيل بيت الوالي هذا مقسمّة على قسمين يربط بينهما شرفة تبرز إلى الأمام بهيئة نصف دائرية.

القسم الذي يقع إلى يمين الشرفة وهو الواقع إلى الجهة الجنوبية الغربية يشغل واجهته شباكان من شبابيك الهيكل الأمامي أما القسم الأيسر وهو الواقع إلى الجهة الشمالية الغربية فتشغله خمسة شبابيك. وهذه الشبابيك ذات آلية حركية منزلقة إلى أعلى وإلى أسفل أبعادها (٧٠سم ×٨٠,١سم)... أما ظلة الشناشيل فهي تبرز إلى الخارج متقدّمة عن الواجهة بحوالي ٣٠سم... وأن أهم ما يميز هذه الشناشيل هو الشرفة التي تتقدمها حيث تبرز عن الواجهة بشكل نصف دائري. ينظر: المشربيات «الشناشيل في العمارة السكنية في العراق خلال الحكم العثماني: ص٣٧ــ٣٩».

«الميناء» وكان من معالم البصرة البارزة في الخمسينيات وقد أُهمل تماماً في سنة ١٩٦٥ دون مراعاة لأهميته التراثية.

ولا تقتصر قصور ذات النكهة التراثية على ما ذكرنا وإنما هناك قصور متناثرة أخرى في داخل البصرة وخارجها لا يتسع المجال للإفاضة في تعدادها[١].

(١) من القصور التي لم يذكرها البازي قصر أمراء الكويت وهو مبني على مساحة تُقدّر ١٠٠٠ متر مربع، ويقع في محلة السيف في الجهة المقابلة لقصر القرطاس. ولكنه همل.

المصادر للتحقيق والهوامش

الكتب العربية والمعرّبة

١. أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد البنّاء الشامي المقدسي، طبعة ليدن، مطبعة بريل، سنة ١٩٠٩.
٢. أحوال البصرة، للعلّامة فصيح بن السيد صبغة الله الحيدري البغدادي، منشورات البصري في بغداد سنة ١٩٦٠.
٣. الأحواز، كتاب صادر عن اتحاد النساء في العراق (البصرة)، دار الرشيد، سنة ١٩١٨.
٤. أربعة قرون من تأريخ العراق الحديث، المستر ستيفن هيمسلي لونكريك، ترجمة جعفر الخياط، انتشارات المكتبة الحيدرية، د. ت.
٥. الإرشاد، للشيخ المفيد (ابو عبد الله محمد بن النعمان الكلبري ت ٤١٢هـ، ط٢ النجف الأشرف سنة ١٩٧٢.
٦. الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ابن عبد البر (ابو عمرو يوسف بن عبد الله القرطبي ت ٤٦٣هـ، تحقيق محمد علي البجّاوي، منشورات مكتبة الدار بالمدينة المنوّرة سنة ١٩٨٥.
٧. أسواق العرب في الجاهلية والإسلام، سعيد الأفغاني، بيروت، ط٢ سنة ١٩٦٠.
٨. الأعلام، للزركلي، دار العلم للملايين، ط٥، بيروت، سنة ١٩٨٠.
٩. أعلام آل المظفَّر في البصرة، مركز تراث البصرة سنة ٢٠١٦.
١٠. أعلام الثقافة الإسلامية في البحرين خلال ١٤ قرناً، سالم النويدري، نشر مركز أوال للدراسات والتوثيق، سنة ٢٠١٥.
١١. الأغاني، لأبي الفرج الأصفهاني ت٣٥٦هـ، تحقيق الدكتور احسان عباس والدكتور إبراهيم السعافين وبكر عباس ط٢ دار صادر بيروت سنة ٢٠٠٤.
١٢. إمارة الزبير بين هجرتين سنة ٩٧٩-١٤٠٠هـ، عبد الرزاق عبد المحسن الصانع، وعبد العزيز عمر العلي، طبعة الكويت سنة ١٩٨٥.

١٣. إمارة المشعشعين، محمد هليل الجابري، رسالة ماجستير، آداب بغداد، تاريخ سنة ١٩٧٣.
١٤. أمير المؤمنين الإمام علي«عليه السلام» في رحاب البصرة: د. جواد كاظم النصر الله، شركة الغدير للطباعة البصرة، سنة ٢٠١٣.
١٥. الإيجاز في تأريخ البصرة والإحساء ونجد والحجاز، عارف مرضي الفتح، الدار العربية للموسوعات، بيروت، والمجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب.
١٦. بحار الأنوار الجامعة لدُرر أخبار الأئمة الأطهار، المجلسي (محمد باقر ت١١١٠هـ)، تحقيق وتعليق الشيخ محمود درياب دار التعارف، بيروت، ومؤسسة الوفاء بيروت سنة ٢٠٠١.
١٧. البخلاء: عمر بن بحر الجاحظ ت٢٥٥هـ، بيروت، سنة ١٩٦٠.
١٨. البداية والنهاية، ابن كثير (ابو الفداء إسماعيل ت٧٧٤هـ) تحقيق علي شيري، دار إحياء التراث العربي، بيروت سنة ١٩٨٨.
١٩. البصرة العظمى، سليمان فيضي، عني بنشره الدكتور عبد الحميد الفضلي، مطبعة دار التضامن، بغداد سنة ١٩٥٦.
٢٠. البصرة في أدوارها التأريخية، الشيخ عبد القادر باشا أعيان، طبعة دار البصري، بغداد سنة ١٩٦١.
٢١. البصرة في ذاكرة أهلها، كريم علّاوي، نشر مركز تراث البصرة، العتبة العباسية المُقدَّسة، سنة ٢٠١٦.
٢٢. البصرة في عهد الإحتلال البريطاني (١٩١٤-١٩٣١)، د. حميد أحمد حمدان، منشورات مركز دراسات الخليج العربي، جامعة البصرة سنة ١٩٨٩.
٢٣. البصرة في مطلع العهد العثماني، د. حسين علي المصطفى، دار تموز، دمشق، سنة ٢٠١٣.
٢٤. البصرة ولاتُها ومُتسلِّموها، مراقدها ومزاراتها الدينية، الشيخ حسن ثجيل الناصر، وعبد العظيم اسحاق راضي، مكتبة المرتضى، البصرة، مطبعة الكفيل في كربلاء، سنة ٢٠١٥.

٢٥. بلاد ما بين النهرين بين ولائين، السير أرنولد ويلسون، ترجمة فؤاد جميل، تقديم ومراجعة الدكتور علاء نورس، بغداد سنة ١٩٩١.
٢٦. بلدان الخلافة الشرقية، كي لسترنج، نقله إليالعربية وأضاف إليه تعليقات بُلدانية وتأريخية وأثرية ووضع فهارسه، بشير فرنسيس وكوركيس عوّاد، المكتبة الحيدرية، قم، سنة ١٤٢٧هـ.
٢٧. بلدية البصرة من سنة ١٨٦٩-١٩٨٠، رجب بركات، تقديم د. حامد ناصر الظالمي، دار ومكتبة البصائر، بيروت، سنة ٢٠١٣.
٢٨. تأريخ إمارة كعب العربية في قُبّان والدورق والفلاحية، تحقيق وتعليق: علي نعمة الحلو، النجف الأشرف سنة ١٩٦٧.
٢٩. تأريخ الطبري (تأريخ الرُسل والملوك)، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري ت٣١٠هـ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ط٥ القاهرة سنة ١٩٨٧.
٣٠. تأريخ العراق بين احتلالين، عباس العزّاوي ت١٩٧١، طبعة مصوّرة بالأوفسيت عن الطبعة الأولى سنة ١٩٣٩، المكتبة الحيدرية، قم سنة ١٤٢٥هـ.
٣١. تأريخ قُضاة البصرة، د. عبد الباسط خليل الدرويش، دار تموز، دمشق سنة ٢٠١٦.
٣٢. تأريخ الكويت السياسي، حسين خلف الشيخ خزعل، دار ومكتبة الهلال، سنة ١٩٦٢.
٣٣. تأريخ الموصل، لأبي زكريا الأزري، تحقيق وتكمله الدكتور أحمد عبد الله محمود، دار الكتب العلمية، بيروت سنة ٢٠٠٦.
٣٤. التحفة النبهانية في تأريخ الجزيرة العربية، للعلّامة محمد بن العلّامة الشيخ خليفة بن حمد بن موسى النبهاني الطائي، المطبعة المحمودية بمصر ط٢ سنة ١٢٤٢هـ.
٣٥. تراث البصرة، عبد الله رمضان آل عيادة، دار تموز، دمشق، سنة ٢٠١٢.
٣٦. تكوين البصرة الحديثة، د. حسين علي المصطفى، مركز تراث البصرة، سنة ٢٠١٦ ضمن موسوعة البصرة الصغيرة.
٣٧. الجاحظ، شارل بلّا، ترجمة الدكتور إبراهيم الكيلاني، دار الفكر، دمشق، ط١، سنة ١٩٨٥.

٣٨. جبل سنام خصائصه الطبيعية ومراحل نشأته، باسم حميد سلكان، نشر دار البصائر، بيروت سنة ٢٠١٤.
٣٩. جعفر البدر مؤسِّس الحزب الوطني الديمقراطي في البصرة، د. طالب جاسم الغريب، د. ت. د. مطبعة.
٤٠. حاضر البصرة، عبد المجيد حسن الغزالي، مطبعة دار المعارف، بغداد سنة ١٩٤١.
٤١. الحركة العلمية بين نجد والزبير خلال ثلاثة قرون، سعود بن عبد العزيز الربيعة، الدار العربية للموسوعات، بيروت سنة ٢٠١١.
٤٢. الحوادث لابن الفوطي، حَقَّقه وضبط نَصَّه وعَلَّق عليه الدكتور بشار عواد معروف والدكتور عماد عبد السلام رؤوف، طبعة قم سنة ٢٠٠٠.
٤٣. خطط البصرة، لويس ماسينيون، ترجمة وضبط وتعليق الدكتور إبراهيم السامرائي، وزارة الثقافة، العراق سنة ٢٠١٣.
٤٤. الدبلماسيون البريطانيون في العراق ١٨٣١-١٩١٤، د. صلاح خضر محمد، بغداد ط١ سنة ٢٠٠٥.
٤٥. دراسات وثائقية في تأريخ العراق المعاصر، د. سامي عبد الحافظ القيسي، بغداد سنة ٢٠٠٩.
٤٦. دليل الخليج (القسم الجغرافي)، لوريمر، ترجمة مكتب أمير دولة قطر وطُبع في مطابع علي بن علي في الدوحة سنة ١٩٧٠.
٤٧. ديوان ابن المقرّب العيوني وشرحه، تحقيق وشرح د. أحمد موسى الخطيب مؤسسة عبد العزيز سعود البابطين، سنة ٢٠٠٢.
٤٨. ديوان أبي نواس، حَقَّقه أحمد عبد المجيد الغزالي، الناشر دار الكتاب العربي، بيروت، د. ت.
٤٩. ديوان الفرزدق، قَدَّم له وضبطه وشرحه د. صلاح الدين الهوّاري، دار ومكتبة الهلال، ودار البحّار، بيروت سنة ٢٠٠٧.
٥٠. رحلة ابراهام بارسونز من حلب إلى الخليج العربي ١٧٧٤-١٧٧٥، ترجمة وتعليق د. أنس عبد الخالق محمود، المؤسسة العربية للدراسات والنشر بيروت ط١ سنة

٢٠١٣.
٥١. رحلة ابن بطوطة المُسَمّاة (في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار)، تحقيق محمد عبد الرحيم، نشر دار الفكر ومؤسسة الكتب الثقافية، بيروت سنة ٢٠٠٩.
٥٢. رحلة أبي طالب خان إلى العراق وأوروبا، ترجمها من الفرنسية إلى العربية د. مصطفى جواد، دار الورّاق، بغداد سنة ٢٠٠٧.
٥٣. رحلة بيدرو تيخيرا من البصرة إلى حلب عِبرَ الطريق البرّي ١٦٠٤-١٦٠٥ ترجمة وتعليق الدكتور أنيس عبد الخالق محمود، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت ط١ سنة ٢٠١٣.
٥٤. رحلة إلى شُبه الجزيرة العربية وإلى بلاد أخرى مجاورة لها، كارستن نيبور، ترجمة عبير المُنذر، مؤسسة الانتشار العربي، بيروت سنة ٢٠٠٧.
٥٥. رحلة من اسطنبول إلى البصرة سنة ١٧٨١، للرحّالة الإيطالي سيستيني، ترجمها عن الفرنسية وعَلَّق عليها الأب بطرس حداد، نشرها المركز العلمي العراقي في بغداد، مطبعة ومكتبة دار البصائر، بيروت سنة ٢٠١٠.
٥٦. رحلتي إلى العراق، جيمز بكنكهام، ترجمة د. سليم طه التكريتي طبعة المجمع العلمي العراقي سنة ١٩٦٩.
٥٧. رسالة في اللّاهوت والسياسة، اسبينوزا، ترجمة د. حسن حنفي، مراجعة د. فؤاد زكريا، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر سنة ١٩٧١.
٥٨. زاد المسافر ولهفة المقيم والحاضر، للشيخ فتح الله بن علوان الكعبي، الدار العربية للموسوعات، بيروت سنة ٢٠٠٢.
٥٩. سِفر نامه، ناصر خسرو، ترجمة يحيى الخشّاب، القاهرة سنة ١٩٦٣.
٦٠. سيد النخيل المُقفى، مصطفى جمال الدين في ذكراه السنوية الأولى، نشر المكتبة الأدبية المُختصَّة، قم، ط سنة ١٤١٨هـ.
٦١. شط العرب وشط البصرة والتأريخ، محمد طارق الكاتب، سنة ١٩٧١.
٦٢. الطبقات الكبرى، محمد ابن سعد ت٢٣٠هـ، تحقيق الدكتور إحسان عباس، بيروت سنة ١٩٧٨.

٦٣. عبير التوابل والموانئ البعيدة، إحسان السامرائي، مطبعة البصرة سنة ٢٠١١.
٦٤. عراق بلا سواحل، كاظم فنحان الحمّامي، شراكة الغدير للطباعة والنشر سنة ٢٠١٤.
٦٥. على ضفاف شط العرب كتابات من ذاكرة الماء، كاظم فنجان الحمّامي، دار تموز، دمشق، سنة ٢٠١٢.
٦٦. فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ت٨٥٢هـ، دار المعرفة، بيروت، د. ت.
٦٧. فتوح البلدان، لأبي العباس أحمد بن يحيى البلاذري ت٢٧٩هـ، القاهرة سنة ١٩٠١.
٦٨. قصة الحضارة، ول ديورانت، ترجمه إلى العربية مجموعة مترجمين، مكتبة الأسرة القاهرة سنة ٢٠٠١.
٦٩. القاموس المحيط مجد الدين الفيروز آبادي، إعداد وتقديم، محمد عبد الرحيم المرعشي، دار إحياء التراث العربي بيروت، ط٢، سنة ٢٠٠٣.
٧٠. قضاء الفاو دراسة في الجغرافية الزراعية، سالم سعدون المبادر، منشورات مركز دراسات الخليج العربي، مطبعة الإرشاد سنة ١٩٧٨.
٧١. الكامل في التأريخ، ابن الأثير (ابو الحسن علي الشيباني الجزري ت٦٣٠هـ مراجعة نخبة من العلماء، دار الكتاب العربي، بيروت د. ت.
٧٢. لسان العرب، ابن منظور الإفريقي ت٧١١هـ، صَحَّحهُ محمد الصادق العبيدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت لبنان، ط١ سنة ٢٠١٠.
٧٣. لمحات اجتماعية من تأريخ العراق الحديث، د. علي الوردي، دار الرشيد، بيروت سنة ٢٠٠٥.
٧٤. مباحث عراقية، يعقوب سركيس، جمع وتعليق وفهرسة معن حمدان، منشورات وزارة الثقافة والإعلام، بغداد سنة ١٩٨١.
٧٥. المجد في بيان أحوال بغداد والبصرة ونجد، إبراهيم بن صبغة الله بن أسعد الحيدري ت١٢٩٩هـ، دار الكتب العلمية، بيروت، سنة ٢٠١٠.
٧٦. المُجمَل في تأريخ البصرة، علاء لازم العيسى، دار الشؤون الثقافية العامة بغداد سنة ٢٠١٠.

٧٧. المدَينَة جزائر البصرة في العهد العثماني ١٥٤٦-١٧١٨هـ، دراسة في الأحوال السياسية والاجتماعية، حسام طعمه ناصر، ومشتاق عيدان أعبيد، نشر مركز تراث البصرة سنة ٢٠١٥.
٧٨. مذكّرات سليمان فيضي، تحقيق باسل سليمان فيضي- طبع شركة مطبعة الأديب البغدادية المحدودة ط٤ سنة ٢٠٠٠.
٧٩. مُسَمَّيات البصرة، عبد الله رمضان آل عيادة، دار تموز للطباعة والنشر، دمشق سنة ٢٠١٥.
٨٠. مشاهدات بريطاني عن العراق سنة ١٧٩٧م، الرحّالة الإنكليزي جاكسون، ترجمة الدكتور خالد فاروق عمر، ط١ الدار العربية للموسوعات، بيروت سنة ٢٠٠٠.
٨١. مشاهير أعلام البصرة، د. عبد الحسين المبارك والدكتور عبد الجبار ناجي الياسري، منشورات مركز دراسات الخليج العربي، جامعة البصرة سنة ١٩٨٣.
٨٢. مشاهير المدفونين في الصحن العلوي الشريف، من اصدارات العتبة العلوية المُقدَّسة، ط٢ سنة ٢٠١٠.
٨٣. مطالع السعود بطيب أخبار الوالي داود، تأريخ العراق ونجد، سنة ١١٨٨هـ-١٢٤٢هـ/ ١٧٤٧-١٨٢٦م، عثمان بن سند الوائلي البصري، تحقيق الدكتور عماد عبد السلام رؤوف، الدار العربية للموسوعات ط١ سنة ٢٠١٠.
٨٤. مقاتل الطالبيين، أبو الفرج الأصفهاني ت٣٥٦هـ، تحقيق أحمد صقر، المكتبة الحيدرية سنة ١٤٢٣هـ.
٨٥. معجم البلدان، ياقوت الحموي ت٦٢٦هـ، طبعة دار إحياء التراث العربي، بيروت، سنة ٢٠٠٨.
٨٦. معجم شعراء البصرة، د. عبد الباسط الدرويش، دار الرافدين للنشر والطباعة ودار الفيحاء، بيروت، سنة ٢٠١٧.
٨٧. معدن الجواهر بتأريخ البصرة والجزائر، الشيخ نعمان بن محمد بن العراق (من علماء القرن العاشر للهجرة)، مراجعة وتصحيح الدكتور حسن الزين دار الفكر الحديث للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت سنة ١٩٨٧.

٨٨. معرفة المشرق، للرحّالة أوليفيه، ترجمها عن الفرنسية الدكتور يوسف حَبي، المركز الأكاديمي للأبحاث ط١ سنة ٢٠١٤.
٨٩. من البصرة إلى حلب عِبرَ الطريق البرّي (١٦٠٤-١٦٠٥)، بيدرو تيخيرا، ترجمها وعَلَّق عليها الدكتور أنيس عبد الخالق محمود، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت سنة ٢٠١٣.
٩٠. من تأريخ فن العمارة في البصرة وميسان (أبحاث الدكتور منذر البكر) جمع ودراسة د. حامد ناصر الظالمي، دار الفيحاء للطباعة والنشر، البصرة سنة ٢٠١٤.
٩١. موسوعة تأريخ البصرة، باشا أعيان (عبد القادر)، بغداد سنة ١٩٨٨.
٩٢. النصرة في أخبار البصرة، أحمد الأنصاري، تحقيق يوسف عز الدين، بغداد سنة ١٩٦٩.
٩٣. ولاة البصرة ومُتسلِّموها من تأسيسها حتى نهاية الحكم العثماني، ابن غملاس، الدار العربية للموسوعات، ط أولى، بيروت سنة ٢٠٠٨.
٩٤. ولاية البصرة في ماضيها وحاضرها، الكسندر آداموف، ترجمها عن الروسية، د. هاشم صالح التكريتي، بغداد، د. ت.

الرسائل الجامعية

١. الأبلة في العصر الإسلامي حتى سنة ٢٥٧هـ، أمل عبد الحسين السعدي، رسالة ماجستير، آداب، تأريخ، جامعة بغداد، سنة ١٩٧٦.
٢. إمارة المشعشعين، محمد هليل الجابري.
٣. العمارة السكنية في العراق خلال الحكم العثماني (٩٤١-١٣٣٦)هـ، (١٥٣٤-١٩١٧)م، نبيل عبد الحسين راهي، آداب بغداد، ماجستير في الآثار الإسلامية سنة ٢٠٠٦.
٤. النظام الصحي في البصرة، جعفر عبد الدايم المنصور، رسالة ماجستير كلية التربية، جامعة البصرة، سنة ١٩٩٨.

الدوريات

١. الأبلَّة ونهرها العشار، د. مصطفى جواد، مجلة سومر سنة ١٩٥٣، المجلّد الأول.
٢. البصرة ومجالس الطرب، ثامر العامري، مجلة التراث الشعبي، العدد الخاص عن البصرة سنة ١٩٨٩.
٣. الجزائر، علي الشرقي، مجلة لغة العرب، السنة الرابعة، سنة ١٩٢٧، العدد ١٠ نيسان.
٤. حامد علي البازي (١٩٢٠-١٩٩٥) ودوره في توثيق تاريخ البصرة الحديث، د. إبراهيم خليل العلّاف، مجلة دراسات تأريخية، جامعة البصرة، عدد خاص عن البصرة سنة ٢٠١١.
٥. رحلة ابن بطوطة، عبدالجبار السامرائي، مجلة المورد مجلد ١٨ عدد ٤ السنة ١٩٨٩.
٦. سور البصرة ومخفرها، باسم حسين غلب، مجلد الخطوة، العدد ٦، شوال سنة ١٤٣٧هـ.
٧. السيد محمد شُبّر ونسبه، مجلة المُرشِد، مجلد٣ جزء١، سنة ١٩٢٨.
٨. صبري أفندي صندوق أمين البصرة، فخري حميد القصّاب، مجلة التراث الشعبي، عدد خاص عن البصرة، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، سنة ١٩٨٩.
٩. لقاء مع مؤرخ البصرة حامد البازي، أجراه محمد خضير، مجلة القلم الصادرة عن نقابة المعلمين فرع البصرة العدد٣-٤، سنة ١٩٨٣.
١٠. مجلة الأسرار، أحداث البصرة في الحرب العالمية الأولى، بيروت، العدد٢ والعدد٣ والعدد٥ سنة ١٩٣٨.
١١. محلات بصرية (مَحَلَّة نهير الليل)، د. عبد الجبار الحلفي، مجلة الخُطوة الصادرة عن مركز تراث البصرة، عدد٨ سنة ١٤٣٨هـ.
١٢. مَحَلَّات مدينة البصرة في العهد العثماني، د. طالب جاسم الغريب، مَجَلَّة إشراقات الصادرة عن مركز دراسات الخليج، جامعة البصرة، السنة الأولى كانون الثاني، سنة ٢٠١١.
١٣. مع الدكتور محمد طارق الكاتب، مجلة الموانئ، مجلد١ عدد١٠ سنة ١٩٧٢.

١٤. مؤرخ البصـرة حامد البازي، محمد صالح عبد الرضا، صحيفة النهضـة الصـادرة في البصـرة العدد٣ السنة الأولى ٧/ ٧/ ٢٠٠٣.
١٥. نهرُ العشار أَصلُ نشوء مدينة البصـرة الحديثة وله حقٌّ بـذمتها، رجـب بركـات مجلـة الخليج العربي جامعة البصـرة، العدد٣-٤ سنة ١٩٨٥.

المحتويات

المحتويات

لمحات من حياة وتراث المؤرخ البصري حامد البازي (ومُسمَّيات البصرة) ٥

حياته: ٦

مؤلفاته ١١

من مؤلفاته المخطوطة ١١

مُسمَّيات البصرة: ١٣

1 » الفصل الأول

حوار مُفصَّل عن المِربَد مع المؤرخ والفولكلوري البصري حامد البازي. ٣١

2 » الفصل الثاني

البصرة كتبت تأريخ الحضارة ٤٥

الجرائد التي كانت تصدر في العهد العثماني بالبصرة ٤٩

الصيرفة ٥٦

3 » الفصل الثالث

البصرة كما هي ٧٣

أحداث البصرة ٨٥

4 » الفصل الرابع

البصرة في القرنين الأخرين سنة ١٧٢٠-١٩٢٠م ١٠٧

5 » الفصل الخامس

أربعة قرون من تأريخ البصرة المتأخر ١٣٥

6 » الفصل السادس
حديث مختصر عن البصرة في ماضيها وحاضرها ١٦٥
7 » الفصل السابع
ماذا تعرف عن الفاو ١٨٩
8 » الفصل الثامن
شرق البصرة وأهم أنهار المنطقة وقُراها ومُسمّياتها ٢٠٣
9 » الفصل التاسع
لماذا سُمّيَ بشط العرب؟ وكيفية تكوينه؟ ٢١٥
10 » الفصل العاشر
الأنهار الستة وشناشيلها وقصورها وجسورها وسور البصرة وأبوابه ٢٢٩
نهر الجبيلة ٢٢٩
نهر الرباط ٢٣٢
نهر الخندق ٢٣٤
نهر العشار ٢٣٧
نهر الخورة ٢٤٢
من جسور البصرة ٢٤٨
القصور والشناشيل ٢٥٢
سور البصرة وأبوابه ٢٥٦
11 » الفصل الحادي عشر
قصور البصرة التراثية نوافذ أصيلة تطلُّ على الحاضر ٢٦١
قصر آغا جعفر (أبو السباع) ٢٦٢

قصـر السبتي في العشار ٢٦٣
قصـر بيت النقيب ٢٦٣
قصـر الشيخ خزعل ٢٦٣
قصـر ابن زهير ٢٦٥
قصـر خلف جلبي ٢٦٥
» المصادر للتحقيق والهوامش ٢٦٧

التصويبات

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
٥	١٧	من نقابة	عن نقابة
٩	٢	الزبر	الزبير
١٠	٤	لابن	لابن
١٤	٩	وهي	وهم
٤٧	هامش رقم (١) سقط		
٥٦	٩	عند زار	عندما زار
٥٧	٩	العملية	العُملة
٥٨	٥	بهارات	البهارات
٥٨	هامش (١)	النجلاء	البخلاء
٦٣	سطر ٤ في الهامش	العراقيين	العراق
٦٤	سطر ٣ في هامش (١)	البرطانيون	البريطانيون
٦٥	سطر ١١ في هامش (١)	يُعنى	يُدعى
٧١	٩	الجيش	جيش
٨١	٣	الواعد	السواعد
٩٤	١٣	الفني	الغني
١٥٧	سطر ٢ عنوان الفصل	الأخرين	الأخيرين
١٠٩	١١	في يو	في يوم
١١٥	السطر ما قبل الأخير في الهامش	بيت شعر من شطرين	
١١٨	سطر ٣ في الهامش	ودايهم	ودوابهم
١١٨	سطر ٨	مرادو	مرداو
١٧٥	سطر ٨ في الهامش	يرفع رقم ٨	
١٧٥	سطر ٩ في الهامش	بكون	بكوت

١٩٥	سطر ٦	تكلفة	ثكنة
١٩٥	سطر ١٦	الكولونبل	الكولونيل
١٩٨	سطر ٢١	يُعىٰ	يُدعىٰ
٢٣٤	سطر ٢	ابن غماس	ابن الغملاس

ضوابط النشر:

- أن يكون الكتاب عن البصرة تحديداً.
- موضوعات الكتب في ((التاريخ، الجغرافية، الفكر الادبي، الفنون، التفسير، اللغة، المخطوطات...)).
- ان لا تزيد صفحات الكتاب على ٣٠٠ صفحة.
- أن يكون سالماً من الأخطاء اللغوية والإملائية والطباعية.
- أن لا يتجاوز المؤلف على الثوابت الوطنية والدينية والديانات، والقوميات والأعراف بأي شكل من الأشكال.
- ان تكون المادة المدروسة فيه بطريقة علمية موضوعية بعيدة عن الإسفاف .
- أن يلتزم المؤلف بشروط البحث العلمي من حيث المصادر والمراجع وطريقة البحث.
- أن يرفق المؤلف قدر الإمكان الصور والخرائط والرسومات البيانية.
- أن لا يكون منشوراً من قبلٍ، أو منشور منذ عقود وله أهمية تاريخية.
- أن يعطي الكتاب صورة حقيقية وعلمية عن البصرة وتأريخها وثقافتها وتراثها.

البصرة

تاريخ عريق وثقافة متجددة

سلسلة إصدارات تهتم بالشأن البصري تصدر عن ديوان محافظة البصرة

اصدارات عام 2021

ت	اسم الكتاب	المؤلف
1	البصرة مدينة الطيبة والجمال	باسم حسين غلب
2	حين لقاء	علاء المرقب
3	ما تشتهي خطاي	أحمد العاشور
4	ثلاثة أعلام في الثقافة البصرية	د. حامد الظالمي
5	بين الرمل والماء	محمد سهيل أحمد
6	القصّة البصريّة من ١٩٩٠ ـ ٢٠١٥	كاظم حنون صجم الخفاجي
7	قراءات في السرد	ياسين شامل
8	دراسات نقدية في الأدب البصري الحديث	ياسر جاسم قاسم
9	حين يتكلم التراب	علي الامارة
10	الوجيز في المشهد الثقافي البصري	عبد الحليم مهودر
11	المسرح البصري في خمسة عقود	مجيد عبد الواحد
12	الشاطئ والسفح قراءات نقدية	محمد جواد البدران
13	البصرة في خمس وعشرين رحلة اجنبية	د. حامد الظالمي

البصرة

تاريخ عريق وثقافة متجددة

سلسلة إصدارات تهتم بالشأن البصري تصدر عن ديوان محافظة البصرة

اصدارات عام
2023

ت	اسم الكتاب	المؤلف
1	البصرة العنقاء بأقلام الشعراء	علي الامارة
2	المذاهب المسيحية وكنائسها في البصرة	هند عبد المطلب حرب المبارك
3	أدب الاستنساخ في العراق	كريم عباس زامل
4	دراسات فِي اللغة والقرآن	علي ناصر غالب
5	تاريخ الحركة الرياضية في البصرة	ياسمين لفتة، لفتة حميد سلمان
6	التراث العربي وتحقيقه	أ.د. سامي علي جبار
7	ما بين نهرين	قاسم حول
8	مقالات في تاريخ البصرة المَنسِي	جمع أ.د. حامد الظالمي
9	يوم الحسين	جمع وتعليق: حليم مهودر
10	تجارب في التشكيل البَصْري	خالد خضير الصالحي

تم بحمد الله